الأب سهيل قاشا

بابل والتوراة

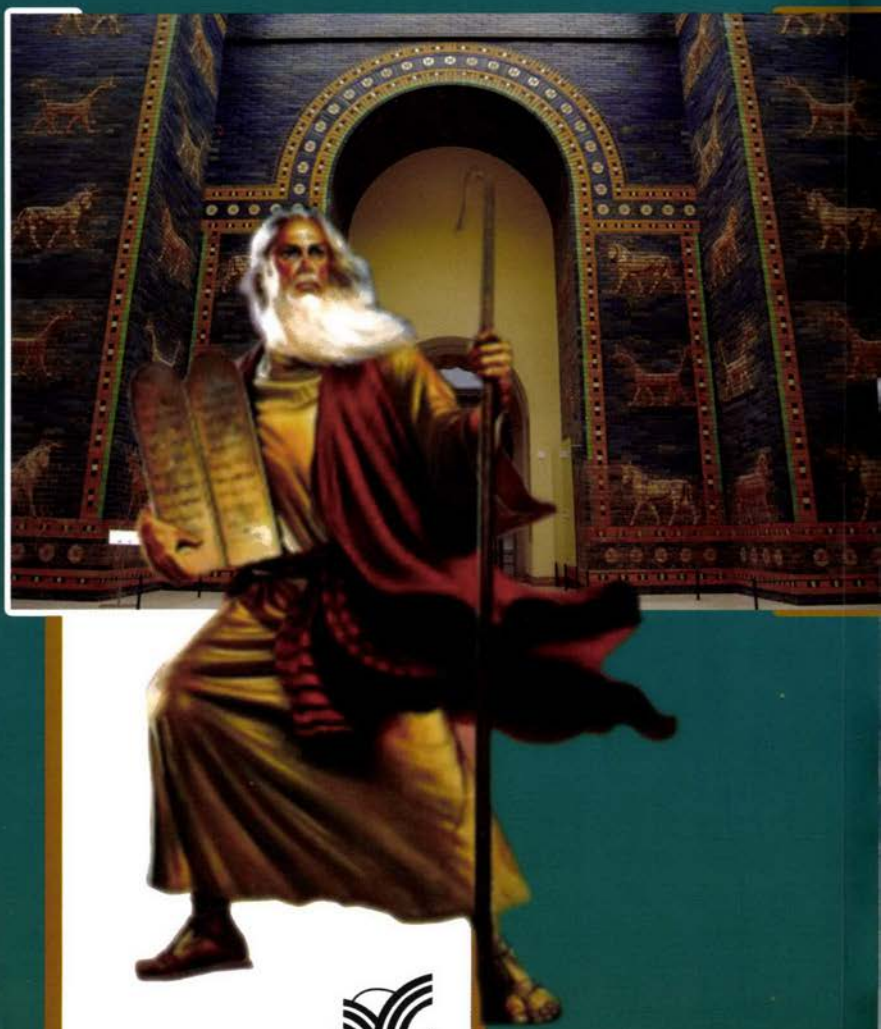

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

بابل والتوراة

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

بابل والتوراة

الأب سهيل قاشا

http://al-maktabeh.com

إسم الكتاب: بابل والتوراة

إسم المؤلف: الأب سهيل قاشا

الطبعة الأولى: جميع حقوق الطبع محفوظة 2011

الإخراج: ABAAD GRAPH 03/841829 - 01/751541

الناشر: **دار أبعاد**

لبنان. بيروت. الحمرا. بناية رسامني. الطابق 7. الهاتف: 01/751541

Email: info@abaadpress.com - Website: www.abaadpress.com

التوزيع: **الفرات للنشر والتوزيع**

بيروت. الحمرا. بناية رسامني. طابق سفلي أول

ص.ب 6432-113 بيروت. لبنان

هاتف: 00961-1-750054

فاكس: 00961-1-750003

Email: info@alfurat.com

http://al-maktabeh.com

مقدمة

كانت التوراة، تعتبر حتى القرن التاسع عشر، الكتاب الأول والأفضل لتاريخ الشعوب في الشرق الاوسط، الى حين عصر التنقيبات الآثارية في بلاد وادي الرافدين حينما اكتشفت الرُقُم والألواح المدونة بالكتابة المسمارية في بابل ومحيطها مثل أريدو وشبار واور والوركاء وغيرها من الحواضر السومرية والاكادية والبابلية والاشورية، وحينما قرأها علماء الآثار والباحثون وجدوا وبالبرهان القاطع ما أخذته التوراة واقتبسته، ان لم نقل سطت عليه وسرقته وضمته بالنص أو بالتحوير المشوه مثل قصة الطوفان (ملحمة كلكامش) وسفرالامثال والحكمة وابن سيراخ، اضافة الى القصص مثل قصة طوبيا وأيوب والمزامير ونشيد الاناشيد وغيرها سيما بعد السبي البابلي حيث أمضى العبرانيون اليهود اكثر من مائة عام يتعلمون ويدرسون في بابل، ومن هنا وجد الأب سهيل قاشا في كتابه هذا بابل والتوراة ان العلاقة كبيرة بين بابل والتوراة، فبنت التوراة مجدها على المدونات العراقية القديمة، فانكشف السر وظهر المكتوم وتوضح لدى الباحثين والدارسين مدى ما أخذته التوراة وعمق ما تأثرت به، فيحق لنا ان نقول «التوراة البابلية» لأن أثر تلك المدونات واضح في الكتابات التوراتية، ولقد وضعت العشرات ان لم نقل المئات من الدراسات والبحوث النزيهة بهذا الخصوص والتي تشهد وتعلن عن تأثير آداب وادي الرافدين على آداب العبرانيين.

في هذا المحيط يصب كتاب الأب قاشا الجديد، علماً ان المؤلف له عشرات الكتب والبحوث والدراسات في هذا الميدان تفضح ما أدخله الكهّان اليهود في كتابهم المقدس دون حق وبتضليل مقصود...

http://al-maktabeh.com

الأب سهيل قاشا من بلاد الرافدين التي شهدت ولادة الحضارة وازدهرت بالاساطير والعطاءات الفكرية فكانت مهداً غنياً لتراث عريق لبلاد نفتخر ونعتز بها كما أن الإنسانية مدانة لها بحفظ اقدم المكونات الحضارية.

منذ زمن وعى الأب سهيل قاشا الخطر الصهيوني على بلادنا، فكانت له مؤلفات وكتابات عدة حول تاريخ منطقتنا لا سيما الحضاري والديني منها.

كتب في الحوار المسيحي . الاسلامي وفي التراث المسيحي القديم لا سيما تاريخ الكنيسة السريانية العريق وله جولات كتابية في التراث الاسلامي وتلاقيه مع التراث المسيحي وكلاهما نابع من حضارة واحدة. ويحرص الأب سهيل قاشا في كتاباته بالتوجه الى أبناء قومه من مسيحيين ومسلمين ويدعوهم الى الوقوف صفاً واحداً ضد المبادىء الهدامة التي تعمل لها الصهيونية العالمية في السر والعلن من اجل تحريف الإنجيل المقدس وتدمير الكنيسة والنيل من الفكر الإنساني والمسيحي ومحاولة سرقة وتشويه حضارة بلادنا.

يركز الأب سهيل قاشا على أن الفكر الصهيوني نابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود والفكر اليهودي العنصري. وفي كتابه هذا بابل والتوراة يفضح الأب قاشا تقليد التوراة ونقلها الاساطير البابلية وتبنيها.

سركيس ابو زيد

http://al-maktabeh.com

الفردوس الأول وسقوط الإنسان في الفكر العراقي القديم

تظهر قصة «الفردوس» في جميع القصص الشعبية في العالم القديم كله، وهي تتناول العصر الذهبي الذي كان الإنسان يحيا فيه حياة خالية من الهمّ والشقاء والنصب والتعب. أما مصطلح «سقوط الإنسان» والذي ربما اقتبس من سفر «الحكمة»، فإنه يعبر عن حقيقة عصيان الزوج البشري الأول للرب، والخطيئة التي تبعت ذلك.

فكرة سقوط الإنسان تفجر العديد من القضايا الفكرية العقائدية، يتفرع عنها قضايا أخرى. وأول هذه القضايا «الخلود» الذي يتطرق الحديث من خلاله إلى قضية «الموت» ويتفرع عنهما فكرة «البعث» التي تثير قضية «الحساب أو الدينونة» المتعلقة بمفهوم «الخطيئة»، ومن ثم «الثواب» و«العقاب» أو «الجنة- الفردوس» أو «الجحيم- جهنم».

هذه المتوالية الفكرية كان لها نصيب كبير في عقائد الإنسان القديم والحديث على السواء، كما أنها لعبت دوراً هاماً وحيوياً في الحياة الفكرية والدينية لشعوب العالم القديم، وخصوصاً شعوب الشرق الأوسط، والأصح، «الهلال الخصيب».

ومن هنا نرى ضرورة تقديم عرض موجز لهذه الأفكار، لتشكل خلفية ضرورية يتطلبها عرض فكرة «سقوط الإنسان» في الفكر العراقي القديم، باعتباره الفكر الإنساني الأول، لفجر الحضارة البشرية الأولى.

يرجع أصل فكرة الخلود إلى أن الوجود ـ حسب فكر إنسان وادي الرافدين ـ تشكل في أصله من المتناقضات والمتضادات، ولما كان الإنسان

http://al-maktabeh.com

يدرك أن العالم الذي يعيش فيه زائل، انطلاقاً من وجود فكرة الموت، فقد كان من البديهي أن يكون هناك عالم آخر يناقض ذلك العالم المحسوس الزائل، ويتصف بالخلود، يرحل إليه الناس بعد الموت. وكان الموت أكثر الأشياء التي اثارت خيال الإنسان.

ومن هنا أصبحت «الحياة» و«البعث» هي الفكرة المركزية في الدين والأسطورة، كما أصبحت الفكرة الأساسية التي يتمحور حولها لا وعي الفرد قديماً وحديثاً. ومن خلال دراسة الفكر الإنساني عبر العصور المختلفة، يتضح أن الموت في فكر الإنسان لم يكن مرحلة نهائية تضع حداً للوجود الإنساني بجميع صوره، وإنما كان عبوراً إلى حالة وجودية مغايرة، ظلت مترافقة مع فكرة الموت في فكر الإنسان بغض النظر عما إذا كانت أفضل أو أسوأ من الحالة الأولى للوجود الدنيوي.

بالنسبة إلى بلاد النهرين، كان الخلود من نصيب الآلهة وحدهم دون البشر، ولم يكن أمام من يسعى إلى الخلود من البشر إلا أن يصبح إلهاً. أما الحالة الوحيدة التي إرتقى فيها البشر على الخلود فهي حالة أبطال الطوفان في ملاحم بلاد النهرين، غير أنهم لم يحصلوا على ذلك الخلود إلا عندما رُفِعوا إلى مرتبة الألوهية. أما مصير البشر، فكان الموت حيث أن الآلهة عندما خلقت الإنسان، قدرت عليه الموت بينما احتفظت لنفسها بالخلود.

ويبدو ذلك جلياً من بعض النصوص، وخصوصاً ملحمة كلكامش. ففي اللوح العاشر من تلك الملحمة، تُوجه «سيدوري» صاحبة الحانة الإلهية حديثها إلى «كلكامش» قائلة:

«إلى أين أنت ذاهب يا كلكامش».
الحياة التي تنشدها لن تجدها
عندما خلقت الآلهة قدرت للناس الموت
واستأثرت هي بالحياة الخالدة.

http://al-maktabeh.com

ورغم هذه الحقيقة، فإن أهل بلاد النهرين لم يؤمنوا بالفناء المطلق، فكان اعتقادهم هو أن الإنسان مكون من جسد وروح، وعندما يموت تنفصل الروح عن الجسد، وتلج إلى عالم جديد هو عالم الأرواح السفلى.

وكانت حالة الموت تلك حالة أبدية، لم يكن معها أمل بالعودة إلى الحياة الأولى ولا حتى بالتناسخ أو التقمص، كما هو الحال في عقائد الشرق الأقصى؛ وكان عالم الموتى ــ في نظر أهل بلاد النهرين ــ عالماً سفلياً يقوم تحت عالمهم الدنيوي، ويشكل منطقة وسطى بين سطح الأرض ومياه الغمر الأولى. وكان يطلق على ذلك العالم السفلي «كوره» و«كيجال» أي «الأسفل العظيم». ويوصف ذلك العالم بأنه عالم مخيف يشبه مدينة محيطة بأسوار سبعة، يقف على كل سور منها شيطان مخيف، وتحكم هذا العالم آلهة قاسية. وكان يتخلل كل سور من الأسوار السبعة بوابة، وكان الظلام الحالك يشمل هذا العالم في جميع الأوقات. أما الموتى، والذين كانوا يلبسون ثياباً من الريش كالطيور، فكان طعامهم التراب، وغذاؤهم الطحين. ويرأس مملكة العالم السفلي تلك «نركال» واللاتو الملقبة بـ «ايريشيجال»، وكان تحت إمرتهم أرواح الطاعون والمرض، ترقب الموتى وتمنعهم من الصعود لمهاجمة الأحياء.

وكانت فكرة «الجنة» شأنها شأن الخلود، وقفاً على الآلهة وحدهم دون البشر. وقد ورد وصف لهذه الجنة في شكل مفصل في أسطورة «دلمون» التي سيأتي ذكرها في ما بعد.

أما عقيدة «البعث»، القيامة، فلم يعثر على أي وثائق تنبئ عن أن أهل بلاد النهرين كانوا يؤمنون بعودة الروح إلى الجسد مرة أخرى، وذلك على الرغم من اهتمامهم بعادات الدفن ووضع الأثاث الجنائزي كل شهر في القبور، إلا أنه يحتمل أن ذلك كان من قبيل إتقاء الأذى الذي ربما يتعرض له الميت، أكثر من كونه نوعاً من التكريم. ويترتب على القول بعدم اعتقاد سكان بلاد النهرين في البعث، القول بعدم اعتقادهم أيضاً في مسألة الثواب والعقاب الأخروي، ومن ثم لم يؤمنوا بفكرة

http://al-maktabeh.com

الجنة والنار. وكان عقاب الفرد على الذنوب أو الحسنات عقاباً دنيوياً صرفاً، ومن هنا أحبوا الدنيا وتمتعوا بها.

ويعتقد أن الخطيئة لم تكن حالة معنوية من حالات النفس، وإنما كانت مثل المرض الذي ينتج عن سيطرة الشيطان على الجسد. وهذا يؤكد إيمان سكان بلاد النهرين بالشياطين وباقترانها بمفهوم الشر.

وربما عرف سكان بلاد النهرين فكرة تجسد الشيطان في الحية، حيث يوحي بذلك أثر فني ربما يرجع إلى العصر السومري أو الأكدي، ذلك الأثر الفني، يتمثل في ختم أسطواني الشكل، يرجع تاريخه إلى حوالي منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، ويمثل رجلًا وامرأة يجلسان متقابلين وبينهما شجرة، بينما تنتصب خلف المرأة حية، ورأساهما متجاوران، وتمد المرأة يدها في شكل دعوة للرجل الجالس أمامها لتناول ثمار الشجرة، ومن هنا نستدل على أن أسطورة «سقوط الإنسان» كانت معروفة في بلاد النهرين.

ويؤكد ذلك - على مستوى النصوص - وجود ملحمة كاملة تتناول سقوط الإنسان، وهي ملحمة بابلية معنونة بإسم «آدابا» التي تمثل الإنسان الأول «آدم».

http://al-maktabeh.com

جنة عدن وطوفان نوح
بين التوراة وتراث بابل

«إن نهراً يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير اربعة رؤوس».

لقد تتبعت آثار الأنهر الأربعة التي ورد ذكرها في الفصول الأولى من سفر التكوين مبدئياً من البقعة التي ذكرت التقاليد الاسرائيلية انها كانت (أبواب الجنة) ومستعيناً بالخرائط والمستويات التي توضح طوبوغرافية البلاد، فظهر لي ان الفرات يدخل دلتاه من نقطة تقع على بُعد بضعة أميال جنوب بلدة هيت عند «أبواب بابل» حيث تركت حملة كورش الصغير المؤلفة من عشرة آلاف جندي، الصحاري ودخلت السهول الدلتاوية المنتهية بخليج العرب. والذي أطلق عليه السائر نحو الجنوب في اتجاه الفرات إسم «أبواب بابل» هو الذي سماه الأسرى اليهود الذين جيء بهم إلى سهول بابل «أبواب الجنة».

والحوادث التي ورد ذكرها في الفصول الأولى من سفر التكوين وقعت في ارض لا تجود سماؤها بالأمطار، فكانت تعتمد كل انواع الحياة فيها على الري الذي هو اقدم علم عرفه الإنسان (الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض إلا انه كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض (تك 2:5 و6).

ومن البديهي انه لا يمكن ان يؤمّن الضباب المذكور، مهما كانت الحالة اولية؛ نمو الأشجار وبقاء الحدائق فلا شك اذن في أن المراد بالكلمة الأصلية التي ترجمت بالضباب (الارواء السيحي) المقابل للارواء (برجل المرء) أو (الارواء بالواسطة): وان هذه الكلمة لم ترد في أي مكان آخر في العهد القديم ومن المعقول أن يكون

http://al-maktabeh.com

المقصود بها هنا هو (الري السيحي). ولما كانت مصر والعراق وهما اقدم البلاد المتحدثة في العالم، واقعتين على حافة صحاري بلاد العرب فمن المظنون جداً ان تكون اقدم الأقوام قد استوطنت هذين القطرين انما نزحت اليهما من بلاد العرب.

وكان ظهور الجنس البشري على وجه الأرض أول مرة في مناطق حبتها الطبيعة بنعمة الغيث الوفير الذي يكفي لتغطية وجه الأرض بالعشب والغابات. وهذه الغابات هي التي كفلت بقاء الجنس البشري وحافظت عليه من خطر الوحوش الضارية المحدقة به، اذ كانت بمثابة الملاجئ الطبيعية التي تقيه عدوان هذه الوحوش وشرها. وكان تنازع الإنسان البقاء المستمر في مثل هذه البيئة القاسية بالغاً أشده، فلم يكن لدى الإنسان الأول متسع من الوقت ليقوم بعمل أساسي في تقدم الحضارة. على ان الحال تغيرت كثيراً عندما نزح الإنسان إلى الوحدات الكائنة في الصحاري أو إلى السهول الواقعة على ضفاف الأنهار كالسهل الواقع بين عانة وهيت في أعالي الفرات إذ أصبح في مقدور الإنسان في هذه البيئة الجديدة إبادة هذه الوحوش الضارية التي أخذ عددها يتناقص نتيجة كفاح الإنسان لها بينما انعدم المورد الذي كانت تأتي منه في الصحراء.

وكان القضاء على هذه الوحوش سبباً في ان يكون لدى الإنسان متسع من الوقت ليعمل في سبيل تمدنه وتقدمه العمراني. والناس الذين كانت مساكنهم تمتد من الخليج إلى هيت الواقعة على الفرات. وقد فاه بهذه العبارة الكاهن الوثني الذي كان يسكن الفرات والذي كان استعراضه لأحوال العالم الآسيوي الغربي وديانته مصدر وحي لبني اسرائيل.

لم يترك لنا العراقيون القدامى الذين سكنوا الخيام واتخذوا آنيتهم من الطين، من الآثار ما تركه لنا السومريون والبابليون ولكن بلاد العرب قذفت من اعماقها المحرقة بأبنائها الأشاوس الذين كانوا أول من أخضع سهول النيل والفرات. ومن السهل معرفة السبب الذي من أجله تفوّق سكان سهول الفرات على منافسيهم سكان سهول النيل وذلك لأن كل شيء في مصر سهل يمكن الحصول عليه دون جهد وعناء، فالنيل (ملك الأنهر) كان ولا يزال يجري ويفيض على غاية من الانتظام والوقار وهو يحمل في كل عام كميات معتدلة من الترسبات ولأجل هذا فانه لا يخلق للذين يسكنون ضفافه

http://al-maktabeh.com

مشاكل صعبة. وأرض مصر، خصبة جداً، وذات مناخ رائع في الشتاء ومعتدل في الصيف، لهذا كله فان مصر لم تنتج افكاراً عالمية ولم يكن بين أبنائها من اتصف بالنظرة الواسعة بحيث تكون له عيون تحدق من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء.

اما الحال في العراق فتختلف عن مصر كثيراً، فالسيول الجارفة التي تملأ حوض دجلة والفرت في موسم الفيضان يحتاج التغلب عليها وضبطها إلى قوة خارقة. ثم ان اراضي العراق خصبة جداً إلا ان شتاءه قاسٍ جداً في حين ان الصيف شديد الحرارة فيه، وطويل الأمد، ونسبة الفرق في درجة الحرارة في الظل كنسبة الفرق بين 20 درجة و120 درجة فهذه المدرسة القاسية التي نشأ فيها سكان بابل هي التي اوجدت فيهم هذا الارهاف في الحس والقابلية الفكرية العظيمة.

وعندما اتجه الساميون القدماء (او الأكاديون) كما كانوا يسمون انفسهم، اسلاف عرب الشمال، ومن ضمنهم بنو اسرائيل إلى الفرات تاركين وطنهم الأصلي الذي تتوفر فيه الأمطار الموسمية المنتظمة ودخلوا السهوب الواقعة في شمال بلاد العرب، كانت الواحة الأولى التي واجهوها في طريقهم هي البقعة الكائنة بين عانة وهيت. والفرات في هذه المنطقة يمر اليوم بسلسلة من الشلالات غير المنتظمة فيستخدم التيار المتكون منها في تدوير النواعير الكبيرة التي ترفع المياه فتسقي الوادي الضيق الذي ينتهي بالصحراء. وقد كانت هذه البقعة ولا تزال ملأى بالحدائق والبساتين تتخللها حقول الذرة أو القطن. وليس هذا بالأمر الغريب فالحياة والرخاء يتوافران حيث تتوافر المياه. واليوم بعد هبوط تلك الشلالات _ ذلك الهبوط الذي لاحظ نموه المطرد جكتاب عصر اوغسطين _ اصبح من الضروري الاستعانة بالنواعير في ارجاء تلك البساتين والحدائق. وتدل الطبقات الرسوبية التي نلاحظها في النهر فوق منسوب أعلى الفيضانات الحالية ان المياه كانت منذ زمن غير بعيد تؤخذ بالطريقة السيحية من مقدم الشلالات فتروى بها البساتين التي كانت واقعة جنوب هذه الشلالات والتي كانت بعيدة عن اخطار الفيضان. هكذا كانت جنة عدن الوارد ذكرها في العهد القديم.

واليوم عندما ننحدر في اتجاه الفرات فأول شيء نواجهه في هذه البعثة هو

http://al-maktabeh.com

النخيل ذلك الشجر الذي يعتبره العالم العربي بأجمعه حتى ايامنا هذه، رمزاً للحياة. (ومن الجدير بالملاحظة ان العادة المتبعة في جميع بلاد العرب هي ان من يغرس نخلة فانه يكون مالكاً لها حتى ولو كان هذا الغرس في أرض تعود إلى غيره أو في أرض ملكيتها عامة) وكانت هذه البعثة الممتدة من الفرات إلى دمشق ملأى بحقول الحنطة الكثيفة التي كانت تنمو بطبيعتها.

استهدفت مدة ثلاث سنوات دراسة نهر الفرات من منبعه إلى مصبه لأصل إلى معرفة مكان الجنة التي يمكن تأمين وصول مياه السيحية اليها خلال الاثني عشر شهراً من السنة، فظهر لي انه لا يوجد في المنطقة الواقعة جنوب هيت مكان يمكن ان تتوفر فيه الشروط المذكورة سوى الأراضي المستصلحة في منطقة الأهوار قرب خليج العرب، جنوب الناصرية، بجوار مدينة «اريدو» القديمة حيث كانت عدن السومريين التي سنتكلم عنها لاحقاً. والدليل على ذلك ان الأراضي الواقعة بين هيت ومنطقة الأهوار التي تبدأ بمدينة الناصرية شمال مدينة اور السومرية لا يمكن ان تؤمّن لها الحياة الزراعية المستديمة طوال السنة في ذلك الوقت لأن القسم المنخفض منها كان يسقى سيحا في فصل الصيف بسبب هبوط مستواه بالنسبة إلى منسوب ماء النهر. اما في فصل الشتاء فانه يصبح معرضاً لخطر الفيضان. والقسم الذي لا تصله المياه الا في موسم الفيضان بالنظر لارتفاع مستواه بالنسبة إلى مستوى النهر فانه لا يمكن ان تؤمّن له المياه المطلوبة للزراعة في فصل الصيف. وعلى هذا فاننا إذا سرنا جنوب هيت لا نجد منطقة تصلح للارواء المستديم طوال العام حتى نصل إلى منطقة الأهوار المذكورة.

(وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم اربعة رؤوس) وكانت هذه الجنة حديقة غناء مليئة بالنخيل الذي لا يزال يعتبر حتى يومنا هذا شجر الحياة كما انها كانت مليئة بأشجار الكروم، اشجار المعرفة التي حرّم أكل ثمرها. والتربة والمناخ هنا يصلحان بطبيعتهما لنمو الأشجار المثمرة على اختلاف انواعها، كالنخيل وشجر البرتقال والخوخ والإجاص. غير أن النخيل يعتبر من أهم ما تنبته هذه الأرض وذلك لأن زراعته لا تحتاج إلى جهد كبير كما يقول المثل «اغرسه في الماء واتركه فهو

http://al-maktabeh.com

ينمو بطبيعته». وينقسم النهر جنوب جنة عدن إلى اربعة فروع رئيسية، يسمى الاول «فيشون» ويشمل هذا منخفض الحبانية وابا دبس الواقعين بين الرمادي وكربلاء، واللذين تغمرهما مياه الفيضان. وكان الاعتقاد السائد قديماً أن هذين المنخفضين متصلان، ولكن المسح والتسوية اللذين أجريا أخيراً أثبتا خلاف ذلك. وقد وضعت تصاميم لربط هذين المنخفضين واستخدامهما كمخرج لسحب المياه الزائدة أثناء الفيضان وتخليص البلاد من اخطار الغرق. وبمقتضى هذا التصميم يمكن أيضاً خزن هذه المياه الزائدة للاستفادة منها لأغراض الري. وقد بوشر بتنفيذ هذا المشروع. وكان البابليون يعتقدون ان نهر فيشون، هذا يشمل كل «ارض الحويلة» وهي المنطقة الواسعة التي تمتد من حدود أور إلى بلاد آشور وذلك لأنهم شاهدوا في جوار هذه المنخفضات مئات من الأميال المربعة من الصحراء وهي مغطاة بالماء فظنوا ان هذه المياه تمتد إلى مسافات طويلة في جزيرة العرب. ويرى الناظر اليوم في هذه المنطقة طبقات كثيفة من المحار «الصدف الفراتي» تغطي وجه الأرض من حدود النهر إلى مسافة تبلغ 50 ميلاً داخل حدود الصحراء. وقد اطلق عليه في سفر عزرا إسم (اهورا). اما في زمن الاسكندر فكان يسمى (بالكوباس) وكان يسمى في اوائل عهد الخلافة الإسلامية نهر الكوفة. وهذا النهر يشمل كل منطقة كوش إلى نمرود الذي تبدأ مملكته في بابل واوروك واكاد وكلدة الواقعة في سهل شنعار وكان يطل إسم (كوش) في زمن موسى على بابل. أما في عصر الأنبياء فكان يطلق هذا الإسم على اثيوبيا ولا شك أن (جيحون) كان يملك كل أراضي كوش في زمن موسى وقد حكم الكوشيون هذه الأراضي مئات السنين. والنهر الثالث كان يعرف بإسم (حداقل) و(دقل) و(دجلة) وهو فرع الصقلاوية الحالي. ويبلغ عرض هذا النهر 250 قدماً أما عمقه فيبلغ 25 قدماً. وهو يشبه في جريه مصنع القناة التي تدير الطاحونة. أما إتجاه جريه فانه ينحدر أولاً نحو منخفض عقرقوف ثم يمر من هناك فيصب في دجلة قرب بغداد. وهذا النهر لو ترك وطبيعته فان في إمكانه أن يزود دجلة بأكثر من نصف مياه الفرات. ولا شك ان الأقدمين كانوا يعتبرونه المنبع القديم لدجلة أما إعتقاد البابليين «بانه الجاري شرقي آشور» فهو في الحقيقة نصف مطابق للواقع

http://al-maktabeh.com

تماماً. والنهر الرابع الفرات وهذا النهر غني عن التعريف فهو نهر بابل نفسه.

وكما نقل البابليون الأولون إسم دجلة البابلي معهم إلى نينوى كذلك أطلقوا بلا شك بعد مضي أزمنة طويلة إسم نهر بابل على المجرى العظيم الذي كانت ضفافه مهداً للجنس البشري. فكان هناك اسمان لنهرين احدهما الفرات والآخر دجلة.

سبق لي أن ذكرت ان مستوى الماء في المنطقة الواقعة بين عانه وهيت قد هبط في الخمسة آلاف أو الستة آلاف سنة الأخيرة حتى اصبح من المتعذر ارواء الجنائن الواقعة في تلك السهول بطريقة الري السيحي كما كان الحال سابقاً واعداً من الضروري استخدام النواعير لتأمين إرواء تلك الأراضي القديمة. اما الهبوط الذي حصل في مستوى الماء في دجلة فكان عظيماً وفجائياً. فقد بلغ في شمال سامراء 40 قدماً في الخمسمئة سنة الأخيرة وبذلك تحولت الجنائن الخضراء التي كانت تروى في هذه المنطقة إلى صحاري قاحلة.

ويرمز بآدم إلى الذكور من البشر ويرمز بحواء إلى الاناث منهم، كما يرمز بقابيل إلى طبقة الفلاحين وهابيل إلى طبقة الرعاة. وهذه هي الطريقة الشرقية في تسجيل الحقائق أو سرد الحوادث فقولهم «كوش ولد نمرود» معناه أن الأسرة البابلية أعقبت الأسرة الكوشية وأن نهر بابل اعقب نهر كوشا المتشعب من الفرات. فلو اردنا ان نعبّر عن استقلال الولايات المتحدة بلغة العهد القديم لكان علينا ان نقول: «ان جورج الثالث ملك انكلترا ولد جورج واشنطن الذي بدأت دولته في بوستون ونيويورك وفلادلفيا وسافا».

وكان اول السكان الساميين المتحضّرين الذين استوطنوا البقعة المحصورة بين عانه وهيت، يعتمدون في حياتهم على الري. ولكن هبوط الشلالات في تلك المنطقة حرمهم من المياه التي كانت تروي جنائنهم واستحالت اراضيهم الزراعية إلى صحاري قاحلة فاضطروا إلى مغادرة ديارهم والاتجاه شرقاً غير انهم لم يجدوا سوى منطقة مليئة بمنابع القار والنفط وهي منطقة محرقة وموحشة تقع شرق مدينة هيت وقد تراءت لهم هذه المنطقة كأنها اصيبت بلهيب سيوف سيرافيم الملاك.

http://al-maktabeh.com

كلكامش ونبتة الخلود

اختبر البشر منذ مقتل هابيل بيد أخيه قائين أنهم مائتون، ومع ذلك بحثوا عن الخلود. في عدد من الأخبار القديمة، اعتبر «البطل» أن الموت أمر لا بد منه، هو في طبيعة الأشياء، فلا يبقى له سوى الخضوع. في هذا المجال، قالت صاحبة المقهى (الحانة) لكلكامش الباحث عن الخلود:

حين الآلهة خلقوا،
جعلوا الموت للإنسان.
والحياة احتفظوا بها في أيديهم.

وفي المجال عينه، تحدّثت إحدى قصائد أوغاريت، دانيل وأقهات، عن هذا الانصياع الأساسي لدى الإنسان أمام الموت. عرضت الالهة عناة على أقهات الخلود، شرط أن يعطيها قوسه السحرية، أما هو فما وقع في شباكها، بل دلّ على حكمته فقال:

لا تخدعي البطل بترهاتك
فأية آخرة ينالها الإنسان؟
وأي مصير في المستقبل؟
يصبّون على رأسي شيئاً أبيض،
يصبّون الرماد على جمجمتي
بما أن الجميع يموتون، فأنا أموت.
أنا مائت، إذاً أنا أيضاً أموت.

وحده كلكامش رفض الإنصياع لفكرة الموت. منذ البداية بحث عن الخلود.

http://al-maktabeh.com

هذا الملك العظيم بنى أسوار أوروك. وطغى وتجبّر. فمن يوقفه؟ لا أحد بين البشر. فأمه هي الإلهة ننسون، وهو ملك إبن ملك. إشتكى البشر إلى الآلهة، فخلقوا له انكيدو، هذا العائش وسط الوحوش في الفيافي. وكان صراع بين الاثنين أملاً في أن يقتل انكيدو كلكامش، ولكن البطلان تصالحا وصارا صديقين حميمين.

وصعد كلكامش مع صديقه إلى جبل الآلهة، إلى غابة الأرز، بحثاً عن الخلود فانتظرهما الموت هناك عبر الوحش «خمبايا» حارس الغابة ولكنهما قتلا الوحش وعادا.

أحبّت عشتار كلكامش، العائد منتصراً إلى أوروك، فرفض حبّها المتقلّب. أرسلت عليه وحشاً جامحاً فدمّر أوروك، ولكن البطل قهره. وساعة ظن كلكامش أن الموت لا يطاله، رأى صديقه انكيدو يموت موتاً بطيئاً في مرض سري. وكان البطل حاضراً في نزاعه، ضعيفاً لا يقدر أن يفعل شيئاً. حينئذ وعى أنه مائت. مع أن ثلثيه من الآلهة وثلثه من البشر.

وبدأ التحول لدى كلكامش: الموت أمامه. فبحث عن وسيلة ليفلت منه، وانطلق يطالب الإنسانين الوحيدين اللذين لم يموتا في الطوفان: أوتونابشتيم وزوجته. أوتونابشتيم هو «حياة الأيام الطويلة».

في بداية الرحلة، بكى كلكامش صديقه ورفيق دربه انكيدو بمرارة وتاه في البراري، كما تقول القصيدة:

«انصتوا إليّ يا شيوخ أوروك. اسمعوني.
انني أبكي صديقي انكيدو،
أبكي بحرقة النساء الندابات،

* * *

من أجل أنكيدو، صديقه،
بكى كلكامش بكاءً مريراً هائماً في البراري:
ألن يدركني إذا مت، مصير أنكيدو؟

http://al-maktabeh.com

سكن الأسى فؤادي،
انتابني هلع الموت حتى همت في البراري
والى أوتونابشتيم ابن أوبارا
توتو
اتخذت طريقي أخذت السير سريعاً».

وتابع كلكامش المسيرة، فوصل إلى سيدوري صاحبة المقهى، والمقهى في العالم الرافديني يقع على حدود المدينة، وفي نقطة الانطلاقة إلى الخارج. وهناك يلتقي عالمان مختلفان.

وهكذا ترك كلكامش عالم البشر، بعد أن عبر جبل الشمس، وجاء يتدرّج لدى صاحبة الحانة، على أسرار العالم الجديد الذي يستعدّ لولوجه:

وصل كلكامش جبل ماشو
الذي يحرس الشمس في قدومها وإيابها كل يوم
وتناطح ذراه حدود السماء
وتمتد قواعده عميقاً نحو العالم الأسفل
يحرس بوابته البشر العقرب...
فدعا الرجل العقرب زوجه:
إن القادم إلينا من طينة الآلهة
فأجابت زوجة الرجل العقرب
ثلثاه اله وثلثه بشر

* * *

كانت سيدوري سيدة الحانة قد أغلقت الباب في وجهه خوفاً من أن يقتلها. فهدد بخلع الباب وتحطيم المصاريع وقال:

«أنا كلكامش، أمسكت بثور السماء وقتلته.
صرعت حارس الغابة

http://al-maktabeh.com

قضيت على خمبابا، ساكن غابة الأرز
ذبحت الأسود في مسالك الجبال».
فقالت له فتاة الحانة:
«إذا كنت كلكامش الذي قتل حارس الغابة إذا كنت من صرع خمبابا، ساكن غابة الأرز
وذبح الأسود في مسالك الجبال
وأمسك بثور السماء وقتله،
فلماذا أضمرت وجنتاك، واكتأب وجهك؟
لماذا توجع منك القلب وتبدلت الملامح؟
لماذا استقر الكرب في فؤادك؟»
وكان الجواب:
«أهيم في البراري كل حدب وصوب
فما لي من راحة، وما لي من سكون
وأنا، أفلا أرقد مثله
ولا أفيق».
ثم أردف كلكامش قائلاً لفتاة الحان.
والآن، أين الطريق إلى اوتونابشتيم يا فتاة الحان؟
كيف المسير إليه؟
لأقطعن البحر إن استطعت
وإلا سأبقى هائماً في البراري (دهري)
ووصل كلكامش إلى جزيرة الخلود حيث يقيم أوتونابشتيم، وقصّ له كيف وصل الخلود بعد الطوفان العظيم وقال له:
«أنظر اليك يا أوتونابشتيم
شكلك عادي، وأراك مثلي

http://al-maktabeh.com

فقل لي، كيف صرت مع الآلهة ونلت الحياة؟
فقال له أوتونابشتيم:
«كلكامش، سأكشف لك أمراً خبيئاً
وأطلعك على سرّ من أسرار الآلهة
وراح يقصّ على مسامعه خبر الطوفان بالكامل وما جرى له مع الآلهة التي أحبته ورفعته إلى مصافها مع زوجته.
وهنا قالت له زوجته:
قالت لأوتونابشتيم القاصي.
لقد أتعب كلكامش نفسه وأضناها في الوصول إلينا،
فما عساك تعطيه (يحمله) عائداً إلى بلاده؟
فقال له أوتونابشتيم:
«قد أتعبت نفسك في الوصول إلينا، وأضنيتها.
سأبوح، لك بأمر خبئ،
وأطلعك على سرّ من أسرار الآلهة.
هناك نبتة تشبه الشوك
تخزّ يدك أشواكها كما الورد
فإذا جنت يدك تلك النبتة، وجدت حياة جديدة.
فلما سمع كلكامش هذا فخ (القناة) ربط إلى قدميه حجراً ثقيلاً، جذبه غائصاً إلى الأعماق، هناك رأى النبتة.
أجتثها، وخزت يداه.
حلّ عن قدميه الحجر الثقيل
فرماه البحر على الشاطئ
حينئذ قال لأورشنابي:
«إنها لنبتة عجائبية يا أورشنابي

http://al-maktabeh.com

بها يستعيد الإنسان قواه السابقة.

سأحملها معي إلى أوروك المنيعة، وأعطيها للشيوخ يقتسمونها.

وأسميها رجوع الشيخ إلى صباه

ولسوف آكل منها (أيضاً) فأعود إلى شبابي وقفل كلكامش راجعاً إلى أوروك...

وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة، حلّ الليل، ورأى كلكامش بركة ماء بارد. نزل فيها واستحم بمائها. فتشممت أفعى رائحة النبتة. وتسللت خارجة من الماء وخطفتها. وفيما هي عائدة، تجدد جلدها.

وهنا جلس كلكامش وبكى فاضت دموعه على خديه، وبعد كل هذا التعب الذي تعبه، والدماء التي سالت منه. فما بقي أمام كلكامش سوى الموت الذي ينتظره... وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقف لقضاء الليل، وعندما وصلا اوروك المنيعة... قال كلكامش لأورشنابي الملاح:

«أي اورشنابي. أعلّ سور أوروك، امش عليه، إلمس قاعدته، تفحّص صنعة آجره»...

وهنا تنتهي ملحمة كلكامش التي كشفت لنا عن نبتة (شجرة) الحياة التي انتقلت إلى سفر التكوين في التوراة وصارت النبتة شجرة.

http://al-maktabeh.com

شجرة الحياة
في التراث البابلي والتوراتي

في العام 587 قبل الميلاد سبى نبوخذنصر أكثر من أربعين ألف نسمة من يهود أورشليم إلى عاصمته بابل ومكثوا هناك إلى العام 539 ق.م. وكان بينهم الأمراء والكهنة والكتبة والمثقفين، فبهرتهم عظمة بابل بقصورها ومعابدها وحدائقها، والأكثر، تراثها الفكري والروحي. فاستفادوا من طروحاتها الثقافية والأخبار المتداولة في حضارة بلاد الرافدين: فاطلعوا على قصيدة الخلق الأولى (اينوما ايليش) وملحمة كلكامش، ونشيد الزواج المقدس وشريعة حمورابي وغيرها من الكتابات السومرية الأكادية، ثم البابلية والآشورية.

نعم، عرفوا ملحمة كلكامش وما تحمل بين طياتها من كلام عن مصير الإنسان، ومن بين سطورها عرفوا الطوفان الذي كاد يفني الخليقة بسبب الخطيئة. وقرأوا عن البطل اتراحسيس (الذكي جداً) الذي روى أن الآلهة خلقوا البشر لكي يخففوا عن الآلهة الصغار عناء العمل لإطعام الآلهة الكبار.

كما أنهم تمعنوا في القصيدة البابلية التي تدور أحداثها حول الخلقة ونقصد بها (الاينوما ايليش) التي يبدأ مطلعها (لما في العلاء لم يكن سماء) إنطلقت من الفوضى الأولى «توه وبوه» فعظّمت الإله مردوخ، إله بابل الأعلى الذي دحر تيامات، إلهة البحر، ثم نظم الخلق والخليقة كل في مكانه.

من مثل هذا الخبر إنطلق سفر التكوين في فصله الأول، فأرانا الرب بفصل النور عن الظلمة، والماء عن اليابسة، وزيّن السماء بسراج ومنارات هي الشمس والقمر

http://al-maktabeh.com

والكواكب. ولكن كل هذا بدأ بفعل إيمان رائع: «في البدء خلق الله السماوات والأرض» (تكوين 1:1).

رموز عدة وصور أخذت من الأدب الرافديني. ودخلت في الأدب التوراتي وهناك الحية ودورها في خسارة نبتة الحياة التي كان بإمكانها أن تمنح كلكامش الخلود. وجبلة الإنسان من تراب الأرض، وصورة نوح الذي لم يصر خالداً مثل اوتونابشتيم بطل الطوفان البابلي. والشجرة، شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر، من أين ينطلق رمزها وكيف وصلت هذه الصورة إلى سفر التكوين في فصله الثاني؟

إن مفهوم شجرة الحياة في تراث الرافدين القديم، وهو كونها تعني الألوهة، لأن كلمة «إيلانا» الأرامية أو البابلية الأكادية هي الألوهة، فالكلمة (ايلانا) مركبة من إيل - آنا، وتعني الاله أنا، وهذا بالفعل هو الحقيقة حيث إيلانا - إيل آنا - اله - الآله - الله. حيث أن الإنسان الأول في وادي الرافدين - إن صح التعبير _ أول ما عبد، تعبّد للشجرة التي يأكل من ثمارها، ويبني بيته من جذعها وسعفها (أغصانها) ويتدفأ بحطبها، ويصنع من خشبها كل أدواته البيتية، فكانت بالنسبة له هي الحياة، ولهذا الاعتبار، تكون الشجرة هي الحياة المقدسة، أي حياة الألوهة الخالدة خلود الشجرة. وعليه فإن ربط الحياة بالألوهة، والألوهة بالحياة، تعني حياة الاله القادر على الخلق والابداع. ومن هنا ترتبط الفكرة بين الألوهة والحياة إلى الله الواحد في التوراة والتي يصبح فيها الله الخالق لكل الكائنات، والضابط الكل كما ورد في قصة الخلق الاينوما ايليش البابلية. وهي بالذات (شجرة الحياة - الايلانا) تنتقل إلى سفر التكوين (الفصل الثاني) حيث نعرف ان الله «أنبت من الأرض كل شجرة حسنة المنظر، طيبة المأكل، وكان من بينها شجرة الحياة».

في معنى أول يبرز أمامنا أن الشجرة تبدو هنا سنداً لفكرة هامة: الحياة هي كالإطار بالنسبة إلى لوحة فنية. والمهم ليس الإطار بل اللوحة. وكذا نقول هنا: المهم ليس الشجرة بل الحياة التي تحملها الشجرة.

http://al-maktabeh.com

فالكاتب التوراتي يريد أن يحدثنا عن جنة مغايرة لجنة بابل، جنّة يتمتع الإنسان فيها بالحياة مع الله الذي يمنحها له من خلال عيش الإنسان وارتباطه مع الله. فالجنة والحال هذه حالة ميتافيزيقية ينعم بها من يدركها روحياً، على خلاف الجنة السومرية – البابلية الحسية. لهذا حينما طرد إله العهد القديم الإنسان من جنته الروحية، أصبح كل شيء عنده وهماً بينما في الجنة الرافدينية، تغير كل شيء إلى «شوك وعوسج» وما عادت كل الأشجار تهمه لا سيما شجرة الحياة.

وفي معنى ثانٍ، الشجرة في العالم القديم رمز مقدّس يمثل الألوهة كما سبق وأسلفنا، وهو لا يزال حاضراً إلى اليوم لدى قبائل عدة في أفريقيا.

وهكذا يلتقي كلكامش مع سفر التكوين في الكلام عن «نبتة» أو شجرة الحياة. ولكن في ملحمة كلكامش عطية الحياة ترتبط بالبحث عن النبتة التي يعثر عليها في قاع البحر، والإنسان يصل إلى الخلود بهذه الطريقة الحسية التي في النهاية لم توصله إلى الخلود حيث سرقتها الحية منه فنالت هي الخلود.

أما شجرة الحياة في العهد القديم، فترمز إلى الحياة الأخرى مع الله.

في الصورة الأولى، الذي منع الخلود وأبعده عن كلكامش هي الحية، حيث أتت سرّاً وسرقت تلك النبتة العجيبة. أما في سفر التكوين الصورة الثانية، فالحية خدعت الإنسان بكلامها المعسول، فقطعت الطريق إلى الوصول إلى شجرة الحياة: هناك إشارة في كتاب أخنوخ عن شجرة الحياة، فقال في «كتاب الساهرين»: «وسط هذه الأشجار، كانت شجرة جميلة ما سممت من قبل عطرها (ولا نال أحد هذه السعادة) وما كانت تشبه شجرة أخرى. كانت تنشر عطراً يتفوّق برائحته على كل الطيوب. ورقها، زهرها، والشجرة نفسها لا تذبل أبداً. ثمرها جميل ويشبه عناقيد النخل. فقلت: ما أجمل هذه الشجرة ورائحتها، أوراقها وأزهارها تسرّ النظر». (بولس الفغالي، أخنوخ، الرابطة الكتابية 1999 ص 51).

وتحدث نيوفيتي الذي كشف في رومة عام 1956 عن الفردوس فقال: «وأنبت الرب الاله من الأرض كلّ شجرة شهية للنظر وطيبة للمأكل وشجرة الحياة في وسط

http://al-maktabeh.com

الجنة وشجرة المعرفة: كل من يأكل منها يعرف أن يميز الخير والشر». (بولس الفغالي، ترجوم نيوفيتي، سفر التكوين، الرابطة الكتابية 2002 ص. 31).

أما ترجوم يوناتان فأضاف تفصيلاً آخر: «وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة... وشجرة الحياة في وسط الجنة... مثل ارتفاعها مسافة 500 سنة والشجرة التي يأكلون من ثمارها فيميزون بين الخير والشرّ» (بيبليا، الفغالي، العدد 25، ص52).

ونصّ سفر التكوين الذي كتب في القرن الخامس قبل الميلاد، أفترض أن الإنسان مائت لا محالة بسبب الخطيئة حسبما قال الله للإنسان الأول. أما شجرة الحياة التي منع الإنسان الأكل منها، فقد صارت غاية لا يمكن الوصول اليها إلا بالسعي المستقيم والتجرّد الكامل عن الحياة ليكسب الحياة كما فعل كلكامش مع أوتونابشتيم. فيكون النص التكويني، والحال هذه، متأثر إلى حد بعيد بالنص الملحمي لكلكامش، حيث يلتقيان بالغاية والوسيلة اللتين تؤديان بالإنسان إلى الخلود في الحياة الثانية.

الخلاصة

إن بلاد الشرق الأوسط من العراق إلى سورية مروراً بلبنان وفلسطين وانتهاء بالأردن، هذه البلدان القديمة حضارة وتراثاً، تلاقت وتفاعلت فيها مظاهر الحضارة جميعها الفكرية والروحية والاجتماعية حتى السياسية والاقتصادية وفي مقدمتها الأديان التي تبناها أبناء البلاد آلهة وليتورجيات، السومرية والبابلية والآشورية مع الكنعانية والأرامية مع الفينيقية والحثية، حيث استقى من هذا التراث الخالد والغنى الكبير المتنوّع والمترادف.

فالفكر الروحي المعجون بالإيمان البرئي، فخبرة الخلق هي في سومر وبابل ومدن كنعان، والصور ذاتها للآلهة العديدين، أو الإله الواحد، الاله الأعظم الذي

http://al-maktabeh.com

يخلق الإنسان على صورته ومثاله، من دمه وظله، من التراب والماء. ورغبة هذا الإنسان في الخلود والتغلب على الموت رافقت جميع الشعوب الشرق أوسطية – الأدنوية، فراح الفرعون في قاربه الخاص للقاء إله الشمس آمون، وكذلك البابليون ينادون على الاله أوتو آله الشمس شماش، وكذلك الفينيقيون تحدثوا عن موت وقيامة أدونيس وأيضاً سبقهم السومريون البابليون بموت دوموزي ونزوله إلى العالم الأسفل ثم صعوده مع إلهة الحب إينانا (عشتار).

أما كلكامش فقد تطلّع إلى الخلود، وفي النهاية فهم أنه مائت مثل صديقه أنكيدو. وإن نبتة الحياة سرقتها الحية منه. واعتبرت التوراة أن الإنسان لن يصل إلى الحياة الخالدة، لن يستطيع أن يقطف من ثمر شجرة الحياة، إلا إذا خضع لله الذي وحده هو الحياة وواهبها لمن يشاء من خلقه.

من هنا بدأت مسيرة الحياة الحقيقية، مسيرة الخلاص والايمان التي أطلقها يسوع المسيح وتبنّاها.

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

«أور» مدينة إبراهيم

«أور» إسم سومري معناه: النور، الضياء، اللهب، الفجر.

موقعها:

تقع «أور» في بلاد سومر، جنوب العراق، وتبعد 9 كيلومترات عن نهر الفرات (شرقه) وتمتد على تلال عدة باقية لغاية اليوم. أخذت مكانتها وأهميتها في التوراة، لأن منها انطلق إبراهيم الخليل وعشيرته (تكوين 11:28). وكشفت الحفريات ان هذه المدينة تعود إلى ما قبل الألف الرابع قبل الميلاد.

بناها السومريون، واحتلها الأكديون ثم البابليون والعيلاميون والكلدانيون على التوالي. وأثبتت الدراسات والاكتشافات الحديثة ان مدينة «أور» كانت مركزاً لحضارة راقية. وتقول سجلاتها القديمة التي اكتشفت فيها ان بعض ملوكها حكموا سنين طويلة. كما ترجّح بعض المراجع أن فيها طبقة من رواسب الطمي تدل على أن طوفانا عظيماً وقع في أرض ما بين النهرين.

وتقول بعض المراجع العلمية الحديثة أن حضارة وادي الرافدين وقبل أكثر من خمسة آلاف سنة إتسعت وسيطرت على كل الشرق الأوسط، وإن «أور» هي أول مدينة عُرفت بكثرة سكانها وتطور الاقتصاد فيها. ويروى أنها أول منطقة وجد فيها السيراميك في ذلك العصر. كما أن الشرق عرف في هذه الفترة ازدهار الزراعة وتطورها.

ومن أهم ما بقي من آثار المدينة مقبرة ملكية يرجع تاريخها إلى 2500 سنة ق.م، وتحتوي على جواهر ثمينة ومصنوعات من الفضة والذهب. وقد دلّت

http://al-maktabeh.com

الكشوفات على أن ثمانية وستين من الخدم قد دفنوا مع الملكة «شبعاد» ليقوموا بخدمتها في الحياة الأخرى.

وقد امتدت «أور» في عصر الملك «اورنمو» حوالي عام 2350 قبل الميلاد، على معظم أراضي ما بين النهرين. وقد شيد الملك «زقورة» أو برجاً هيكلاً عظيماً، وكان الاله نانا «سين – القمر» يعبَد على قمته. وتتجلى مكانة «أور» التجارية المهمة، من خلال ما عثر عليه من لوحات طينية كتبت عليها وثائق معاملات تجارية.

ولدى وصول الفرس، تحولت «أور» إلى مدينة ثانوية، وخسرت كل اهميتها.

مراحل تاريخ أور:

مرت أور بثلاث مراحل:

أور الأولى (حوالي 2950 قبل الميلاد).

أور الثانية (2800 قبل الميلاد).

أور الثالثة (2350 قبل الميلاد).

مع تعدد الملوك في كل مرحلة من المراحل.

سنة 2500 ق.م بدأت اول سلالة في «أور» مع «أورنامو» الذي معه بدأت نهضة سومرية، والذي ترك لنا أقدم مجموعة من الشرائع وصلت الينا حتى الآن، ومنها شريعة حمورابي. وهناك اكتشفت المدافن الملكية، والى ذلك الزمن تعود الزقورة المشهورة التي نجدها اليوم قرب تل المقيّر.

بدأ التنقيب في «أور» سنة 1853 م. فظهر ان تاريخها يعود إلى الحقبة السابقة للتاريخ وتحديداً إلى الألف الرابع الخامس قبل الميلاد. وقد اكتشف فيها أول أثار للكتابة مع لوحات عدة في كتابة مسمارية تصويرية.

وفي الزمن السومري، سيطرت «أور» ثلاث مرات على جنوب بلاد ما بين النهرين. ثم سيطر عليها المحتلون الفرس لغاية سنة 529 ق.م.

http://al-maktabeh.com

إبراهيم في «أور»

«أبرام» إسم حمله أول الآباء في التوراة: «تارح» والد «أبرام» و«ناحور» و«هاران» من نسل «سام بن نوح» (تكوين 11:26) «ولا يكون اسمك أبرام بعد اليوم، بل اسمك إبراهيم» (تكوين 5:17) وقال له: «أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثاً لك» (تكوين 5:17).

ولا يقتصر إسم الكائن على الدلالة على شخصه، بل يحدد شخصيته أيضاً. فإذا حدث تغيير في الإسم حدث تغيير في المصير. هكذا الحال في إسم يعقوب حين استبدل الله اسمه بإسرائيل (تكوين 10:35) وإسم أبرام أو إبراهيم يعني «الأب العظيم» «كريم النسب» أو «أب شعوب كثيرة».

تدل المراجع الكتابية على أن إبراهيم ينتمي إلى قبائل البدو التي جاءت من بلاد الرافدين بين سنة 2000 و 1700 ق.م إلى بلاد كنعان.

واذا عدنا إلى سلسلة التوراة، نجد انه يرتبط بمعظم القبائل بنسل «عابر» وعاش «عابر» بعدما ولد «فالج»، أربعمئة وثلاثين سنة، فولد «بنين وبنات» (تكوين 16:11)، كما اتصل بواسطة اخيه ناحور بالأراميين (تكوين 22:2-24) وبابنه اسماعيل بالاسماعيليين (تكوين 21 18:21-) وبابنه اسحق وحفيده يعقوب أو اسرائيل ببني اسرائيل، وبامرأته قطورة بعدد من القبائل العربية (تكوين 25:1-4) وبابن اخيه لوط، بالموآبيين والعمونيين (تكوين 38-19:36).

موطنه:

موطن إبراهيم هو أور في بلاد كلدة (الكلدانيين) حسب ما جاء في نحميا:

http://al-maktabeh.com

«انت الإله الذي اخترت أبرام وأخرجته من أور الكلدانيين وجعلت اسمه إبراهيم» (نحميا 9:7). والأمر معروف عند شعب الله ان موطن إبراهيم هو أور الكلدانيين، وقال له: «أنا الرب الذي أخرجك من اور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثاً لك» (تكوين 15:7). وجاء في يهوديت: «ان هذا الشعب هو من نسل الكلدانيين. أقاموا أولاً في ما بين النهرين، لأنهم أبوا اتباع آلهة آبائهم المقيمين بأرض الكلدانيين» (يهوديت 5: 7–6).

ومن شارحي التوراة من يقول إن إبراهيم معاصر لحمورابي، ومنهم من يستبعد هذا التقارب في التواريخ.

وعلى الرغم من الازدهار في تلك الحقبة، لم تخل من الحروب والغزوات وحتى الاضطهادات في بعض الأحيان. وهناك مرجع يقول ان مجزرة كبرى حصلت في أور مما أدى إلى هجرة قبيلة «تارح» منها خوفاً من النزاعات الداخلية والاحتلالات الخارجية.

عاش إبراهيم الجزء الأول من حياته مع أبيه واخوته في أور الكلدانيين وتزوج من ساراي، وبعد موت أخيه هاران، رحل هو وزوجته وتارح أبوه ولوط ابن أخيه من اور. وينسب الكتاب المقدس هجرته إلى أمر من الرب: «وقال الرب لأبرام: انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك. وأنا أجعلك أمة كبيرة وأباركك...» (تكوين 12: 2–1)، ويقطع أبرام جميع روابطه الأرضية لينطلق إلى بلد مجهول.

رحيل إبراهيم كان بطلب مباشر من الله، وهو أن يترك كل شيء. وقد عبّر الكاتب عن متطلبات الله هذه عندما حشد المفردات وجمعها: «أرضك، عشيرتك، بيت أبيك». اراد الرب ان يقلعه اقتلاعاً كاملاً، فلا يبقى له شيء يربطه بعبادة الأوثان. فقد تجرد هذا الرجل المتعلق بربه الطائع لأوامره من كل شيء وارتحل. وقد قالت فيه الرسالة إلى العبرانيين انه رجل ايمان: «بالايمان أطاع إبراهيم وقد دعي، فخرج إلى موضع كان ينبغي أن يأخذه ميراثاً، خرج لا يدري إلى أين يذهب» (عبرانيين 11:8).

http://al-maktabeh.com

التوراة الأوغاريتية

المقدمة

تقع مدينة أوغاريت في تل رأس شمرا على بعد 15 كيلومتراً شمال اللاذقية، تمتد فوق هضبة إرتفاعها عشرون متراً عن سطح البحر ومساحتها حوالي ثلاثين هكتاراً.

إكتشفت أوغاريت عام 1928 مصادفة عندما اصطدمت سكة محراث فلاح من أهالي قرية رأس شمرا بحجارة منحوتة ضخمة، تبين أنها سقف لمدفن أثري عائلي، وصل خبر هذا الاكتشاف الهام إلى السلطات في اللاذقية، وتشكلت على أثر هذا الاكتشاف بعثة أثرية للعمل في الموقع برئاسة عالم الآثار الفرنسي كلود شيفر. وقد أظهرت نتائج التنقيب الأثري في الموقع واحدة من أشهر الممالك السورية في تاريخ الشرق القديم.

وأهم عناصر هذا الاكتشاف النصوص الكتابية المحفورة على ألواح من الطين والحجر، وهذه النصوص تخبرنا عن العلاقات الدولية، ورجال الحكم، والملاحم والأساطير، والمجمع الإلهي، والحياة السائدة في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد في أوغاريت والمنطقة وقبرص وشرق المتوسط.

الإسم والهوية

يحمل الموقع حالياً إسم «رأس شمرا»، وسبب هذه التسمية هو كثرة انتشار نبات «الشمرة» فوق الهضبة التي تضم في باطنها آثار الموقع القديم «أوغاريت»، أما الإسم القديم «أوغاريت» فيعود في الغالب إلى حوالي أربعة آلاف عام خلت؛ وقد

http://al-maktabeh.com

وجد ذلك الإسم في الرقم المكتشفة في عاصمة مملكة ماري القديمة على الفرات. وفي القرن الثاني عشر قبل الميلاد كان إسم أوغاريت معروفاً جداً لدى حضارات الشرق القديم، ويعتقد أن اسمها اشتق من كلمة «أوغارو» التي تعني «الحقل» في اللغة الأكادية البابلية. وهذا يبرهن أن المدينة كانت أكادية النشأة والحضارة، أسسها الأكاديون لدى اجتياحهم للمنطقة أيام سرجون الأكادي.

المعتقدات

تعتبر النصوص الكتابية المنسوخة على الطين المشوي التي اكتشفت في أوغاريت أهم مصادر المعرفة عن الديانة خلال الألف الثاني قبل الميلاد؛ وكانت العبادات في أوغاريت منصبة في شكل خاص على العبادات الزراعية لأنها مرتبطة مباشرة بالأرض والنبات والمناخ والنشاط البشري للمجتمع الأوغاريتي، الذي كان يتكون يومذاك من الكنعانيين والأكاديين.

ونستطيع أن نحدد تصورات الشعب الكنعاني الأوغاريتي الدينية، في مبدأين أساسيين:

أولهما : عملية الخلق الكوني من قبل رب واحد.

ثانيهما: الإنجاب والخصب وما يرافقهما من ظواهر طبيعية؛ وكان لهذه المعتقدات انعكاس مباشر على الفنون الأوغاريتية؛ فقد عشق الإنسان الأوغاريتي الجمال الأنثوي، فصنع إلهة الحب والحرب والخصب، وجسدها بالتماثيل، وبنى لها المعابد. وقد تعددت الآلهة على اختلاف مظاهر الطبيعة. متأثراً إلى حد بعيد بالأكاديين والبابليين.

الديانة والآلهة

يضم مجمع الآلهة الأوغاريتي الذي يترأسه كبير الآلهة إيل، عدداً من الآلهة

http://al-maktabeh.com

ذوي الاختصاصات المتنوعة، ومن الآلهة الأوغاريتية نذكر:

إيل: وهو كبير الآلهة، سادت عبادته كل مدن بين النهرين بدءاً من وادي الرافدين، وقد أطلق عليه الكثير من الألقاب منها: أبو البشر، وخالق الكون، والحكيم، والحاكم المطلق الذي يدير شؤون الآلهة.

بعل: ويعني السيد، الزوج، وتدور معظم الأساطير الأوغاريتية حوله، وهو رب الطقس.

دجن: عرف في بلاد الرافدين وسورية. له أهمية كبيرة، وله معبد في أوغاريت، وهو الإله الحامي، واهب الأرزاق والحبوب.

عشتار: هي إلهة سومرية آكادية، واهبة الخير والخصب، وقد أشارت النصوص الأوغاريتية إلى مكانتها الكبيرة إلى جانب إيل.

هناك أيضاً آلهة أخرى أمثال سحر، وسالم، وكوثار رب الحرف والفنون، وقد ورد إسمه في النصوص الأوغاريتية، ويسمى إله البحار وغيرها[1].

الميثولوجيا

تتمتع أوغاريت بميثولوجيا خاصة، تبرز فيها العديد من الأساطير، نقف على اثنتين منها، وهي:

1 . أسطورة دانيل وأقهت:

كان دانيل ملكاً عادلاً ليس له ولد، فابتهل إلى الآلهة التي رزقته ولداً اسماه أقهت، كان ولداً وسيماً. وعندما كبر، أصبح صياداً ماهراً. وفي إحدى رحلاته إلى الصيد، طلبت منه الربة عنات قوسه وسهامه، مقابل مقدار كبير من الذهب، وأن تمنحه الحياة الأبدية. لم يوافق أقهت على طلبها، فغضبت منه الربة عنات، وذهبت إلى يفطان المقاتل السكير تطلب منه أن يقتل أقهت للحصول على قوسه وسهامه. وعد يفطان

(1) التفاصيل لدى جمال حسن حيدر، أوغاريت، طبعة أولى، دار المرساة، اللاذقية، 2002، ص 79.

http://al-maktabeh.com

الربة عنات بتنفيذ طلبها، فحولته عنات إلى عقاب، وطار إلى مدينة عبليم حيث يصطاد أقهت الطرائد ويقدمها أضاحي للرب إيل. انقض يفطان على أقهت وقتله. وجاءت عنات فأخذت القوس والسهام، وحاولت أن تعيد إليه الحياة من جديد، فلم تستطع لأنها لم تعثر على قلبه الذي أكلته العقبان، فأطلقت النواح نادمة على قتله، لأن في موته ستجف ثمار الحقول. عندما سمع دانيل بموت ولده أقهت، أطلق صراخاً مدوياً اختلط مع نعيق العقبان، ثم بكاه سبعة أعوام. أما بجت أخت أقهت فقد قررت الانتقام له من قاتله يفطان، فذهبت إلى مدينة عبليم وقابلت يفطان، وقدمت له الخمر الكثير حتى فقد وعيه، فانهالت عليه بالسيف وقتلته. علمت الربة عنات بموت يفطان ففرحت كثيراً، وطلبت إلى إيل الإله أن يعيد الحياة إلى أقهت، فاستجاب لها، وأعاد إليه الحياة، شريطة أن يمضي النصف الأول من كل عام مع الأحياء، يقدم لهم المطر والخير؛ أما النصف الثاني فيقضيه مع الإله موت ليحل الجفاف ثانية. هكذا وقد فرح البشر والنبات والحيوان كثيراً بعودة الحياة إليهم مع أقهت من جديد[1].

2 . أسطورة الملك كرت:

كان الملك كرت غائباً عن بلاده، ولما رجع أخبروه بالغزو الذي قتل زوجته وأولاده ونهب أرزاقه، وهذا النبأ الأليم أفقده نسله، فحزن حزناً شديداً، ودخل مخدعه باكياً حتى أصبحت دموعه تتساقط على الأرض كالبرد، ثم نام مثقلاً بالهموم، فحلم أن الرب إيل أبا البشر قد اقترب منه وسأله عن سبب بكائه، هل هو رغبة في الملك أم الجاه كأبيه إيل، أو ربما يكون قد عرض عليه الملك والجاه، فرفض الملك كرت ذلك لأنه يرغب في الأولاد والخلف، فواساه الرب إيل طالباً منه كف دموعه وتقديم الأضاحي للإله إيل، فوافق الملك كرت، وأعلن ذلك مناجياً السماء من أبراج المدينة، وأعد جيشه الذي سيخرج معه للقتال، وهو من حاملي الأسنة والمرتزقة، والنجباء.

وزحف بهذا الجيش كالجراد مدة ستة أيام؛ وفي اليوم السابع، عند شروق

---

(1) المصدر السابق، ص 17.

http://al-maktabeh.com

الشمس، وصل إلى المدينة أدم، التي لا نعرف موقعها؛ وبعد حصارها ستة أيام تعب ملك المدينة وشعبه وحيواناته، فأرسل رسولاً إلى الملك كرت يعرض عليه الذهب والعبيد والغلمان، مقابل سلامته وبلاده، فرفض كرت هذا العرض؛ ثم طلب الزواج من ابنته التي تشبه بجمالها ونقائها الربة عشتار.

عندما استفاق الملك كرت من نومه، أيقن أنه كان يحلم، لكنه عمل بكل ما جاءه بالحلم وبكل ما أمره به الإله إيل، وسار بجيشه قاصداً آدم، وقدم النذور، فتحقق له ما رآه في الحلم[1].

التوراة الأوغاريتية

لقد كان لاكتشاف أوغاريت شأن بارز الأهمية في علوم الإنسان حول الحضارات والثقافات القديمة. وقد دلت مكتشفات أوغاريت في ميدان الأساطير والأفكار الدينية والتي كان في ذهن الناس أن التوراة العبرية من قبل مؤلفين عبرانيين هي أول كتاب شامل في هذا الموضوع، وأنها وقف عليهم. جاءت مكتشفات مكتبة أوغاريت لتوضح أن هذه القصص والأساطير والأفكار والحكم التوراتية هي من إنشاء شعراء وكتاب كنعانيين، ولم يفعل قدامى اليهود والمحدثين منهم سوى إقتباس هذه القصص والأساطير والحكم والأمثال، الخ.

إن النصوص الأوغاريتية التي تمت ترجمتها، تختلف بطبيعتها عن بعضها البعض. وهي تعود إلى أزمنة مختلفة، كان قد تم جمعها في وقت ما في مكتبة، وأنه بعد ترجمتها، أصبح بالإمكان معرفة طبيعة هذه النصوص وتوزيعها إلى مجموعات رئيسية:

أولاً: الأساطير.

ثانياً: القرارات والأوامر.

ثالثاً: الوقائع التاريخية.

---

(1) المصدر نفسه، ص 17.

http://al-maktabeh.com

رابعاً: المزامير والصلوات.

إن جميع هذه الكتابات بالوضع الذي كانت عليه عند إحداث مكتبة رأس شمرا كانت تشكل «التوراة الأوغاريتية»[1].

إن ما أطلقناه هنا، عنوان «التوراة الأوغاريتية»، إنما قصدنا به إن ما نورده من نصوص هو لمجرد مقارنة معنوية مع ما يقاربها من نصوص توراتية، إذ لسنا هنا بمعرض المقارنة النصية، إذ لا نجد ما بين النصين من مقايسة أو اقتباس، إنما يجمع بينها التشابه العرفي - الاجتماعي، كما سنرى من خلال موضوع مزامير وصلوات.

المزمور الأول[2]:

شكوى أوبرسار(؟)

إلى «ذلك الذي يزن».

صلاة:

أخاطبك مسلماً

الخروف الذي يرتجف

وكلبي

لم تسمعهما من كثرة الرجفان

يرتجفون، يا للحسرة،

أذهلتهم البلبلة،

يرتجفون وينحنون تحت البؤس

أبناء شعبي، يد الآلهة اقتربت

لأنهم سيموتون

ذلك كثيراً

---

(1) هـ.ا. ديل ميديكو، التوراة الكنعانية، ترجمة جهاد هواش وعبد الهادي عباس، طبعة أولى 1988، دمشق، مطبعة الشام، ص 22 _ 24.

(2) نشر السيد ش. فيرولو في مجلة سورية، عام 1933، ص 231.

http://al-maktabeh.com

شيئاً من العاطفة ولتتجه إجابتك
نحو الخير
والجيوش تصلي
من أجل أن تستمع
إلى الأسماء، وتكتب
في الكتاب، إسم شعبي

لعل تعبير «استرحام» كان أنسب لهذا النص (1 ملوك 8: 28، 38) من لفظة «شكوى» الواردة في مطلعه. والمزمور في مجمله يشبه ابتهالات إيلي ميلكو. على أن المزامير، رغم الصيغة الدينية التي تكسوها، تعتبر وثائق تاريخية مثلما هي الحال بالنسبة إلى مزامير العهد القديم.

صلاة أوبرسار(؟) جافة بعض الشيء. تصميمها بسيط: إسم المصلي، إشارة إلى الإله المخاطب، صيغة السلام، سرد الوقائع، طلب الرأفة، إشارة إلى النتيجة المرجوة.

أما بالنسبة إلى المعتقد، فجميع الشرور والآلام التي تحل ببلد ما، أو بشعب ما، هي من صنع إله محلي. عندما يكثر الموت في منطقة ما (بسبب مرض سار؟)، يكون ذلك في نظرهم بسبب قدوم آلهة البلاد إلى هذه المنطقة. رأفة الإله تظهر بإجابة تميل إلى الخير، ويبدو أن «سيت»، إله الجحيم، كان يمسك كتاب الحياة حيث يسجل أسماء الأحياء كافة. وعند ذكر الأسماء كان هذا الإله يجيب بقبول أو رفض بقاء الإسم في السجل (مزامير 69: 26؛ 139: 16؛ خروج 32: 32؛ دانيال 12: 1).

المزموران الثاني والثالث[1]:

إلى الملكة
سيدتي
ابتهل
شكوى تالمين

(1) نشرها السيد فيرولو في مجلة سورية، عام 1938، ص 142 ـ 146.

http://al-maktabeh.com

خادمك
على قدمي
سيدتي،
من أجل أن يكون ذلك حباً ببلادهم
ومن أجل نهاية المصاعب
على بلدانهم
نذل أمامك
شعوب سيدتي
الجيوش تصلي
من أجل السلام، وليعد السلام
لخادمها.
إلى أمي وهي سيدتي،
الصلاة،
شكوى تالمين
وشكوى شقيقة الملك. خادماك
على قدمي من هي سيدتي
بلادهم
أذلتها الآلهة
ستكونين تلك التي توقظ
ستكونين تلك التي تعيد السلام
أنظري، إن «العموني»
أكثر من المدايح
أعيدي السلام
لأني، حقاً هزمت،

http://al-maktabeh.com

ستكونين المرشدة، تلك التي تسمى
الشعب، أنت من هي سيدتي
الجيوش، من أجل السلام
نصلي، وليعد السلام
إلى خادمك.

مؤلف المزمورين اسمه تالمين (TALMAYN). يذكرنا هذا الإسم بتلماي الذي ورد ذكره في العهد القديم (يشوع 15: 14)، والذي هزم في منطقة جبرون، خلال حروب يهوذا المكابي قبل عهد الملك الكبير(؟). كان تلماي، حسب ما جاء في العهد القديم، من عمالقة العناقين، علماً بأن صفة العملاق كانت تطلق في ذلك الزمن على كل عدو مقتدر. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، نجد أن أكثر من شخص كان يحمل إسم «تلماي» في العهد القديم (صموئيل 3: 13: 13: 37)، لذلك لا نستطيع الجزم بأن تالمين هو نفس تلماي.

كان تالمين يحكم بمساعدة زوجته (يسميها أخته) بلاد كنعان؛ يبدو أنه تنازل عن لقب «السيد» من قبيل التواضع. بقيت البلاد تدار من قبل حكام محليين، كما كانت في عهد الملك _ الكبير. نراهم هنا يستعملون تعابير مثل «بلدانهم» و«شعوب سيدتي» بدلاً من تعبير «الأرض» الذي كان مستعملاً في عهد الملك _ الكبير.

ومحور المزمورين يدور حول المطالبة بإحلال السلام من جديد، علماً بأن البلاد كانت في حالة حرب مع «العمونيين». في العهد القديم، نجد إشارة إلى حربين وقعتا مع هذا الشعب: الأولى في فلسطين، في بداية حروب يهوذا(؟) (قضاة 3: 13 _ 14) وانتهت باستبعاد بني إسرائيل لمدة ثمانية عشر عاماً، والثانية (قضاة 10: 11) وقعت في أرض جلعاد، في عهد يفتاح. هذا ولعل المذابح التي تعرض لها الشعب الكنعاني، تمت خلال الحرب الأولى.

والآلهة الوحيدة من بين الآلهة التي يرد لها ذكر، دون أن تسمى، في هذا النص، هي عشيرات، ويلقبها العاهل «مليكتي»، و«سيدتي». والعاهل يعتبر ابناً

http://al-maktabeh.com

لعشيرات بصفته ملكاً كنعانياً، وعليه أن يخاطبها بلفظة «أمي». تستطيع عشيرات «إيقاظ» البلاد وإعادة السلام، كما تستطيع أن تسمن الشعب، الخ. يعد الملك عشيرات، على ما يبدو، بأنه، في حالة النصر، سوف تتسلم هي «قيادة» الشعب، غير انه يبدو كذلك أن خلف الملك لم يتقيد بهذا الوعد، وأن عبدي _ أشيرتا وأتباعه، احتكروا عبادة هذه الآلهة.

ومظاهر العبادة بهذا المزمور هي الصلاة، الشكوى، التمرغ على قدمي الإله. الشعب والجيش يشاركان في هذه العبادة، والعاهل هو الذي يعبر عن شعور الشعب.

المزمور الرابع[1]:

إلى الملكة
أمي، الرجاء،
وشكوى الملك
ابنها
على قدمي أمي
أذل نفسي لأمي...
فتكونين أنت من يوقظ
تكونين أنت من يعيد السلام
أعيدي إليّ المجد، العموني
كثرت مذابحه...
أعيدي السلام،
وسمني الشعب، يا أماه
كيف يمكن أن ننسى نذر
ذبح شعبنا، أيتها الملكة
وصلواتي إلى...

(1) نشره السيد فيرولو في مجلة سورية، عام 1940، ص 250 _ 253.

http://al-maktabeh.com

من أجل الأمل، ومن أجل إيقاظ
الروح القتالية، لدى الملك

مؤلف هذا المزمور يلقب نفسه «بالملك»، مثل داوود الملك العبراني. كان على الأرجح أحد الملوك المحليين، ويمكن الافتراض أنه عاش في زمن تالمين، وأكيداً قبل زمن داوود الملك.

لا يبدي الملك الكبير هذا اهتماماً بمصير البلاد ككل، بل يحصر اهتمامه بالحالة الخاصة التي وجد نفسه فيها. «الشعب» الذي يذكره هو شعب منطقته، والجيش هو جيش المنطقة. كان على هؤلاء «الملوك» المحليين أن يقاتلوا العدو، وهذا «الملك» يستعطف الآلهة لكي تمنحه المجد والروح القتالية، ونلاحظ هنا أن أمثال هذه الطلبات لا ترد في صلوات الملوك الكبار.

هنا أيضاً، الآلهة عشيرات هي الإلهة الوحيدة التي لا يخاطبها الملك، ويعتبروها أماً يسميها أيضاً «الملكة».

والملك وحده هو الذي بذل نفسه خضوعاً للآلهة. شعبه يكتفي بالمشاركة في الصلاة وبوعد تقديم الذبائح. ونلاحظ هنا أيضاً أنه غالباً ما يتم تقديم الذبيحة إلى الإله في حال تلبية الطلب فقط. غير أنه لا يستبعد تقديم عربون في هذه الحالة.

وإذا قمنا بمقارنة هذه الصلوات مع تلك التي في أخبار إيلي ميلكو، نجد أن أسلوباً خاصاً كان يستعمل في هذه الحالات، وقد يدمجون في هذه النصوص نصوصاً قديمة تتوافق مع الظروف الجديدة. على أنه من الواجب علينا الاعتراف بأن المزامير الأربعة التي وصلتنا، ليست من أجمل ما نعرفه في هذا المجال.

http://al-maktabeh.com

النتيجة:

إن التوراة الكنعانية، وهي مبنية على بضع لوحات مبتورة، تم اكتشافها في رأس شمرا، هذه التوراة لم تكتمل بعد. هذا بالإضافة إلى أن ترجمة هذه النصوص لم تصل بعد إلى الدقة المطلوبة؛ فهناك العديد من التفاصيل التي لا تزال تتطلب دراسة أوفى، ولكننا إذا ما أخذنا بعين الإعتبار أن التوراة العبرانية تتكرر ترجمتها منذ ألفي عام، وهي لا تزال تتضمن، مع ذلك، بعض النقاط الغامضة، نجد أنه لا يحق لنا أن نطلب أكثر من المعقول عندما يتعلق الأمر بترجمة نصوص كتبت بلغة مجهولة، وبتفسير أحداث جديدة كل الجدة علينا.

ومع ذلك يبقى الإنسان مندهشاً أمام هذا الجمال في معالجة المواضيع، وهذا الغنى في التعبير، أمام القيمة الأخلاقية العالية التي تنبعث من هذه النصوص. هذا مع العلم بأنه أصبح لا بد من إعادة النظر في العديد من الآراء الشائعة حول الحضارة الكنعانية (ويسميها البعض «الفينيقية»)، سوف تتم دراسة عادات ومعتقدات شعوب سورية وفلسطين، بعد اليوم، من زاوية جديدة وفي ضوء جديد. مهما كان حكم التاريخ بالنسبة إلى الكنعانيين فلا شك أنهم كانوا شعراء كباراً، ولا بد للإنسان أن يتسامح أمام ضعفهم في الفن، عندما يطلع على مدى روعة كتاباتهم.

إن معرفة التوراة الكنعانية تفتح أمامنا طريقاً جديداً لدراسة العالم القديم. إلى أين ستؤدي بنا هذه الطريق؟ هذا ما لا نعلمه بعد!

http://al-maktabeh.com

سرجون الأكادي وموسى العبراني

من يقرأ الفصل الثّاني من سفر الخروج من كتاب التّوراة، واللّوح الذي سطّرت فيه سيرة سرجون الأكادي يلاحظ الشّبه العميق في ولادة ونشأة سرجون الكبير مؤسّس مدينة أكاد، ونشأة موسى ومعلم الشّعب العبراني.

إنّ الشّبه هذا يتخطّى الألفاظ والصّور إلى الأسلوب حيث الجمل القصيرة والفكرة المختصرة. وما على القارئ إلا أن يعرف قصّة الرّجلين كاملة حتى يستطيع أن يكتشف أوجه الشّبه بينهما.

إنّنا نسرد هنا قصّتي الرّجلين ليتسنّى لنا مقارنتهما وذلك كما وردتا في مصدرهما: قصّة سرجون كما كتبها هو بنفسه أو كتبت على لسانه ومن حيث المكانة التّاريخيّة، وقصّة موسى في سفر الخروج برواية التّوراة.

قصة سرجون

ويعرف كذلك بإسم شاروكين. ملك فاتح (2334 – 2279 ق.م)، مؤسّس السّلالة الأكاديّة. تقول الأسطورة التي وضعت في وقت لاحق أنّ ولادته جرت سراً وأنّه وضع في سلّة مدهونة بالقار على نهر الفرات وانتشله متولّي شؤون الرّيّ الإله أكي ملك كيش من بين القصب وربّاه كابن له. فلم يعرف أباه. ولمّا شبّ استخدمه أكي كبستاني وساقي. وفي هذه الأثناء أحبّته الإلهة عشتار.

وتقول رواية أخرى أنّه كان في نشأته بستانيّاً ثم عمل بصفة ساق لدى ملك كيش «أورزبابا».

http://al-maktabeh.com

انتصر سرجون على لوكال زاكيزي المذكور، واقتاده مكبّلاً بالأغلال أمام انليل إله سومر لكي يوافق هذا الإله على خلع الملك القديم ومنح سرجون لقب إيشاكو.

ومن ثّمّ سحق قوات أور وهدم أسوارها واستولى على كيش، ووصل إلى الخليج العربي. وأكمل في طريق عودته فتح بلاد سومر فاستولى على أوما ودمّر أسوارها. وأصبح سيّد المنطقة من البحر الأعلى (الخليج العربي) إذ امتدّت سلطته غرباً على مدينة ماري وايبلا وغابة الأرز وجبال الفضّة (طوروس).

بنى سرجون مدينة أكاد، أو أعاد بناءها، وجعل منها عاصمة له، إلا أنّ موقع هذه المدينة لم يجر تحديده بعد.

حدثت في آخر أيّامه فتنة عامّة وقد عاونت «سوبارتو» الثّوّار فهزمت. وشاركت بابل في الثّورة وهُزمت كذلك. وتجدر الملاحظة هنا أنّ إسم بابل ذكر في هذه المناسبة لأوّل مرة في التّاريخ.

حكم بعد وفاة سرجون أبناء رموش ومنيشتوسو تباعاً.

قصة موسى

موسى إسم مصري (موشي). ينسب كتاب العهد القديم موسى إلى سبط لاوي. ويقول الكتاب المذكور أنّ أمّ موسى ولدته بعد صدور أمر الفرعون بقتل جميع مواليد اليهود الذّكور. وقد أخفته مدّة ثلاثة أشهر ثّمّ وضعته في سفط من البردي ووضعت السّفط بين الحلفاء على حافة النّهر حيث عثرت عليه ابنة الفرعون، واهتمّت بتربيته وتبنّته. وكانت أخته قد وقفت من بعيد لتعلم ما يحدث لأخيها. ولما نزلت ابنة الفرعون إلى النّيل لتغتسل وكانت وصيفاتها يتمشين على شاطىء النّهر (النّيل) رأت السّلّة بين القصب فأرسلت خادمتها وأخذتها وفتحتها وأخذت الولد، فإذا هو صبي يبكي.

http://al-maktabeh.com

اشفقت عليه ابنة فرعون وقالت: هذا من أولاد العبرانيّين. حينئذ تدخّلت أخته وقالت لابنة فرعون: أأذهب وأدعو لك مرضعاً من العبرانيّات وترضع لك الولد؟ فقالت لها ابنة الفرعون: اذهبي. فذهبت الفتاة ودعت أمّ الولد. فقالت لها ابنة فرعون: خذيه وأرضعيه لي وأنا أعطيك أجرتك، فأخذت الولد وأرضعته. ولمّا كبر الولد جاءت به ابنة فرعون، فأصبح لها ابناً وسمّته موسى وقالت: لأني انتشلته من الماء. ولما كبر موسى، حدث يوماً ان شاهد رجلاً مصريّاً يضرب رجلاً عبرانيّاً فعمد موسى إلى قتل المصري. وانتشر الخبر فهرب موسى إلى أرض مديان في صحراء سيناء وأقام في خيام يثرون كاهن مديان وتزوّج ابنته صفورة. تمكن موسى بمساعدة أخيه هارون من التّغلّب على ممانعة الفرعون بمغادرة العبرانيّين بعد أن سلّط على مصر «الضّربات العشر»، وغادر العبرانيّون مصر.

قاد موسى شعبه في المرحلة الأولى إلى سيناء حيث حصل هناك إلى الشّريعة. ومن ثَمَّ حاول دخول بلاد كنعان من جنوبها فردّه اهالي المنطقة. وتمرّد العبرانيون فقضى الله عليهم بالتّيه في الصّحراء مدّة أربعين عاماً. وتغلّبوا على المؤابيّين واحتلّوا منطقة شرقي الأردن حتى أريحا.

وعيّن موسى يشوع بن نون خليفة له وصعد إلى جبل نابو (الإله نابو السّومري) حيث تأمّل أرض كنعان، ومات في ذلك المكان.

المقارنة

لو وضعنا النّصين واحدهما إزاء الآخر لوجدنا نقاط التّلاقي والمشابهة أكثر من نقاط الخلاف والاختلاف.

انطلاقاً من فكرة زعيم الضّرورة والرّمز أحبّ اليهود أسوة بالشّعوب التي كانت تفتخر بزعمائها، استنباط فكرة هذا الزّعيم الأوحد فاخترعوا أو بالأحرى جعلوا من زعيمهم موسى كباقي زعماء القبائل التي إلى جوارهم سيّما بعد إطلاعهم

http://al-maktabeh.com

على تراثهم السّياسيّ والاقتصاديّ فنسجوا حول موسى الأقاصيص التي استمدّوها من تراث الشّعوب وبالأخصّ قصة سرجون الأكادي.

وعليه في كلا الرّوايتين نجد قواسم مشتركة عدة.

أولاً: ان دور الأب هامشي في قصة موسى وسرجون الأكادي لم يعرف والده.

ثانياً: ولادة الاثنين موسى وسرجون بالسرّ يكتنفها الضّباب لاعطاء هالة لشخصيهما.

ثالثاً: كلا الطّفلين يوضعان في سلّة من البردى مطليّة بالحمر والزّفت ويرمى بهما في النّهر.

رابعاً: في رواية موسى، ذي الجمال الباهر، على عكس سرجون، نلاحظ حضور أمّه واخته من بعيد، واهتمام وصيفات ابنة فرعون به. اما قرب سرجون فلا نجد أحداً من أقربائه: أمّه المستبدلة تركته، وأخوته شاردون في البراري بعيدون عنه. ولذلك نشأ ذا طبع قاس محبّاً للحرب.

خامساً: موسى انتشلته ابنة الفرعون وأعطته إلى إحدى العبرانيّات (أمّه) التي أرضعته، ولمّا كبر تبنّته ابنة فرعون وسمّته موسى.

سادساً: هذا الاهتمام بموسى لا نجده عند سرجون الأكادي الطّفل المهمل نوعاً ما والذي انتشله متولّي شؤون الرّيّ، الإله آكي AKKI، واستخدمه في عمل الأرض والرّيّ بعيداً عن المجتمع.

سابعاً: وعلى عكس موسى الذي حظي بعطف امرأة، ابنة فرعون، فإنّ سرجون لم يحظَ بذلك العطف، إلا عندما شبّ وأحبّته الإلهة عشتار.

الخلاصة

هذا الشّبه في طفولة ونشأة هذين الرّجلين الشّهيرين مردّه في رأينا، إلى أنّ

http://al-maktabeh.com

كاتب حياة موسى أراد أن ينسج على مثال، هو سرجون الأكادي.

سرجون كان رجلاً شهيراً، قائداً كبيراً ورئيساً على أمّة واسعة، بنى مدنها ونظمها وأنشأ حضارة انتشرت في معظم أنحاء الشّرق القديم من وادي الرّافدين إلى بحر أمورو.

موسى أيضاً، كما يسرد في سفر الخروج وباقي أسفار التّوراة هو مؤسّس دين، وباني أمّة، ومعلّم عظيم، فهو خليق بأن يكون مثل سرجون وأفضل.

ولا ننسى أنّ مؤلفي التّوراة يعرفون آداب بلاد ما بين النّهرين ومتأثّرون بها بحكم سبيهم إلى بابل العظيمة. لذا ليس من الغريب ان يأخذوا منها ما يناسب آدابهم وتاريخهم بعدما نقّلوه وجعلوه يوافق معتقداتهم ورؤيتهم الخاصّة إلى التّاريخ العام.

وقس على ذلك سفر نشيد الأناشيد وسفر الأمثال، وسفر التّكوين،... الخ، ومع ذلك فاليهود ما زالوا يصرّون على أنّ كتابهم أصيل وفرد، علماً أنّه مقتبس من كتب اخرى سبقته بمئات السّنين.

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

أناشيد الحب
في سومر والعهد القديم

للإنسان عواطفه وميوله في كل زمان وكل مكان ولا تختلف تقريباً إلا باختلاف الممارسات وطرق التعبير بحسب لغات الشعوب وثقافاتهم، وكمّ كبير من القصص والروايات في تراثنا القديم والعريق تؤرخ لتلك الأناشيد والأغاني، وتلك الممارسات والتعابير على سبيل المثال وليس الحصر:

قصة حب البعل وعنات في آداب أوغاريت.

أدونيس وعشتروت عند الفينيقيين.

أوزريس وازيس عند المصريين.

إنليل وآيا، ودموزي (تموز) وإنّانا (عشتار) وغيرهم عند السومريين.

الحبيب والحبيبة في كتاب نشيد الأناشيد العبري...

في كل من هذه الأداب تركيز على الجمال الجسدي والقوة الجنسية والسحر الجذاب بين الحبيبين.

وسنكتفي بعرض المقارنات والمشابهات وان صح القول والمقايسات بين النصوص السومرية مع قصيدة نشيد الأناشيد العبرية...

ان كتاب نشيد الأناشيد على الرغم من اعطائه معنى روحي من قبل احبار اليهود، وبالتالي من قبل معلمي الكنيسة للدلالة على دالة الإنسان وعلاقته بالله. يبقى كتاب حب بشري محض، يروي قصة غزل ومغامرات

http://al-maktabeh.com

وصال عميق بين شاب وشابة في مفرداته وتعابيره وتصاويره. من هذه الزاوية نبحث في نصوصه ونقارنها بالأناشيد السومرية. هذه المقارنات تتضمن اموراً كثيرة متشابهة متطابقة ومنها:

وصف مفاتن الجسد

الشاعر العبري في قصيدته «نشيد الأناشيد» يصف جسدي الحبيب والحبيبة، وصفاً شاملاً ومفصلاً، من فوق إلى تحت ومن تحت إلى فوق، واصفاً كل عضو بأجمل العبارات والاستعارات وبطريقة مثيرة. في هذه القصيدة يصف كل من الحبيب والحبيبة جسد الآخر، فالحبيب يصف حبيبته بـ:

عيناها كحمامتين... شعرها كقطيع ماعز... أو كالأرجوان، واسنانها كقطيع خراف... شفتاها كالقرمز... خداها كالرمان... عنقها كالبرج... نهداها لينين بيض كخروفين ولدوا حديثاً، أو كالعناقيد... خاصرتاها كعقد.. بطنها ابيض كغمر حنطة... هذا بالاضافة إلى زينة الحبيبة والحلي والعطور التي تطيب جسدها وتشد الحبيب اليها.

كذلك الحبيبة ترى في حبيبها ظبياً وسيماً يجذبها صوته. هو أبيض أصهب، شعره كسعف النخل، عيناه كحمامتين، خداه كروضة أطياب، شفتاه كالسوسن، بطنه كالعاج، ساقاه كعمودي رخام، وطلعته كلبنان... هو شهي بجملته. (الفصول 7-5).

هذه الأوصاف لمفاتن الجسد ليست بعيدة عن تلك التي ترد في النصوص السومرية وتصف جمال لحية الحبيب ورأسه وجسده:

هو: تمثال ذهب، تحفة فنان، صورة ذهبية ذات اغراء. وكذلك غدائر شعر الالهة إنّانا المزيّن بالجواهر، نهداها كحقل مخصب، وفرجها رطب ريان، إنّانا هي نعجة الاله دوموزي، وصوتها يدغدغه ويجذبه.

http://al-maktabeh.com

فكلا الحبيبين في كلا المصدرين السومري والعبري هما رعاة، والراعي أو الراعية هي الكلمة المحبه للدلالة على الحبيب والحبيبة كما يظهر في نشيد الأناشيد وقصيدة الزواج المقدس في بابل.

دلائل الوصال ورموزه

غالباً ما يلجأ كتاب نشيد الأناشيد إلى التورية في وصف للعلاقة الحميمة بين الحبيبين، فان الكلمات المستوحاة من الطبيعة والتي تشير إلى الخمر والفاكهة والمأكولات الطيبة تدل عادة على اللذة الجنسية تلك التي تعطي قوة تجعل اللقاء اكثر متعة.

ان ممارسة الحب اطيب من الزبيب والتفاح، وقُبَل الحبيب ومداعباته اطيب من الخمر، وصوته يهز القلب والكيان بكليته. ان جسد الحبيبة هو جنة خاصة للحبيب، ملىء بكل انواع الثمار والأطياب والزهور، الرمان والتفاح والعناقيد والسوسن والنردين والزعفران...

فليأت الحبيب ويرعى اين وكيفما شاء...

ان لذة التقبيل يعبر عنها بكل ما هو حلو سائل لزج من عسل وقطر وشهاد وعصير رمان... شفتا الحبيبة تقطران شهداً وتحت لسانها عسل ولبن وحليب.. وشفتا الحبيب تقطران مرّاً سائلاً...

هذه الرموز والدلائل ليست غريبة أيضاً عن الأدب السومري: فهي مستعملة بكمية كثيرة أو قليلة بطريقة متشابهة بقدر ما تسمح اللغة وتركيباتها، واسلوبها. لا يخضع التعبير عن الحب وممارسته لأي مراقبة في النصوص السومرية. فالكاتب لا يكتفي بالتلميح فقط بل يلجأ إلى التصريح بعبارات حقيقية واقعية، كما في نشيد الأناشيد حيث لكل كلمة مدلولها ان في تسمية الأعضاء أو في وصف لقاء الحبيبين.

http://al-maktabeh.com

مكان وزمان الوصال

في نشيد الأناشيد نجد عدة امكنة للقاء الحبيبين وممارسة الحب:

هناك الخدر اي غرفة العروسين الخاصة، وهناك السرير الريان المزيّن والمهيأ. ولكن المكان المفضل هو البرية بعيداً عن المدينة والناس، بين الأشجار والأزهار والكروم تحت نور الشمس، وفي الهواء الطلق، بين اريج الرمان والتفاح، هناك تعطي الحبيبة للحبيب حبها وتقدم له الثمار الحديثة والقديمة التي ادخرتها له...

اما زمان الوصال فهو في بدء الربيع، بعد انقضاء البرد والشتاء في البرية المعشوشبة والطقس الجميل، والهواء المنعش... في اطار كهذا تأتي الحبيبة معطرة بكل عطور التاجر جاذبية لجذب حبيبها بصوتها ونظراتها، فتسند رأسها على شماله وهو بيمينه يضمها ويداعبها، يلامسها، يبيت بين ثدييها، يشتهيها وتشتهيه، يقبلها وتقبله، ويختلط نَفَسه بَنَفسها، هو لها وهي له... هذه قوة الحب وسهامه الملتهبة التي لا تستطيع المياه الغزيرة ان تطفئها.

المكان المفضل للقاء دوموزي وانانا هو أيضاً البرية والحظيرة، وعلى ضفاف النهر حيث القطعان والزروع والأشجار، وليس في القصور، ففي الطبيعة حرية وعفوية في الوصال لا تتوفران في القصور وبين الناس. اللقاء مع الحبيب، في النصوص السومرية، هو عيد يجعل الوجوه مشرقة والأجساد لينة والخطى رشيقة.

بعد هذا العرض السريع والمختصر لأهم العناصر المشتركة في كتاب نشيد الأناشيد ونصوص سومرية في ما يتعلق بالحب والجنس نرى من المفضل ان نضع جدولاً مقارناً بين هذين المصدرين بغية توضيح اوجه الشبه وقراءة النصوص بحد ذاتها.

يدور الكلام في نشيد الأناشيد بين الحبيب والحبيبة أو عنهما، كذلك الكلام في النصوص السومرية يدور بين الهين حبيبين دوموزي وإنّانا (تموز عشتار).

http://al-maktabeh.com

نشيد الأناشيد	النصوص السومرية
ليقبلني قُبَل فمه، ملاطفك خمور اشهى (1:3)	إنّانا، يا آسرتي، انت خمري الأشهى. دعني يا حبيبي، امنحك ملاطفاتي وملامساتي. فمك كان يضغط على فمي، وعلى فمك انضغطت شفتاي.
حبك اولى من الخمر بالذكر (1:4)	قبلات فمك تهزني
اسمك طيب مراق لذلك احبتك الصبايا	يا ملتهم النساء، يا ذا الوجه الجميل، كم كان اغراؤك عذباً دعنا نتمتع بجمالك الرائع.
ادخلني يا من تحبه نفسي، اين ترعى، اين تربض عند الظهيرة (1:4)	اقترني بالراعي يا اختاه، لذيذة قشدته.
ما اجمل بالقطرين خديك، وبالعقد جيدك (1:10) سنصنع لك عقوداً ذهبية ونرصعها باللجين (1:11)	كافأني سيدي بمنحي عقداً ذهبياً وخاتماً من اللجين.
حبيبي مرة مر بين نهدي يبيت (1:13)	الحبيب الذي دعوته إلى قلبك، فليركن طويلاً على صدرك الجذاب. كم هو مريح النوم ويدي في يده. كم هي كلية اللذة حين يلتصق صدره بصدري... دوموزي يتأوه لذة على صدرك يا انانا.

http://al-maktabeh.com

مما سبق أعلاه نجد عمق التشابه والمقتبسات في التعابير والألفاظ والصور، في نشيد الأناشيد وفي النصوص السومرية، نابع من المشاعر، والأحاسيس الإنسانية المشتركة عند كل انسان وفي كل زمان من جهة، من تأثير حضارة بلاد ما بين النهرين على الشعب العبري وبالتالي على أدبه، من جهة أخرى. ان السبي لليهود ومكوثهم لزمان طويل في تلك البلاد لا بد من ان يجعلاه يتأثر بطبيعتها ولغتها وادبها التقليدي والشعبي معاً. فالعبرانيين بدأوا واعادوا صياغة كتبهم بعد عودتهم من بلاد الرافدين إلى بلاد كنعان. فغداة هذه العودة لا بد من ان ينطبع الأدب العبري بما عاشه وتأثر به العبرانيون، وهم العائدون من حضارات المدن التي عرفوها: بابل واشور واكاد وسومر ونينوى وغيرها.

http://al-maktabeh.com

مسلّة حمورابي وتشريع موسى

بين العامين 1901 و1902، عثر عالم الآثار دو مورغان في مدينة سوسة على مسلّه – طولها 2.25 متراً محفور عليها، بالخط المسماري، قانون حمورابي. هذا القانون مكوّن من مقدمة وخاتمة طويلتان ومن 282 مادة قانونية. لدى مقارنة نص القانون مع أسفار التوراة فوجئ العالم بمقدار الشبه الكبير بينهما. فقام الاعتراض على أن كاتب القوانين التوراتية لا بد أنه إقتبس نصوصه من قانون حمورابي، خصوصاً أن حمورابي يسبق موسى بمئات السنين.

فأصبح من الواضح أن القوانين في التوراة مقتبسة عن شعب بابل الوثني على حد تعبير التوراة، فلماذا نسمي قوانين التوراة «نصاً من الوحي الإلهي؟».

أما قانون حمورابي فيبقى فقط «نصاً تاريخياً» يخلو من أي قيمة تاريخية.

قبل الإجابة عن هذا السؤال، لا بدّ من إلقاء الضوء على حمورابي نفسه، وعلى قانونه، ومن ثم، سنظهر أوجه الشبه بين قانونه والتوراة.

من هو حمورابي؟

جلس حمورابي على عرش بابل بحدود العام 1726 قبل الميلاد، وهو في الخامسة والعشرين من عمره. وكانت مملكته محاطة بمجموعة الممالك التي قادتها مكتملوا العمر، محنكين بالدهاء مع مرور الأيام.

إلا أن حمورابي كان طموحاً بتوسيع رقعة حكمه ودولته، وجعل بابل عاصمة لإمبراطورية عظمى تمتد على كل بلاد ما بين النهرين. وانتصارات حمورابي المتتالية لم

http://al-maktabeh.com

تخل من الصعوبات الخارجية والداخلية أيضاً. فسرعان ما تجمعت ممالك بلاد ما بين النهرين كمملكة لارسا واشنونا وعيلام وآشور وغيرها لتشكل قوة رادعة في وجه أحلام الملك الشاب التوسعية. أما في الداخل فقد اندلعت ثورات عدة ضده وضد حكمه، قام بها أحياناً أهل مدينته بابل أنفسهم، ولكن غالباً ما أتت من قبل المدن التي احتلها حديثاً إذ حاولت مراراً الخروج من سيطرته عليها واستعادة استقلالها. ومع توسع رقعة حكمه المتزايد، أضحى الحفاظ على وحدة الأمبراطورية البابلية الجديدة واستقرارها الداخلي أمراً صعباً، وخصوصاً أن الوضع الاجتماعي المتردي قد ساهم في إشعال المزيد من الثورات الداخلية المدعومة من أعداء الخارج. فالأغنياء كانوا يزدادون ثراء على حساب الفقراء، والوزراء والموظفون والقضاة كانوا يضعون مصالحهم الشخصية فوق كل اعتبار، حتى أن الكهنة كانوا يستفيدون من سلطتهم لإنجاز مآربهم وللإثراء غير المشروع.

والملك الشاب حمورابي المشغول بحروبه الخارجية علم سريعاً أنه لا بد من إزالة عقبات عدم الاستقرار الداخلي حتى يتمكن من التفرغ لمشروعه الامبراطوري لذلك قرر أن يهتم بالتنظيم الداخلي، وذلك عبر إصدار قانون يمنع الفساد ويؤمن العدل والاستقرار والسلام في البلاد. ويتكلم حمورابي في شكل واضح وصريح عن هذه المشاكل في خاتمة قانونه.

«بفضل السلاح الماضي الذي أعطانيه زيبي واينانا، بفضل الحكمة التي خصتني بها ايا، بفضل القوة التي وهبني إياها مردوخ، لقد أزلت الأعداء في الشمال والجنوب. لقد أخمدت المعارك. لقد أعطيت السعادة للبلاد. لقد أرحت المتمدنين في مراع خضراء، ولم أدع أحد يزعجهم... ولكي لا يظلم الغني الفقير، ولكي أقيم العدل لليتيم والأرملة، ولكي أصدر قوانين البلاد، ولكي أعطي الحق للمظلوم. لقد كتبت كلماتي المهمة على مسلّتي فالمظلوم في قضية ما، ليأت أمام تمثالي «ملك القانون» ليقرؤوا له مسلّتي المكتوبة، وليسمع أوامري المهمة ولتحدد له مسلتي قضيته، ولير حالته وليرتح قلبه. نعم حمورابي هو سيد وهو كأب لحمى الناس».

وهكذا قام حمورابي يجمع مختلف «الاجتهادات القضائية» المنتشرة في

http://al-maktabeh.com

أنحاء إمبراطوريته الجديدة، فجمع بينها ونسقها، وأصدر منها مجموعته القانونية في 282 مادة حتى تكون مرجعاً للحكام والقضاة. ولهذا السبب نقش الملك قانونه على أربعين مسلّة حجرية، وزّعها في كل أنحاء البلاد ليقرأها الجميع، فلا يجد أحد عذراً لعدم تطبيق القانون على أساس أنه لم يقرأه.

وهكذا تمكن حمورابي من التغلّب على كل العراقيل التي اعترضت طريق مشروعه التوسعي. وسرعان ما فرض سيطرته على كل الممالك المجاورة، وأسس بذلك إمبراطوريته المترامية الأطراف، وصلت حدودها إلى بلاد المغول وإلى شرق سورية أيضاً.

المشابهات بين قانون حمورابي وشريعة التوراة

تتطابق بعض قوانين التوراة مع قوانين حمورابي وسنورد في ما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

قانون حمورابي 8:

إذا سرق سيد ثوراً أو شاة أو حماراً أو خنزيراً أو قارباً، إذا كان (المسروق) يعود للإله أو للقصر، فعليه أن يعطي 30 مثلاً. أما إذا كان يعود إلى مسكين، فعليه أن يدفع 10 أمثال كاملة، إذا لم يكن لدى السارق ما يعوّض به فإنه يعدم.

قانون التوراة:

إذا سرق رجل ثوراً أو شاة فذبحه أو باعه فليعوض بدل الثور خمسة من القطيع. وبدل الشاة أربعة من الخراف. (خروج 21: 37).

قانون حمورابي 129:

إذا قبض على امرأة مضطجعة، مع سيّد فيجب عليهم أن يوثقوهما ويلقوهما في الماء. ويمكن لزوج المرأة أن يبقي زوجته على قيد الحياة إذا رغب، كما يمكن للملك أن يخلّي حياة أمته.

http://al-maktabeh.com

قانون التوراة:

وإن أخذ رجل يضاجع امرأة متزوجة فليموتا كلاهما. (تثنية 22:22).

قانون حمورابي 195:

إذا ضرب ولد والده فعليهم أن يقطعوا يده.

قانون التوراة:

من ضرب أباه وأمه فليقتل قتلاً (خروج 21: 15).

قانون حمورابي 196:

إذا فقأ سيد عين ابن أحد الأشراف، فعليهم أن يفقأوا عينه.

قانون التوراة:

الكسر بالكسر والعين بالعين والسن بالسن (لاويين 24:20).

قانون حمورابي 197 . 200:

إذا كسر سيد عظم سيد آخر، فعليهم أن يكسروا عظمه.

إذا قلع سيد سن سيد من طبقته، فعليهم أن يقلعوا سنه.

قانون التوراة

هو ذات القانون السابق.

قانون حمورابي 245:

إذا استأجر أحدهم ثوراً وأماته بسبب الإهمال أو الضرب، يعوّض صاحب الثور ثوراً مثله.

قانون التوراة:

ومن قتل بهيمة، فليعوّض مثلها، نفساً بدل نفس (لاويين 24:1).

قانون حمورابي 250:

إذا عجل، وهو مار في الطريق، نطح رجلاً ما وأماته، هذه القضية لا تستوجب التعويض.

http://al-maktabeh.com

قانون التوراة:

وإن نطح ثور رجل أو امرأة فمات، فليرجم الثور ولا يؤكل من لحمه، وصاحب الثور براء (خروج 21:2).

قانون حمورابي 251:

إذا كان عبد أحدهم، يدفع ثلث منة، من الفضة (المنة: تساوي في بابل 505 غرام).

قانون التوراة:

وإن نطح الثور عبداً أو أمة، فليؤد إلى سيده ثلاثين مثقالاً من الفضة والثور يرجم (خروج 21:32).

هنا سؤال يطرح نفسه: هل هناك من علاقة وتواصل تاريخيين بين البابليين واليهود، قد ينتج عنهما مثل هذا التأثير الحر في المواد القانونية؟

نقول هنا، بديهياً، إنه، وحسب التقليد الكتابي، أن إبراهيم الخليل خرج من مدينته أور السومرية، أي من سهل شنعار من بلاد بابل الجنوبية على أيام حكم حمورابي، وعليه فإن إبراهيم كان حاملاً معه شرائع بلاده الأصلية، وبقيت تراثاً لدى أبنائه وأحفاده على التوالي يعملون بها ويتقاضون بموجبها. علماً أن التوراة تشير مع العلماء الباحثين في أسفارها أن الملك امرافيل المذكور في سفر التكوين (1:14 – 12). (هو الملك حمورابي).

وتأكيداً على كلامنا نجد أن زواج إبراهيم من هاجر الجارية، خادمة زوجته سارة العاقر، لينجب منها ولداً لسارة، أمر منصوص عليه في قوانين حمورابي. في حين أنه يغيب في قوانين العهد القديم.

فقد ورد في قانون حمورابي المادة 145 ما نصه: «إذا تزوج سيد زوجه، ولم تهد له أولاداً، وقرر أن يأخذ جارية فلهذا الرجل أن يأخذ ويأتي بها إلى بيته أنها امرأة ثانية».

http://al-maktabeh.com

وفي التوراة ورد ما نصه: «فقالت ساراي لأبرام: هوذا قد حبسني الرب عن الولادة فأدخل على خادمتي، لعل بيتي يبنى منها» (تكوين 2:16).

لذلك نستطيع القول إن إبراهيم، في زواجه من هاجر، طبّق قانون حمورابي، ثم إن النزاع الذي حصل بين سارة وهاجر مذكورة أسبابه في قانون حمورابي كما ورد في المادة 145: «... لا تكون مساوية للزوجة».

والتوراة تنص: «فلما رأت هاجر أنها قد حملت هانت سيدتها في عينها. فقالت ساراي لأبرام: ظلمي عليك، إني وضعت خادمتي في حضنك. فلما رأت أنها قد حملت، هنت في عينيها. ليحكم الرب بيني وبينك». (تكوين 16: 4 – 5).

اذاً تظلم سارة قانون، بحسب شريعة حمورابي ويبقى أن نطرح سؤالاً يطرح نفسه بخصوص هذه القصة: لماذا لم يبع إبراهيم هاجر، حسب عادة الأسياد مع العبيد، بل طردها من المنزل؟ الجواب أيضاً في قانون حمورابي الذي ينص بحسب المادة 146 ما يلي:

«إذا سيد تزوج زوجة وأعطت لزوجها جارية فولدت أولاداً، وإذا أرادت هذه الجارية أن تتساوى بعد ذلك مع سيدتها لأنها ولدت أولاداً، لا يجوز لسيدتها أن تبيعها بالفضة أو تضعها في السلاسل أو تعدها من الإماء».

والتوراة تشير إلى هذه الناحية بقولها:

«فقالت (سارة لإبراهيم): اطرد هذه الخادمة وابنها» (تكوين 21: 10).

إذاً، بعد ولادة إسماعيل، وحسب قانون حمورابي، لم يعد باستطاعة إبراهيم لا أن يبيع هاجر ولا أن يعاقبها. لذلك كان الحل الوحيد أمام سارة أن تطردها من المنزل.

وقبل أن اختم كلامي، أذكر بأن الشكل النهائي لنص التوراة يعود تأليفها إلى فترة ما بعد العودة من سبي بابل (القرن الخامس قبل الميلاد)، لذلك فالكاتب عاش مدة نصف قرن وأكثر في العالم البابلي وتعرّف على عاداته وتقاليده، وعلى تراثه الفكري والروحي وتأثر بها في عمله التأليفي لهذه النصوص القانونية.

http://al-maktabeh.com

بابل هيكل الإله

نقرأ في السفر الأول من التوراة (التكوين) في الفصل الحادي عشر ما نصه: «وكانت الأرض كلها لغة واحدة وكلاماً واحداً. وكان انهم لما رحلوا من المشرق وجدوا سهلاً في ارض شنعار. فأقاموا هناك. وقال بعضهم لبعض: تعالوا نصنع الطابق باللبن ونحرقه حرقاً، فكان لهم اللبن بدل الحجارة، والحمر كان لهم بدل الطين. وقالوا: تعالوا نبني لنا مدينة، وبرجاً رأسه في السماء، ونقيم لنا اسماً كي لا نتفرّق على وجه الأرض كلها».

هكذا اذن بنى البابليون مدينتهم الأولى بعد الطوفان في سهل شنعار أي بلاد الرافدين الجنوبية، فبنوها مدينة تختلف عن سائر المدن بعظمتها واتساعاتها، فبلغت مساحتها عشرة آلاف كيلومتر مربع أي بقدر مساحة لبنان اليوم.

بابل أو باب ايل، باب الإله، أو باب الآلهة، أو بيت الله، على عكس ما تفسّره التوراة بقولها: «فنزل الرب ليرى المدينة والبرج اللذين بناهما بنو آدم، وقال الرب: هوذا هم شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة، وهذا ما اخذوا يفعلونه، والآن لا يكفّون عمّا هموا به حتى يصنعوه، فلننزل ونبلبل هناك لغتهم، حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض. ففرقهم الرب من هناك على وجه الأرض كلها، فكفوا عن بناء المدينة، ولذلك سميت بابل، لأن الرب هناك بلبل لغة الأرض كلها. ومن هناك فرّقهم الرب على وجه الأرض كلّها...».

هذه الرواية التوراتية نضعها تحت عدسة النقد الفكري الديني لكشف حقيقة الحقد الدفين لليهود في قلوبهم والى حد هذا اليوم فنقول:

http://al-maktabeh.com

هناك مغالطات عدة في هذا النص، فقوله: «فنزل الرب ليرى المدينة والبرج» ثم يعود ليقول «فلننزل ونبلبل» فهو بالنص الأول نزل ورأى المدينة والبرج وانتهى كل أمر، فلماذا يعود ليقول «فلننزل» ثم يعود الكاتب التوراتي فيقول «ولذلك سميت بابل لأن الرب هناك بلبل لغة الأرض كلها» ما ذنب سكان الأرض ليبلبل الرب ألسنتهم، والذنب ذنب البابليين؟ هذا أولاً. وثانياً: هل كان البابليون منتشرين بكل الأرض وهل كانوا يملكونها. أم ان الكاتب التوراتي حقد على بابل وسكانها لم يرغب ان يسميها بيت الاله أو باب الله بل جعلها مركز بلبلة الألسنة؟

على اي حال بنى البابليون مدينتهم العظيمة والى جانبها أو في وسطها برج هو ما يسميه البابليون أو العراقيون القدماء «الزقورة - الهيكل» بطبقات عدة ليكون معبداً للاله الذي سمّوا باسمه مدينتهم بابل (باب إيل). فيظهر بشبه جبل حيث مسكن الاله الأعظم.

يقول اشعيا في معرض كلامه عن بابل: «... فبابل زينة الممالك وبهاء فخر الكلدانيين تصير كسادوم وعمورة اللتين قلبهما الله، فلا تسكن ابداً، ولا تعمر إلى جيل فجيل ولا يضرب اعرابي فيها خيمة ولا يربض هناك رعاة، بل وحوش القفر تربض هناك والبوم يملأ بيوتهم، وبنات النعام تأوي والتيوس ترقص هناك، والضبوع تعوي في قصورها وبنات آوى في هياكلها، أجَلَها قريب وأيامها لا تطول...».

فنتأمل الحقد في قلب رجل النبوة اليهودي... ورغم ذلك، ورغم اشعيا بقيت بابل اعظم مدينة في العالم القديم استمرت إلى ما بعد موت اشعيا بمئات السنين.

بابل العظيمة

أول من تكلم عن بابل القديمة هو المؤرخ اليوناني هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد، واطال الكلام عن عظمتها، ومثله فعل قطيسياس، طبيب ارتحششتا الثاني في القرن الرابع قبل الميلاد، ثم ديودورس الصقلّي ابن القرن الأول

http://al-maktabeh.com

قبل الميلاد الذي ترك لنا المكتبة التاريخية، وسترابون الذي كتب في القرن الاول المسيحي والذي صوّر في كتابه «الجغرافيا» العالم القديم في بداية الأمبراطورية الرومانية، ولكن من المؤسف ان هذه الآثار سلبت وبنيت بها مدينة الحلة الرابضة قبالة بابل المدينة القديمة.

بابل التي سكنها اكثر من مائة الف نسمة، شرقي الفرات وغربه مع جسر يربط بين الضفتين، ويستند إلى سبعة عواميد، طول الواحد 21 متراً، وعرضه 9 امتار. وارتبطت القرميدات بالحديد والرصاص. اما عدد العواميد فسبعة. مدينة امتدت من الشرق إلى الغرب مسافة 2500 متر ومن الشمال إلى الجنوب على مسافة 1500 متر، هذا دون ان نحسب الضواحي، خارج جدران كوّنت سورين مستطيلين يحيطان بالمدينة مع حصون بارزة. ابواب المدينة اربعة، واشهرها باب عشتار، هذا الباب يصل إلى ايساجيل الذي هو القلب الديني للمدينة مع الزقورة، ذاك المعبد الرائع الجمال الذي لفت انظار اليهود والذي كان مع توابعه مربعاً ضلعه 500 متر، مع العلم انه وجدت معابد أخرى صغيرة في المدينة، مثل معبد انانا. وبين ايساجيل وباب عشتار، كشف قصر بابل الكبير الذي عمل فيه اكثر من ملك. كان محمياً من جهة النهر بواسطة قلعة إلى الجنوب، والى الشمال بواسطة سور امامه قلعة اخرى. بقرب هذا القصر كانت «الجنائن المعلقة» جنائن سميراميس (شميرام) التي كانت إحدى عجائب الدنيا السبع.

نشير إلى ان قصر بابل قد بناه نبويلاسر ونبوخذنصر ونبونئيد، وفيه مات الاسكندر في حزيران سنة 323 على ما يبدو. هذا المربّع المنحرف (322 متراً، 190 متراً) تضمّن خمس وحدات متشابهة: في كل وحدة رواق كبير تحيط به قاعات الخدمة إلى الشمال، إلى الجنوب. القلعات الرسمية، تنفتح على الرواق الثالث، غرفة العرش التي كان طولها 52 متراً، وواجهتها مزيّنة بقرميد مزخرف وبحيوانات تبدو كأنها تسير في طريقها.

اراد الاسكندر المقدوني أن يعيد بناء برج بابل، فأزال الركام، ولكنه ما استطاع استكمال ما بدأ به. فبقيت الأسس في شكل مربع، قياس ضلعه 91 متراً

http://al-maktabeh.com

ولكن نتكلم عن المساكن التي توزعت في احياء، مع شبكة طرقات وشبكة مجارير تتشوّق اليها حتى الآن عدد من مدننا في الشرق. كل هذا زال فقال سترابون: نستطيع ان نطبّق على بابل ما قيل عن ميغالوبوليس (المدينة الكبيرة) في اركادية (منطقة في اليونان اعتبرت مدينة الشعر والأحلام): «لم تعد المدينة الكبيرة سوى قفر كبير».

ونورد هنا صورة عن المدينة بحسب دراسة احد العلماء. «ننتير» = بابل: ذاك هو عنوان مقال دوّن تمجيداً لبابل ودورها كمركز ديني. اخذ اللقب من السطر الأول: تنتير (اسم) بابل التي وهب لها التمجيد والتهليل. انطلق النص، حين دوّن من رقوم بابلية وآشورية كتبت بين القرنين السابع والأول قبل الميلاد، قد تعود إلى حكم نبوخذنصر الأول سنة 1225 ق.م تقريباً، حين بدأ العلماء ينسبون إلى بابل والى مردوخ، تفوقاً كوسولوجياً (على مستوى الكوسموس، الكون) ولاهوتياً، يسند اسناداً مستمراً تفوّق المدينة على المستوى السياسي.

ما يهمنا الرقم الرابع وجزء من الرقم الخامس، وهو يساعدنا على التعرّف إلى تصميم المدينة، تورد الرقيم الرابع إسم 43 معبداً في بابل بدءاً من ايساجيل، معبد مردوخ. وجمع النص المعابد بحسب الأحياء: في حي اريدو 14 معبداً، في كارنيجرا 40. في شوانا 21. في المدينة الجديدة، 30 وفي الرقيم الخامس نجد لائحة بأسوار المدينة واقنيتها وابوابها وشوارعها، دون تحديد موضع كل واحد منها.

وينتهي النص بوصف طوبوغرافي يحدد مكان كل حي من احياء المدينة العشرة. امتدت من باب عشتار إلى الباب الكبير. وأريدو من الباب الكبير إلى باب سوق البائعين.

وشوانا إلى باب أوراش. وهكذا نستطيع ان نتعرّف إلى تصميم مدينة بابل مع وجود معابد للأم العظمى ولعشتار (كادنتجيرا) والاله نبو والالهة اشراتوم، والالهة نونورتا (شوانا). ولكن متى نستطيع ان نتعرّف إلى بابل في العمق؟ نحن ننتظر الحفريات والتنقيبات، ويبقى التاريخ معيناً له بما تسمح به الظروف سيما اليوم تحت الاحتلال الأميركي – الصهيوني.

http://al-maktabeh.com

كلدو وآشور في ذاكرة التوراة

يعتبر كتاب العهد القديم (التوراة) المساحة الواسعة التي يرسم كتّابه جغرافية كبيرة لبلاد كلدو وآشور سياسياً واجتماعياً وفكرياً ودينياً، حيث أن حضارة كلدو وآشور مدّت بالكثير من عطاءاتها اللغوية والأدبية والروائية والفكرية والدينية. وما زال الباحثون في حقل الدراسات الكتابية يكتشفون بين الآونة والأخرى التأثيرات – المقتبسات والمشابهات – الفاعلة التي طبعت حضارة كلدو وآشور بطابعها الكثير من المعطيات الكتابية، وهذا ما تفرضه الدراسات الحديثة من أجل فهم العديد من النصوص الكتابية فهماً علمياً صحيحاً، لن يكون ذلك كافياً ولا وافياً في صفحات معدودة بهذا الكتاب. لكننا نكتفي هنا بهذه «الدروس الأولية» آملين ان يثير فينا فضولاً وشهية للبحث الأشمل والغوص الأعمق في غنى تلك الحضارة (البابلية، الآشورية، الكلدانية...) على أفكار التوراة وطروحات العهد القديم.

توسع آشور

أول من أسس الامبراطورية الآشورية الحديثة كان تغلات بلاسر الأول الذي سمّى نفسه «ملك العالم، ملك آشور، ملك الجهات الأربع، ملك أصقاع الأرض» وافتخر بأنه حقق انتصارات واحتلالات من التراب الأسفل حتى البحر الأعلى، عندما حكم حوالي العام 1100 ق.م سار لمحاربة بلاد نايرين (في الشمال) وقصد لبنان وقطع أرزه، وأخذ جزية من جبل (جبيل) وصيدون وأرواد.

http://al-maktabeh.com

عبر الفرات ثمان وعشرين مرة. وصل جيشه إلى بحيرة وان (شمال شرق دجلة) سيطر على كل شمال بابل واحتلّ مدينة بابل. لكن هذه المرحلة من المجد لم تدم طويلاً إذ تبعتها قرون مظلمة.

تلا ذلك عصر آخر من السيطرة مع آشور ناصر بال الثاني (859–883 ق.م) ذي القوة والسطوة من بت ـ أديني. عبر نهر الفرات، واستولى على كركميش، وتجاوز شمال سورية (حطينا)، وغسل أسلحته في البحر الكبير (الأبيض المتوسط)، آخذاً الجزية من صور، وصيدا، وأرواد، ومن مدن أخرى، ثم صعد إلى جبال امانوس (شمال غرب سورية).

وسّع خلفه شلمناصر الثالث (858 – 824 ق.م) حدود آشور احداً، وكان يفتخر انه بلغ منابع نهري دجلة والفرات. سار لمحاربة اكاد (بابل) ودخل مدن بابل، وكونه، وبورسيبا، في الشمال وصل إلى بحيرة وان بارمينية. وسنة 853 ق.م غزا سورية، فخضعت حلب له، ولكن في قرقر على نهر العاصي (أورونتس)، صادف تحالف اثني عشر ملكاً، كانت من ضمنه قوات آحاب ملك اسرائيل، وحدد عزر ملك دمشق، وفصائل أيضاً من حماة، وقو، ومسري، وأرواد، وعرابيا، وعمّون سنة 841 ق.م. عبر الفرات للمرة السادسة عشرة، وهزم حزائيل ملك دمشق، وتلقى الجزية من صور وصيدا، ومن ياهوه ملك اسرائيل.

صعود نجم آشور

أضعفت ثورات أوراترو (أرارات) وتجاوزاتها دولة آشور، لكن الملك تغلات بلاسر الثالث (727–745 ق.م) أوقف تقدّم أوراترو، فاحتل أرواد، وغزا فلسطيا، وتلقى الجزية من كمّوخو، وميليد، وقو، وشمأل، ودمشق، وصور، وجبيل، وعرابيا (بلاد العرب)، ومن مصادر أخرى، بمن فيهم مناحيم ملك اسرائيل.

وصل تغلات بلاسر إلى طورشبا في اوراترو، ولكنه عجز عن احتلالها. وأقنعه

http://al-maktabeh.com

آحاز بمواجهة اسرائيل ودمشق ضد يهوذا (اليهودية) (2 ملوك 16:15 – 19) (اشعيا 8–7) فاحتل دمشق والحقها بامبراطوريته، وضمّ اليها أيضاً كل اسرائيل باستثناء مقاطعة السامرة، وأجلس هوشيع على عرش اسرائيل.

وبعدما أصبح شلمناصر الخامس (727 – 227 ق.م) ملكاً للدولة الآشورية، انتفضت دولة اسرائيل عليه، عندها غزا شلمناصر اليهودية، وسجن ملكها هوشيع، وحاصر السامرة.

ثم أكمل سرجون الثاني (705–721 ق.م) غزوها واخضاعها، وسبى 27.290 اسرائيلياً إلى بلدة حاله، ونهر الخابور (غوزان) وميديا. وأعاد بناء السامرة، وأتى بغرباء من بابل، وكوله، وأفّا، وحماة، وسيفارقايم (حوليات سرجون. ملوك الثاني 17 – 18). وهزم حنّو ملك غزة، وصيبا، ملك مصر في راقيا (رفح) (راجع ملوك الثاني 17:4).

سنة 711 ق.م، أمسك أزوري، ملك أشدود، عن دفع الجزية، فانتشرت الانتفاضة. ومن دون أن ينتظر سرجون جمّع كل جيشه، غزا الساحل، فاستولى على مدن جت، وأشدود، وأشدودمو. بعد ذلك، أخضع سرجون بابل التي كانت تحت حكم مروباخ – بالادان، وبنى عاصمة جديدة في دور – شروكين.

قامت في وجه ابنه سنحاريب (681–704 ق.م) ثورة في فينيقيا، وفلسطيا، شجعهما عليها مروباخ – بالادان ومصر (2 ملوك 20:12 إشعيا 39) لكن سرعان ما استسلمت المدن الفينيقية، ومؤاب، وأدوم، وعمّون، أما الآخرون فدفعوا الجزية، ثم هزم القوة المصرية الأثيوبية في إلتكه، وحاصر عقرون وأخذها. بعدها غزا اليهودية وأرغم اورشليم على الاستسلام (حوليات سرجون و2ملوك 18، إشعيا 36) سقطت بابل أمام سنحاريب 789 ق.م فعاث جيشه في بابل فساداً بلا شفقة.

ذروة وأفول

اغتيل سنحاريب في نينوى في مؤامرة حاكها ضده إبناه أدرملك وشرآصر

http://al-maktabeh.com

شقيقا أسرحدون الأكبر سناً (669–680 ق.م). لاحقهما أسرحدون حتى هانيجيليات غربي دجلة الأعلى، لكنهما فرّا إلى «بلاد أرارات» (2ملوك 37–19:36) بعد فشل أولي في مصر، دخلها أسرحدون واستولى على ممفيس، وضم مصر إلى الأمبراطورية، وبالرغم من هزيمة ترحالة ملك مصر، فقد نجح في الفرار إلى نابّاتا. أعلن أسرحدون أنّه استولى حتى على اثيوبيا (كوش).

على أثر كل هذه الانتصارات، دعا نفسه «ملك آشور، حاكم بابل، ملك كاردونياس (بابل)، ملك مصر، باتوريسي (باتروس) الكتابية (في مصر العليا)، واثيوبيا». وفي طريق العودة، أخضع اشقلون (عسقلان). ولأن منسّى، ملك اليهودية، كان قد شارك، على ما يبدو في الثورة في هذا الجزء من الامبراطورية أو لأنه توقف عن دفع الجزية، فقد نفي إلى بابل على الحدود الشمالية الغربية، هزم اسردون تيوسفا، ملك القمارين، و«داس رقاب الشعب في خلاكو، وأوقف مؤقتا تقدم القوطيين.

قام آشور بانيبال (630–668 ق.م) بحملة أولى ضد مصر، فاستولى على ممفيس واحتل طيبه، وفي حملة ثانية، هزم تندمان خليفة ترهاقه، واستباح طيبة يرد ذكره في سفر عزرا (10:4) على انه «اوسنبار» (هو آشور بانيبال، وحرفيا:استفر، النبيل والعظيم).

أيام آشور بانيبال، بلغت الدولة الآشورية ذروة نموها الثقافي، وهذا ما تعكسه أماكن اقامة الملك والمكتبة التي اكتشفت في نينوى التي كانت يومئذ العاصمة الأخيرة للدولة، تقوم على الضفة الشرقية من نهر دجلة، وكانت تعرف بـ «المدينة العظيمة». يعلن واضع سفر يونان انه كان يلزم ثلاثة أيام لاجتيازها (يونان 3:3).

وتفيد المعطيات الأركيولوجية ان قطرها كان يزيد قليلاً على أربعة كيلومترات، لكن بالمقارنة مع قرى اسرائيل الصغيرة كانت تبدو وكأنها مدينة كبيرة. أظهرت الحفريات روعة قصر سنحاريب فيها، مع الأسوار التي كانت تحيط بالمدينة، التي كان طولها يبلغ 12 كيلومتر، وفيها اثنا عشر منها، اكتشف منها أربعة: شمش، نركال، مشتاكي وأدد.

http://al-maktabeh.com

تمكنت مصر وبابل من الافلات من قبضة الأشوريين، فكان الأفول بعد موت آشوربنيبال سريعاً.

أيام نابوبلاسر، نالت بابل الاستقلال سنة 626 قبل الميلاد، بعد هجوم آشوري فاشل على بابل. سقطت الدولة الآشورية بيد الماديين سنة 614 قبل الميلاد، ودمّرت نينوى على يد الماديين والبابليين سنة 612 ق.م (سفرناحوم).

تقلّد آشور وبلّيط الحكم على آشور في حاران وفي سنة 610 ق.م انسحب إلى سورية عندما استولى الماديون والبابليون (الكلديون) على حاران.

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

حكمة وادي الرافدين
وأثرها في العهد القديم

كانت الأسفار الحكمية في العهد القديم تعتبر أقدم النصوص التعليمية المدونة، والحقيقة أن ذلك شهادة زور على العهد القديم، إذ تبين وبالتحقيق العلمي الدقيق، أن الحكمة نبتت على ضفاف الرافدين ونمت وترعرت حتى امتدت فروعها إلى الشعوب المجاورة وما بعدها، بدءاً بالسومريين ومروراً بالأكاديين والبابليين، وانتهاء بالآشوريين الذين في عهدهم أينعت الحكمة وازدهرت على لسان «أحيقار» وزير الملك سنحاريب الآشوري.

بطاقة أحيقار الشخصية

هو شخص عاش فعلاً في زمن الملكين الآشورين سنحاريب (704 ـ 671 ق.م) وابنه أسرحدون (680 ـ 669 ق.م)، وكان مستشاراً أو وزيراً لهما، وكان حكيماً عظيماً ذا مال وفير ومعرفة ورأي وتدبير. لم ينجب، فتزوج عدة نساء، ولكنه بقي دون وريث. أشار عليه العرّافون والمجتمعون أن يذبح للآلهة، ولكنه لم ينل مبتغاه. إلا انه سمع صوت الإله يوماً يقول له: خذ نادان ابن أختك واجعله وريثك؛ علّمه علمك، ولقنه حكمتك، فأخذ نادان، وكان بعد رضيعاً، واعتنى بأمره. ولما شب علّمه الكتابة والقراءة والأدب والحكمة والعلوم. وبعد سنوات، كبر أحيقار وشاخ، فأشار عليه الملك أن يعين من يخلفه في منصبه. فأجابه أنه قد اتخذ من ابن أخته ولداً، فأمره الملك

http://al-maktabeh.com

بإحضاره، وعجب لأدبه وحكمته، فوافق على تعيينه خلفاً له. فأخذ خاله أحيقار يبذل النصح له، ويطلعه على أسرار النجاح في مهمته، سارداً له تجاربه في الحياة.

إلا أن نادان يُخيّب آمال خاله ومربيه، فيصبح خاله وأهله عرضة لتقولات شتى، حتى يضطر أحيقار أن يعاقب نادان ويسترد الميراث، مانحاً إياه إلى الأخ الأصغر، فيحقد نادان على خاله، ويضمر له العداء، ويدبر خطة للإيقاع به، فيلجأ إلى طريقة دنيئة، إذ يدس على أحيقار خطابين موقعين باسمه: الأول موجه إلى ملك الفرس، والثاني إلى فرعون مصر، يظهر أحيقار كليهما خائناً لوطنه وملكه، إذ يطلب من الملكين المجيء إلى بلاد أشور لكي يتسلما المملكة بغير حرب. ويقع الخطابان في يدي الملك وفق الخطة المرسومة، ويزوّر نادان خطاباً ثالثاً موجهاً من قبل الملك إلى أحيقار يطلب إليه أن يجمع العساكر ويحضر في موقع معين، فيطيع أحيقار وتثبت التهمة عليه، ويتأكد الملك هذا من خيانته فيصدر أمراً بالقبض عليه وقطع رأسه. وتشاء الصدف أن يكون أحيقار قد أنقذ سابقاً الرجل الموكل إليه أمر إعدامه، فيدبر هو وامرأة أحيقار أمر نجاته، وينفذ الحكم بأحد المحكوم عليه بالإعدام، بينما يختبئ أحيقار في مخبأ حديقة الدار لا يعلم به أحد.

تمر السنون، ونادان مكان خاله مستشاراً للملك، لكنه غير متزن وضعيف الرأي، فيستغل ملك مصر الفرصة لإحراج ملك آشور، فيبعث إليه مخبراً يخيره بين أمرين: إما أن يرسل من يبني له قصراً في الهواء ويردّ على أسئلته، فتدفع له مصر الجزية ثلاث سنوات، أو يعجز عن ذلك فيدفع الجزية لمصر.

وإذ يجمع ملك آشور العلماء والحكماء والعرّافين ويعرض الأمر عليهم، يقر الجميع بعجزهم، ونادان أشد عجزاً منهم. فيغتم الملك غماً شديداً، ويأسف على قتل أحيقار الحكيم، ويطول حزنه حتى يمثل السياف بين يديه ويصرخ بأنه قد أبقى على حياة أحيقار اعترافاً له بالجميل، فيستدعيه الملك ويعرض عليه رسالة ملك مصر. فيرضى بالسفر إلى مصر متحدياً ملكها، ويربح الشرط، ويرجع إلى نينوى غانماً ظافراً معززاً مكرماً، مثقلاً بالهدايا، ويجري له استقبال حافل وكأنه منقذ البلاد.

http://al-maktabeh.com

وينتقم أحيقار من نادان، فيربطه بسلسلة حديد، ويلقيه في مكان مظلم، ويؤنبه بكلام حكمة قاسية. وتقول القصة إن نادان انتفخ حتى انفجر ميتاً.

أثر حكمة أحيقار في العهد القديم

إن أصول الحكمة العراقية القديمة، مبثوثة في التفكير السومري والأكادي، وانتقل تراث هاتين العقليتين إلى الأجيال الآشورية بنصوصه وترجماته الكثيرة، ويعتبر أحيقار خلاصة الحكمة الرافدينية المتأثر بالحكمة السومرية والأكادية تأثيراً عميقاً، روحاً ونصاً، الأمر الذي يؤيد من سريان الحكمة وتناقلها من جيل إلى جيل.

وعليه، فإن مقابلة أمثال العراق القديم ممثلة بأمثال أحيقار حكيم نينوى بكثير من الأمثال والحكم عند العبرانيين، ترينا أن كُتّاب أسفار العهد القديم كانوا يعرفون هذه الأمثال والحِكَم؛ وقد اخترنا عدداً من الأسفار التي نجد فيها عناصر واضحة من حكمة أحيقار.

والأسفار الحاوية بعض العناصر من حكمة أحيقار وكتب نصها الأصلي بالعبرية هي:

أولاً – سفر الأمثال:

إن لغة الأمثال لربما تعود إلى عهد أقدم من عهد الملك سليمان، وقد فاهت بها شعوب الشرق القديمة، وحكماؤها من آدوميين وآشوريين، ومن مصريين خصوصاً. فبعد أن كان «سفر الأمثال» العبراني يعد أقدم مجموعة من الحكم والأقوال المأثورة في تاريخ الإنسان المدوّن، اكتشفت أن المدينة السومرية الأشورية هي أقدم، إذ عثر على مجموعات من الأمثال والوصايا، وهي تسبق في زمنها «سفر الأمثال» التوراتي بسنين كثيرة.

ولقد وردت في هذا السفر نصوص غزيرة جداً تتفق وحكمة أحيقار في مواضيع حياتية شتى منها:

http://al-maktabeh.com

- **في تربية الأطفال وتأديبهم:**

1) في فم الفطن توجد الحكمة، والعصا على ظهر فاقد اللب (أمثال 10: 13).

2) من وفر عصاه فهو يبغض ابنه، والذي يحبه يبكر إلى تأديبه (أمثال 13: 24).

3) السفه متأصل في قلب الصبي، لكن عصا التأديب تنقّيه (أمثال 22: 15).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار ما يلي:**

1) يا بني، لا تحرم ابنك من الضرب (التأديب)، لأن الضرب للصبي كالسماد للبستان، وكاللجام للبهائم، وكالقيد في رجل الحمار (رقم 22).

2) يا بني، اخضع ابنك ما دام صغيراً قبل أن يفوقك قوة ويتمرد عليك، فتخجل من مساوئه (رقم 23).

- **وجوب معاشرة الحكماء:**

1) مساير الحكماء يصير حكيماً، ومؤانس الجهال يصير شريراً (أمثال 13: 20).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، مع الحكيم لن تفسد، ومع الفاسد لن تكون حكيماً (رقم 11).

2) يا بني، عاشر الحكيم تصبح حكيماً مثله، ولا تعاشر الوقح المهذار لئلا تحسب نظيره (رقم 12).

- **الجار الصالح وتجنب الخصام:**

1) لا تترك صديقك ولا صديق أبيك، ولا تدخل بيت أخيك في يوم بؤسك. جار قريب خير من أخ بعيد (أمثال 27: 10).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، صديق قريب خير من أخ بعيد. والإسم الجيد خير من الجمال الباهر، لأن الإسم الجيد يدوم إلى الأبدً، والجمال يذوي ويزول (رقم 49).

http://al-maktabeh.com

2) يا بني، لا تقف حيث الخصومة، لأن من الخصام ينتج القتل (رقم 55).

3) يا بني، لا تبتعد عن صديق أبيك، فربما لا يصلك صديقك (رقم 57).

- **الصيت الحسن:**

1) الصيت أفضل من الغنى الكثير، والنعمة خير من الذهب والفضة (أمثال 22: 1).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، الزبد الذي في يدك خير من الدهن الذي في قدر الآخرين. ونعجة قريبة خير من بقرة بعيدة، وعصفور في يدك خير من ألف عصفور طائر، والفقر الذي يجمع، خير من الغنى الذي يبدد، ورداء صوف ترتديه خير من خز وأرجوان يرتديه الآخرون (رقم 51).

2) يا بني، عين الإنسان هي كينبوع ماء، ولا تشبع من الأموال حتى تمتلئ بالتراب (رقم 66).

- **صفات المرأة الشريرة:**

1) وتنقذك من المرأة الأجنبية، من الغريبة التي تتملق كلامها (أمثال 2: 16).

2) وَلِمَ تهيم، يا بني، بالأجنبية أو تحتضن الغريبة (أمثال 5: 20).

3) لكي تحفظك من المرأة الشريرة، من تملق لسان الغريبة (أمثال 6: 24).

4) لا تشته بقلبك جمالها، ولا تفتنك بجفنيها، فإنه بالمرأة الزانية يصار إلى عوز رغيف من الخبز، وذات البعل تصطاد النفس الكريمة. أيأخذ إنسان ناراً في حجره ولا تحترق ثيابه؟ أم يمشي أحد على الجمر ولا تكتوي قدماه؟ هكذا الداخل على امرأة قريبه، كل من مسها لا يكون ذكياً (أمثال 6: 25 _ 30).

5) لا يجنح قلبك إلى طرقها، ولا تهيم في مسالكها (أمثال 7: 25).

http://al-maktabeh.com

6) فإنها طرحت كثيرين جرحى، وكل من قتلته كان من الأقوياء (أمثال 7: 26).
7) المرأة الفاضلة إكليل لرجلها، وذات الفضائح كنخر في عظامه (أمثال 12: 4).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، لا ترفع نظرك إلى امرأة متبرجة متكحلة، ولا تشتهيها في قلبك، لأنك إن أعطيتها كل ما ملكت يداك، لن تجد فيها خيراً، وترتكب إثماً امام الله (رقم 5).
2) يا بني، لا تفسق بامرأة صاحبك، لئلا يفسق آخرون بامرأتك (رقم 6).
3) يا بني، لا تقرب امرأة مهذارة، ولا صخابة (رقم 18).
4) يا بني، لا يغرينك جمال المرأة، ولا تشتهيها في قلبك، لأن جمال المرأة ذوقها، وبهاؤها نطقها (رقم 19).

• **سقوط الأشرار وانتصار الأبرار:**

1) فإن الصدّيق يسقط سبع مرات، وينهض، أما المنافقون فيقعون في العطب (أمثال 24: 16).

■ **يقابلها في حكمة أحيقار:**

1) يا بني، إن الأثيم يسقط ولا ينهض، والبار لا يتزعزع، لأن الله معه (رقم 21).

• **عدم الشماتة بالأعداء:**

1) يا بني، كن حكيماً، وفرّح قلبي، فأجيب معيّري بكلمة (أمثال 27: 11).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، لا تفرح إذا مات عدوك (رقم 60).

• **العودة إلى الأخلاق السيئة:**

1) ككلب عائد على قيئه، هكذا الجاهل المكرر سفهه (أمثال 26: 11).

http://al-maktabeh.com

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) كنت لي، يا بني، كالكلب الذي دخل إلى فرن الخزاف ليتدفأ، وبعد أن دفئ نهض لينبح على الخزافين (في توبيخ نادان).

• **اقتلاع العيون الشريرة:**

1) العين المستهزئة بالأب، والمستخفة بطاعة الأم، تفقأها غربان الوادي، وتأكلها فراخ النسر (أمثال 30: 17).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، إن الكلب الذي يأكل من صيده يصبح من فصيلة الذئاب، واليد التي لا تجتهد تقطع من أصلها، والعين التي لا تبصر تقتلعها أفراخ الغربان (توبيخ نادان).

ثانياً – سفر الجامعة:

إن سفر الجامعة، لهو في الحقيقة أشد أسفار الكتاب المقدس غموضاً وأجدرها في تضليل القارئ السطحي.

يبتدئ الغموض بشخص المؤلف نفسه الذي، في الفصل الأول، يقول إنه ابن لداوود الملك وملك أورشليم، فيبدو لنا وكأنه مالك كل حكمة سليمان وغناه المضروب بهما المثل. وكان يجب أن لا تغش هذه التسمية الوهمية أحداً لأن المؤلف يتكنى في ذات الوقت بإسم آخر، أي «الجامعة».

وفي نهاية السفر خلاصة كتبتها يد ثانية تضعه بين «الحكماء» دون ريب، أمثال الذين سيدعون في زمن الإنجيل «المعلمين».

ثم إن كلمة «الجامعة» ليست إسم علم حقيقي، بل تعني شخص المؤلف من خلال وظيفته، وهي دون ريب وظيفة معينة في الجماعة.

كتب النص الأصلي لهذا السفر بالعبرية وقد وجد علماء الكتاب المقدس نصوصاً كثيرة بين فصوله لا يمكن أن يكون سليمان كاتبها، ويرتقي عهد هذه النصوص إلى حوالى القرن الثالث قبل الميلاد، أو إلى العهد اليوناني (204 ــ 200 ق.م).

http://al-maktabeh.com

وعليه، نجد خمسة نصوص على الأقل في هذا السفر تتفق وبعض ما ورد في حكمة أحيقار وتدور حول:

- **المرأة الشريرة:**

1) فوجدت أن ما هو أمرّ من الموت، المرأة التي قلبها أحبولة وشبكة، ويداها قيود. من كان صالحاً أمام الله ينجو منها، وأما الخاطئ فيقتنص بها (الجامعة 7: 27).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، لا ترفع نظرك إلى امرأة متبرجة متكحلة، ولا تشتهيها في قلبك، لأنك، إن أعطيتها كل ما ملكت يداك، لن تجد فيها خيراً، وترتكب إثماً أمام الله (رقم 5).

- **النظر إلى الجاهل واستهتاره:**

1) سماع الانتهار من الحكيم خير من سماع ترنيم الجهال (الجامعة 7: 6).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) نقل الحجارة مع رجل حكيم أفضل من شرب الخمرة مع رجل جاهل (رقم 9).

2) يا بني، أسكب خمرتك على قبور الصالحين، ولا تشربها مع الأثمة (رقم 10).

- **الإنسان وحالته المادية:**

1) فقلت إن الحكمة خير من القوة، ومع ذلك، فحكمة المسكين مزدراة وكلامه غير مسموع (الجامعة 9: 16).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، من كان ملآن اليد يدعى حكيماً ومحترماً، ومن كان فارغها يدعى مسيئاً ووضيعاً (رقم 44).

http://al-maktabeh.com

- **كلام الحكيم والجاهل:**

1) قلب الحكماء في بيت النياحة، وقلب الجهال في بيت الفرح. (الجامعة 7: 5).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، خير لك أن يضربك الحكيم عصياً كثيرة من أن يدهنك الجاهل بطيب العطر (رقم 73).

- **تأثير الحزن في القلب البشري:**

1) الصيت خير من الطيب، ويوم الموت خير من يوم الولادة. الدخول إلى بيت النياحة خير من الدخول إلى بيت الوليمة، لأن ذاك منتهى جميع البشر، فيجعله الحي في قلبه. الحزن خير من الضحك، لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب (الجامعة 7: 2 ـ 4).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، الموت خير لرجل لا راحة له، وصوت النحيب في أذني الجاهل أفضل من الغناء والفرح. (رقم 50).

ثالثاً – سفر يشوع بن سيراخ:

إن سفر ابن سيراخ هو أوسع من الكتب الحكمية الأخرى، وهو ينتمي إليها، وخاصة سفر الأمثال، إذ يحتوي السفران على عناصر عدة مشتركة بينهما. يتألف ـ شأن سفر الأمثال ـ من مجموعة حكم تارة قصيرة، وغالباً طويلة نسبياً. فإنه دون ريب قد اتخذ أكثرها، بعد أن طبعها بطابعه الخاص، من التراث العام المتداول الذي يرتقي إلى حكمة الشعوب المجاورة ـ الآشوريون والآراميون والمصريون ـ كما أننا نجد فيه ملاحظات لا تبعد عن أن تكون من وحي اختباره الشخصي، فتشكل مع مقاطع أخرى، ضرباً من الترجمة الشخصية، ويظهر لنا فيها ابن سيراخ بأوصاف أثارت قريحة الشراح.

فهو رجل موسر، مهتم بصالحه وتربية بنيه وزوج بناته. ونحس أن لديه

http://al-maktabeh.com

إيماناً قوياً وتقوى عميقة، وإن كانت قليلة الزهد. وإنه اكتسب خبرة واسعة خلال حياة قضاها في الأسفار وركوب الأخطار واحتمال المحن. وقد جعلت منه معرفته للأسفار المقدسة، وحكم الحكماء، معلماً، وكتابه موجه خاصة إلى تلاميذه الشبان.

كتب النص الأصلي لأثر ابن سيراخ في الفترة الواقعة بين سنتي 190 و170 قبل الميلاد. لم يعتبر من الأسفار القانونية في مجموعة الأسفار العبرية، كما أن بعض الكنائس المسيحية تعتبره من الأسفار المنحولة (أبوكريفا). وأقدم ترجمة له إلى اليونانية المعروفة بالسبعينية عملت حوالى سنة 130 ق.م. كما أخذت عنها الترجمة الآرامية، مع وجود ترجمة آرامية أخذت مباشرة من العبرية.

إن كاتب هذا السفر مطلع تمام الإطلاع على حكمة أحيقار ـ إن لم يكن سفر طوبيا قد سبق تاريخياً سفر ابن سراخ، واطلع كاتبه على حكمة طوبيا المتأثرة هي الأخرى بحكمة أحيقار كما سنرى ـ فقد وردت في آيات كثيرة تتفق وحكمة أحيقار نصاً وروحاً بطريق تفوق بقية الأسفار المقدسة، الأمر الذي يبرهن على اهتمام آداب الحكمة العبرية بهذه الحكمة الآشورية أبلغ اهتمام.

وبين ابن سيراخ وأحيقار علاقة وثقى، أهمها ما يدور حول:

- **تربية الأولاد:**

1)إن دللت ابنك روّعك، وإن لاعبته أحزنك. لا تضاحكه لئلا يَغُمك، وفي أواخرك يأخذك صريف الأسنان. لا تجعل له سلطاناً في مبادئه، ولا تهمل جهالاته. إحن رقبته في صبائه، وارضض أضلاعه ما دام صغيراً، لئلا يتصلب فيعصيك، فيأخذك وجع القلب. أدب ابنك واجتهد في تهذيبه، لئلا يسقط في ما يخجلك (ابن سيراخ 30: 9 ـ 3).

- **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، لا تحرم ابنك من الضرب، لأن الضرب للصبي كالسماد للبستان، وكاللجام للبهائم، وكالقيد في رجل الحمار (رقم 22).

http://al-maktabeh.com

2) يا بني، أخضع ابنك ما دام صغيراً، قبل أن يفوقك قوة ويتمرد عليك، فتخجل من مساوئه (رقم 23).

- **العلاقات الاجتماعية:**

1) الفم العذب يكثر الأصدقاء اللطيف يكثر المؤانسات (ابن سيراخ 6: 5).

2) وتكشف له أسرارها وتجمع فيه كنوزاً من العلم وفهم البر (ابن سيراخ 4: 21).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، اجعل لسانك حلواً، وكلامك عذباً، فإن ذنب الكلب يطعمه خبزاً، وفمه يكسبه رجماً (ضرباً) (رقم 37).

2) يا بني، لا تدع صاحبك يدوس رجلك، لئلا يدوس عنقك (رقم 39).

- **حفظ اللسان وصون الأسرار:**

1) احبس فضتك وذهبك، واجعل كلامك ميزاناً ومعياراً، ولفمك باباً ومزلاجاً، واحذر أن تزل به، فتسقط أمام الكامن لك (ابن سيراخ 29: 29 _ 30).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، احصر الكلمة في قلبك تسعد، لأنك، إذا بدلت كلامك، فقدت صديقك (رقم 52).

2) يا بني، لا تطلق الكلمة من فمك حتى تروزها في قلبك، لأنه خير للرجل أن يعثر في قلبه من أن يعثر في لسانه (رقم 53).

- **العلاقة بين الإنسان وصديقه:**

1) لا تقاطع صديقك القديم، فإن الحديث لا يماثله (ابن سيراخ 9: 14).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، حام صديقك أمام السلطان، لكي يمكنك أن تحاميه أمام الأسد (رقم 59).

http://al-maktabeh.com

- **النظرة إلى أفاضل الرجال:**

1) أحسن إلى التقي فتنال جزاء، إن لم يكن من عنده، فمن عند العلي (ابن سيراخ 12: 2).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، من أنعم الله عليه، فاحترمه أنت أيضاً (رقم 64).

2) لا توتر قوسك ولا تطلق سهمك على الصديق، لئلا تفزع الآلهة لمساعدته، فترد الضربة عليك (رقم 126 من النص الآرامي القديم).

- **سلوكه كإنسان مهذب:**

1) لا تفتخر بهوان أبيك، فإن هوان أبيك ليس فخراً لك (ابن سيراخ 3: 12).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، كن عادلاً بأحكامك في شبابك تنل كرامة في شيخوختك (رقم 37).

- **شعوره في مآتي الحياة:**

1) أي شيء أثقل من الرصاص، وماذا يسمى الأحمق؟ الرمل والملح والحديد أخف حملاً من الإنسان الجاهل (ابن سيراخ 22: 17 و18).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني حملت الملح ونقلت الرصاص فلم أجد أثقل من الدين، فليف الإنسان ولا يقترض (رقم 45).

2) يا بني، حملت الحديد ونقلت الحجارة، فلم أجد أثقل من رجل يسكن ببيت حميه (رقم 46).

- **الناس بين القوة والضعف:**

1) لا تستح أن تعترف بخطاياك، ولا تغالب مجرى النهر. ولا تتذلل للرجل الأحمق، ولا تحاب وجه المقتدر (ابن سيراخ 4: 31 و32).

http://al-maktabeh.com

■ **يقابلها من حكمة أحقيار:**

1) يا بني، لا تقاوم من كان في أوج قوته، ولا تناحر النهر في طغيانه (رقم 65).

2) الأسد يفترس الأيل وهو كامن في عرينه... ويسفك دمه، ويأكل لحمه. هكذا هي معاشرة الناس (رقم 88 و89 من النص الآرامي القديم).

• **الأطماع البشرية:**

1) عين البخيل لا تشبع من حظه، وظلم الشرير يضني نفسه (ابن سيراخ 14: 9).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، إن عين الإنسان هي كينبوع ماء، ولا تشبع من الأموال حتى تمتلئ بالتراب (رقم 66).

• **التطرق إلى ما يفوق قدرته**

1) من رمى حجراً إلى فوق، فقد رماه على رأسه، والضربة بالمكر تجرح الماكر (ابن سيراخ 27: 28).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، لا تقتحم بستان العظماء، ولا تقرب بنات الكبراء (رقم 58).

2) لا تقاوم من هو أعلى منك منزلة، ولا تنافس من هو أقوى منك، لأنه سيأخذ نصيبك، ويضيفه إلى نصيبه، فانظر إلى هذه حالة الضعيف مع القوي (رقم 60).

• **الموازنة بين الحياة والموت:**

1) يا بني، الموت خير لرجل لا راحة له، وصوت النحيب في أذني الجاهل أفضل من الغناء والفرح (رقم 50).

• **الذكرى الصالحة:**

1) الحياة الصالحة أيام معدودات، أما القسم الصالح فيدوم إلى الأبد (ابن سيراخ 41: 17).

http://al-maktabeh.com

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، صديق قريب، خير من أخ بعيد، والإسم الجيد خير من الجمال الباهر، لأن الإسم الجيد يدوم إلى الأبد، والجمال يذوي ويزول (رقم 45).

• **عدم الشماتة بالأعداء:**

1) لا تشمت بموت أحد، أذكر أن بأجمعنا نموت (ابن سيراخ 8: 8).

■ **يقابلها من حكمة أحيقار:**

1) يا بني، لا تفرح إذا مات عدوك (رقم 60).

http://al-maktabeh.com

نينوى بين العظمة والرماد

نينوى، عاصمة الدولة الآشورية، تقع على ضفة دجلة اليسرى، وكانت هذه المدينة موجودة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ولكنها لم تصل إلى اوج عظمتها الا بعد قيام سنحاريب (750 – 681 ق.م) ببناء قصر فيها وتسويرها وتزويدها بالأقنية.

دمرت المدينة عام 612 ق.م، في مرحلة انهيار الدولة الآشورية. وقد هلّل انبياء اسرائيل لسقوطها. فلم يبق منها الا ركام وذكريات خرافية، تشهد بعظمتها.

كشفت الحفريات التي جرت منذ العام 1841 م، عن اطلال القصر والسور ومكتبه اشوربانيبال المسمارية. على يد المنقّب العراقي نمرود رسّام.

كان موقع هذه المدينة مجهولاً حتى القرن الثامن عشر الميلادي. وقد تبيّن في اواخر القرن المذكور ان نينوى تقع تحت تلّ قوينجق والنبي يونس. وتأكد ذلك عام 1847 بالعثور على جدران قصر سنحاريب.

كان هذا القصر يحتوي على اكثر من الفي نقش نافر وحوالى ثمانين غرفة من بينها مكتبة آشوربانيبال (668 – 626 ق.م) المحتوية على آلاف اللوحات المسمارية.

وعاد التنقيب عام 1852 م وعثر على قصر آشوربانيبال المحتوي على مشاهد القنص الشهيرة الموجودة حالياً في المتحف البريطاني.

وتتابعت تنقيبات علمية في قوينجق كشفت عن معبد للاله نابو ومعبد لعشتار، وقصر آشوري يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد.

ووجد تحت الطبقة الآشورية خمس طبقات تعود إلى بداية العصور التاريخية، عثر فيها على اوان من الفخار المطلي واسطوانات تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد. وعلى رأس من البرونز يرقى إلى عصر آكاد (نحو 2400 ق.م قد يكون يمثل الملك

http://al-maktabeh.com

سرجون الأكادي. وكشف في تل النبي يونس عن قصر آشوري يرقى على الأرجح إلى زمن اسرحدون 680 – 669 ق.م).

نينوى هذه عاصمة الأمبراطورية الآشورية، التي ازدهرت ووصلت إلى اوجها في القرن التاسع – الثامن قبل الميلاد – كما اسلفنا – وكان العبرانيون يعممون إسم نينوى حتى يشمل كل المنطقة المحصورة بين التقاء نهر الفرات الأعلى بدجلة حسبما جاء في سفر التكوين، بعد انتشار بني نوح في الأرض.

يذكر العهد القديم بأن نمرود أول جبار على الأرض هو الذي بنى نينوى «وكوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض، الذي كان جبار صيد امام الرب، لذلك يقال كنمرود جبار صيد امام الرب. وكان ابتداء مملكته بابل وارك واكّد وكان في ارض شنعار. من تلك الأرض خرج آشور وبنى نينوى ورحوبوت وكالح وراسن بين نينوى وكالح. وهي المدينة الكبيرة».

ويذكر حمورابي (1792 – 1750 ق.م) نينوى بين المدن الكبرى في مملكته. وحوالى العام 1500 ق.م كانت تخص ميتاني، وحوالى 1350 ق.م كانت المدينة تدين بالولاء للآشوريين. وهنا ازدادت اهمية نينوى من الوجهة السياسية بعد القرن الثامن قبل الميلاد، حين جعلها الملك سنحاريب (704 – 671 ق.م) عاصمة آشورية ورفعها إلى مقام مركز الملك: «فانصرف سنحاريب ملك آشور وذهب راجعاً واقام في نينوى» كما ذكر كاتب سفر يونان بانها «مدينة عظيمة» «قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد لها المناداة التي انا مكلمك بها. فقام يونان وذهب إلى نينوى. اما نينوى فكانت مدينة عظيمة لله مسيره ثلاثة أيام». وكانت مساحتها على ما يبدو من التقديرات في ذلك الوقت 664 هكتاراً.

وفي سنة 625 ق.م اعلن نبوبلاسر، حاكم بابل، استقلاله عن نينوى. ثم سنة 612 ق.م، تحالف مع جيرانه اهل مادي وهاجم نينوى نفسها ودمرها وساعده على ذلك فيضان دجلة وطغيان مياهه على الشوارع والساحات. فتحوّلت «المدينة العظيمة» إلى مجرد اسطورة. وتحوّل عمرانها إلى آثار غطاها الزمن ومضى. فتمت

http://al-maktabeh.com

فيها اقوال الأنبياء بأنها ستدمّر بكاملها ويمحى اسمها من التاريخ والجغرافية: «وصار قول الرب إلى يونان بن متّاي قائلاً: قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لانه قد صعد شرهم أمامي». وفي غضب الرب على نينوى جاء في رؤيا ناحوم: «وحي على نينوى. الرب إله غيور ومنتقم. الرب منتقم وذو سخط».

لكن الأعنف تهديداً على خراب ودمار نينوى جاء في سفر النبي صفنيا: «ويمدّ يده على الشمال ويبيد آشور ويجعل نينوى خراباً يابسة كالقمر. فتربض في وسطها القطعان كل طوائف الحيوان. القوق أيضاً والقنفذ يأويان إلى تيجان عمدها. صوت ينعب في الكوى. خراب على الاعتاب لانه قد تعرى سطحها. هذه هي المدينة المبتهجة الساكنة مطمئنة القائلة في قلبها انا وليس غيري. كيف صارت خراباً ومربضاً للحيوان كل عابر بها يصفر ويهزّ رأسه.

غابت شمس نينوى عام 612 ق.م وغاب ذكرها عن التاريخ حتى نسيها اليونان والرومان في فتوحاتهم، ولم يكشف بقاياها الا بعض الأثريين والمؤرخين في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

ومن اشهر الملوك الذين وجدت آثارهم في نينوى شلمناصر وتغلات بلاصر وسنحاريب واسرحدون وآشوربانيبال. لكن هذه الاكتشافات ادّت إلى جدل طويل حول حجم المدينة وتحديد معالمها الجغرافية، فقد اكتشف بعض من ابوابها منها: باب شمس، وباب ادد، وباب نركال، وباب مشتاكي. وبين هذه الأبواب اجزاء من اسوارها العظيمة. ووراء هذه الاسوار عثر على بعض القصور الملكية والمعابد مع عدد كبير من الثيران المجنحة حرّاس المدينة الأمناء.

مكانة نينوى الثقافية

قبل ان يستقر الآشوريين في ارض ما بين النهرين، وبينما كانت حضارة البابليين تزهو على ضفاف الفرات، وقد افاضت على امم الشرق ثم اليونان من

http://al-maktabeh.com

بعدهم، في ذلك العصر القديم المحفوف بالغموض، كان للسومريين والأكاديين مؤلفات في الآداب والعلوم والفنون.

وكان السومريون والبابليون لا ينشرون مكتشفاتهم أو يخلّدون اخبارهم بعبارات موجزة أو بروايات مبهمة بل كانوا يضعون في ذلك كتباً حقيقية، ومؤلفات شاملة تتناول كثيراً من الموضوعات كالتاريخ والعلوم والدين، حتى القصص والأساطير.

وبترجمة النصوص السومرية الاكادية القديمة قد نتمكن من معرفة أصل هذه الكنوز، لأن مكتبة «آشوربانيبال» مملوءة بنتف كثيرة منها لا بد انها كانت الخاطر الأول الذي ألهم الكتّاب النينويين. وكان ملوك آشور يعتنون كثيراً بترجمتها. ولكن هذه التراجم تحول بيننا وبين صحة الحكم على قيمة الأسفار البابلية الأدبية ما دمنا لا نستطيع الحصول على غير اصول أو تراجم نينوى.

وكان الآشوريون يهتمون كثيراً بصحة اللغة ووضوح الأسلوب. واكثر كتبهم تبحث في قواعد اللغة، وتشابه الألفاظ، والكلمات الصوتية، والاشتقاق. وكانوا يعتنون اكبر العناية بلغة الكلدانيين القديمة (الأكادية – البابلية) وقد وجدت لهم معاجم وكتب للتمرينات والتراجم كانت على ما يظهر يدرّس بالمدارس لحفظ قواعد تلك اللغة. وآثار نينوى التاريخية الدالة على ذلك كثيرة، بعضها مخطوط على المباني أو على اسطوانات الأجر التي كان الملوك يدفنونها تحت الجدران، وبعضها مرصود في المؤلفات التي حوتها مكتبة اشوربانيبال. وفي مكتبة نينوى رسائل مطولة تبودلت بين الملوك وقوادهم. أو بينهم وبين العلماء الذين كانوا يرسلونهم إلى الخارج لرصد الأفلاك.

كانت الحياة السياسية والاجتماعية عند الآشوريين والبابليين متشابهة. كما كانت مظاهر القوة منتشرة في آشور، وكانت حكومة آشور حربية، وبقاؤها استدعى هذا النوع من الحكم لانها كانت شاسعة الاطراف، بعيدة الحدود، مؤلفة من كثير من العناصر المختلفة، ولم يكن ممكن تماسكها إلا إذا قبضت على ازمة الحكم فيها يد من حديد. ولم يكف ملك نينوى ان يكون قوياً، بل كان عليه أيضاً أن يكون فاتحاً مغواراً.

وكان الآشوريون لا يميزون بين إلههم وملكهم. فاحترامهم للملك كان اشبه

http://al-maktabeh.com

بالعبادة. ولم يكن يجرؤ احد من افراد الشعب على توجيه الكلام اليه، فلم نر على الرسوم البارزة سوى الوزير الأكبر أو رئيس الخصيان يتحدث إليه.

كان ملوك الآشوريين يعتنون بجلب غنائم الحرب وكل ما سلبوه معهم إلى نينوى وتركوه هناك لتنمو المدينة وتزداد عظمة وغنى وجمالاً، حتى انهم اعتبروا العالم كله عبداً لنينوى يمدّها بما تحتاجه. والى جانب القصور الشاهقة والشوارع الواسعة والهياكل والأسوار والقلاع – كما اسلفنا – التي عرفت نينوى بها.

بنى آشور بانيبال (حوالي سنة 650 ق.م) مكتبة نينوى التي ضمت أكثر من 25 الف لوحة من عجين القرميد المحمى على النار بعد الكتابة عليه في شكل مسماري ضم اليها جميع الوثائق الحكومية والادارية والرسائل الديبلوماسية والمعاملات الداخلية والأوامر الملكية. كما حفظ فيها نسخاً من المعاملات والوثائق والمراسلات التي عثر عليها في بابل.

نينوى ويونان

يونان ابن متّاي هو من جت حافر في زبلون. ذكر اسمه في سفر يشوع (13:19) اعلن هذا النبي ان يربعام الثاني (837 ق.م) سيعيد البلاد إلى حدودها القديمة. ارتبط باسمه خبر غريب ومليء بالسخرية روي في سفر يونان.

تلقى يونان أمراً من الرب بأن ينادي بالتوبة في نينوى، عاصمة المملكة – الآشورية التي يهددها العقاب الإلهي. وحاول يونان أن يتهرب من هذه المسؤولية، فاستقل سفينة ذاهبة إلى ترشيش. رماه البحارة في البحر الهائج، فخلصه الرب، بعدما ابتلعه الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. لكن الرب ألحّ عليه، فدعاه ثانية لأن يذهب إلى نينوى ويبشرها لعلها تتوب: «قمّ وانطلق إلى نينوى».

أطاع يونان أمر الرب، وانطلق يكرز في شوارع المدينة مهدداً اياها بالخراب ان لم يتب أهلها.

http://al-maktabeh.com

يصور لنا الكاتب نينوى مدينة عظيمة يستغرق اجتيازها ثلاثة أيام. وترمز إلى عالم الخطيئة والوثنية، وهو عالم واسع جداً.

لا يحدد الكاتب رسالة يونان، انما ما يأمره الرب بقوله المختصر: «بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى» وها هو يسير بحسب كلام الله. «فقام يونان وانطلق إلى نينوى العظيمة». فدخل يونان أولاً إلى المدينة مسيرة يوم واحد، ونادى وقال: «بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى» (يونان 3:4).

ينذر يونان بهلاك المدينة بعد الأربعين يوماً. يذكرنا العدد أربعين بأيام الطوفان الأربعين، وبسني الاقامة في الصحراء الأربعين بعد الخروج من مصر...«فآمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم، ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم. وبلغ الخبر ملك نينوى، فقام عن عرشه، وألقى عنه رداءه، والتف بالمسح، وجلس على الرماد. وأمر أن ينادى ويقال في نينوى بقرار الملك وعظمائه» : لا يظل بشر ولا بهيمة ولا بقر ولا غنم ولا شيئاً... وليلتف البشر والبهائم بمسوح.. وليرجع كل واحد عن طريقه الشرير وعن العنف الذي بأيديهم، لعل الله يرجع ويندم، ويرجع عن اضطرام غضبه، فلا نهلك (يونان 3: 5 ــ 9).

نحن هنا أمام مشهد توبة نينوى. بسرعة هائلة انتشرت أوامر الملك التي تدعو إلى التوبة الفورية. فما أن أعلن يونان التهديد، حتى اهتزت المدينة بكاملها، وخضعت للتوبة، من ذر الرماد على الرؤوس، ولبس المسوح، وتصويم البهائم، وفرض الصيام على الجميع، وأخيراً والأهم رجوع كل واحد عن غيه، وايقاف كل أشكال العنف التي تعوّد عليها أهل نينوى والتوبة إلى الرب.

ويبدو ان الملك قد ذهب إلى أبعد من الصوم، فأمر أهل مدينته ان «يدعوا إلى الله بشدة، وليرجع كل واحد عن طريقه الشرير وعن العنف الذي بأيديهم» (يونان 8:3).

أمام هذه المواقف للملك والشعب، استجاب الرب بسرعة، بعدما رأى تغيير حياتهم، وعدل عن العقاب الذي كان أعلنه على لسان يونان. فابتعاد النينويين عن

http://al-maktabeh.com

الشر وعن أساليب العنف جعل الله يبعد «الشر» الذي كان مطبقاً عليهم: «فرأى الله أعمالهم، وانهم رجعوا عن طريقهم الشرير، فندم الله على الشر الذي قال انه يصنعه بهم، ولم يصنعه» (يونان 3:10).

فالإله الذي أظهر نفسه إلهاً رؤوفاً، أي حنوناً، ومخلصاً، كما نادى موسى على الجبل قائلاً: «الرب، الرب إله رحيم ورؤوف، طويل الاناة والرحمة والوفاء، يحفظ الرأفة للألوف، ويحمل الاثم والمعصية والخطيئة» (خروج 34: 6 ـ 7) يعلن الآن أيضاً حنانه ورأفته لأهل نينوى، لأولئك الغرباء الذين توصف مدينتهم «بالعاصية» وبالعظمة جداً.

وكما جاء في آخر سفر يونان، فان الله يشفق على مدينة نينوى ويعاملها بالرحمة «أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من أناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم ما عدا بهائم كثيرة؟» (يونان 4:11).

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

عقدة بابل

أي عدالة هي هذه، التي تسمح وتشرّع بإبادة شعب بكامله (في العراق) بحجة الإطاحة بزعيمه وإسقاط نظامه؟

وإن أي عقوبة أو حصار، يطال فرداً أو جماعة، أو شعباً، لا بد من أن ينجم عنه إفرازات خطيرة، وليست الأوبئة والأمراض على اختلافها، سوى عيّنة، بسيطة لهذا الوضع، وصورة العراق واضحة جداً في هذه الحالة.

أمام هذا الواقع، نجد أنفسنا أمام التساؤلات التالية:

- ما هي الأسباب الحقيقية الكامنة وراء الحصار الأميركي ـ البريطاني للعراق، وما هي بالتالي جذوره التاريخية؟
- وهل فعلاً، كان غزو الكويت، هو السبب الأول والأخير لذلك؟
- وأين خرق العراق مواثيق الأمم المتحدة، وقرارات مجلس الأمن لكي يصار إلى تعبئة معظم جيوش العالم لإنزال القصاص الذي يستحقه به؟
- إذا كان فعلاً، من خرق عراقي للمواثيق الدولية، فهل كانت «الحرب العالمية» على العراق ـ 17 كانون الثاني 1991 ـ وأسلوب الحصار والعقوبات بحقه، شرعياً، ومستنداً للمواثيق المخروقة والقرارات المستباحة؟
- وهل اليوم ـ وبعد إثني عشر عاماً ـ يستلزم تحشيد الجيوش الأميركية ـ البريطانية مرة ثانية لشن حرب لمجرد الظن الواهم أن العراق يملك أسلحة الدمار الشامل، وقد صرّح المسؤولون مراراً وتكراراً وبشهادة المفتشين الدوليين المعينين من قبل الأمم المتحدة أن العراق بريء من هذه التهمة الشنعاء ـ إن بعض الظن إثم ـ إن جوابنا على ذلك ينطلق:

http://al-maktabeh.com

أولاً: وقبل كل شيء من إيماننا العميق بأن «الحرب الأميركية والعالمية» على العراق لم تكن لكرامة سواد عيون الكويتيين أبداً، ولا لحمايتهم من «العدوان العراقي» أو «الغزو والاحتلال العراقي للكويت»...

مع العلم أننا لسنا محامي دفاع عن العراق، ولا عن رئيسه ونظامه، ولسنا من المؤيدين للهجوم العراقي على الكويت واحتلالها... كما أننا لسنا من الراعين والمطبّلين لوقوع الكويت (أو أي بلد عربي)، ولا استباحة أرضها وناسها من قبل أي كان.

وعلى هذا الأساس، نستطيع القول بأن العدوان الأميركي والغربي على العراق، ومن بعده الحصار والعقوبات الأميركية البريطانية ضده، له جذوره التي تتغلغل عميقاً في التاريخ بدءاً من الحقد اليهودي المتجذّر في «عقدة الأسر البابلي» مروراً بتنامي عقيدة «الصهيونية المسيحية» في الغرب وأميركا وانتهاء بانتصار ثورة العشرين على بريطانيا وتأميم النفط ضد الشركات الاحتكارية في السبعينات، وصولاً إلى تحكم رؤوس هذه الصهيونية في قرارات ومؤسسات هاتين الدولتين، ليأتي أسلوب الحصار والعقوبات ضد العراق، كإحدى إفرازات هذه العقلية ونتائجها المباشرة.

من هذا المنطلق، نرى أن التركة الثقيلة التي ورثها العراق من الإمبراطورية البابلية، مثّلت جوهر العداء التاريخي اليهودي للعراق، لأن عقدة «الأسر البابلي» كانت، ولا تزال ــ وستبقى ــ إحدى أكبر العقد التاريخية اليهودية وأهمها في التاريخ اليهودي. كما سيبقى العراق ــ كما كان منذ فجر تاريخه ــ «عقدة يهودية» تلاحقه إلى الأبد، طالما هناك يهودي واحد مأسور في عقدة «الأسر البابلي» هذه ومرهون لها.

إذ ليس هناك مثل العراق أرضاً، احتلت في الفكر الإيديولوجي الصهيوني ومصادره الأولى مكانة مشحونة بتراكم من العناصر التاريخية والدينية بعد أن أقام العبرانيون اليهود في أرض العراق أكثر من ألفي سنة، وارتبطت بهذه الأرض أهم وأعنف واقعة في تاريخهم وهي «الأسر البابلي».

ولذلك لا يخلو الفكر المعاصر للصهيونية من شحنة دينية في النظرية إلى هذا البلد.

http://al-maktabeh.com

ويتخذ الاهتمام الصهيوني بالعراق من وعد «إلهي» مصدراً له، منسوباً إلى وصيته في التوراة لإبراهيم أن «لنسلك أعْطِ هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات».

وقد تحولت هذه الوصية إلى دعوة معاصرة، كما وردت على لسان موشي دايان، بعد ساعات من دخول مدينة القدس في السادس من حزيران سنة 1967، حيث قال: «لقد استولينا على أورشليم، ونحن في طريقنا إلى يثرب وبابل».

هذا، ولم يغب هذا الهاجس القديم عن كثير من المواقف المتعلقة بالعراق، حيث أطلق زعماء الحركة الصهيونية على حملة تهجير اليهود ونقلهم من العراق إلى فلسطين أواخر الأربعينات ومطلع الخمسينات من هذا القرن إسم عملية (عزرا ونحميا)، إشارة إلى الكاهنين اليهوديين اللذين خرجا من بابل ووضعا العهد القديم، لتشبيه خروج اليهود منتصف هذا القرن من العراق، بخروجهم من الأسر البابلي في العراق قبل أربعة آلاف سنة.

ويرد المفسرون «الإسرائيليون» المعاصرون، هذه الصلة بأرض العراق إلى أن علاقات دولة الاحتلال الصهيوني (إسرائيل) مع أرض وادي الرافدين، لا تقل أهمية عن علاقاتها مع مصر.

فقد جاءت أهم التأثيرات وانعكاساتها في الكتب القديمة من جهة وادي الرافدين، وعلى مدى أربعة آلاف سنة، فإن أقدار اليهود ودياناتهم ومعتقداتهم وثقافتهم كانت بطريقة أو بأخرى على صلة مع أرض بلاد ما بين النهرين. ويتداخل هذا الهاجس نحو أرض العراق مع أقدم أساطير وادي الرافدين، أسطورة «الطوفان» التي حاول اليهود الانتساب إليها ونسبها إليهم. وأخذوا منها الكثير الذي ظهر في «العهد القديم» فعندما خرج اليهود من أرض وادي الرافدين أخذوا ما هو أثمن من النساء والعبيد والذهب والفضة، بما اكتسبوه من الإبداع الفكري والديني للثقافة السومرية، وأساطيرها التي أثرت في مؤلفي أسفار العهد القديم وألهمتهم، ومنها أسطورة «الطوفان». ألم يذكر عالم الآثار الإنكليزي ليونارد

http://al-maktabeh.com

وولي أن «الحضارة السومرية كانت أول حضارة بالفعل». ولأنها كذلك، فهي أم الحضارات ومنبعها أيضاً.

والواقع أن الاهتمام الصهيوني بالعراق، كان قد بلغ حد التخطيط لاستعماره، عندما حاول تيودور هرتزل إيجاد مستعمرات يهودية في العراق سنة 1903، أثناء اتصالاته برجالات الدولة العثمانية، وتكررت تلك المحاولة عام 1923 عندما تسلم الملك فيصل الأول خلال زيارته إلى لندن اقتراحاً لتوطين مائة ألف يهودي في منطقة دجلة السفلى بين العزيزية والكوت.

ورغم هذه الصلات والوشائج فإن يهود العراق مع ما تمتعوا به من تسامح في المجتمع العراقي، إلا أنهم كانوا مصدر تخريب في الحياة السياسية للبلاد، بينما كان يهود إيران ــ وهم أيضاً من بقايا يهود عكسية عن عقدة (بابل). فيهود العراق تصرفوا على أساس الثأر من «الأسر البابلي» بينما تصرّف يهود إيران على أساس إذكاء روح العداء للعراق من داخل إيران ثأراً من العقدة نفسها. ودون أن تكون مصلحتهم كيهود في مقدمة المصالح.

وبنوع من التوضيح، فإن يهود إيران يعتبرون جزءاً من اليهود الشرقيين، وهم فرع من «السفارديم» الذين يمثلون أقلية بين يهود العالم تتراوح نسبتها بين 12 ــ 15 في المئة ويعتنقون تقاليد دينية نشأت وتطورت في بابل خلال الأسر. كما يعود عدد قليل من يهود إيران إلى عنصر «القراؤون» وهي طائفة أسسها «عنان بن داؤود» في العراق أواخر القرن الثامن، ويتلخص مذهب هذه الطائفة في جعل التوراة المرجع الأول والأخير والمنبع لكل عقيدة أو قانون، ويمثلون قلة بين يهود إيران. وهم جميعاً من بقايا الأسر البابلي، الذي يعود تاريخهم إلى سنة 538 قبل الميلاد، حين احتل الملك الفارسي «كورش» بلاد بابل وأنهى الأسر البابلي، وسمح لليهود بالعودة، وإعادة بناء الهيكل. ومنذ ذلك التاريخ استخدم الملك الفارسي نقمة اليهود على أهل بابل وحقدهم عليهم، وسمح لليهود تكوين كيان سياسي لهم في ظل حكمه لما بلغ التغلغل أعلى قمة السلطات الفارسية، حيث تسلّلت النساء اليهوديات إلى قصور ملوك فارس، حتى تمكّن

http://al-maktabeh.com

من الاقتران بأولئك الملوك والزواج منهم ثم التحكم في قراراتهم بما يخدم مصالح اليهود، ويزكي العداء للعراقيين القدامى قصة استير والملك أحشويروش (سفر يشوع). وطبقاً لمفسر إسرائيلي معاصر، فإن اليهود يشعرون بالامتنان للدور الذي لعبه الفرس في التاريخ القديم لصالحهم، ويعتبرون (كورش) حليفاً لهم ومخلصاً لليهود رغم أن المخلص لا يمكن أن يكون إلا من عائلة (داؤود) ذاتها.

وقابل الفرس هذا الولاء اليهودي بأن أوكلوا لهم حماية أطراف الأراضي التي احتلتها قوات الفرس، فأقام اليهود مستوطنات عسكرية على الأطراف ليحافظوا على حدود الدولة الفارسية.

والجدير بالذكر، أنه في عام 1917 انتعش اليهود في إيران عندما أسسوا «رابطة أصدقاء إسرائيل» وأصدروا الصحف، وبنوا المدارس الخاصة بهم. وخلال حملات الهجرة التي نظمتها الوكالة اليهودية والحركة الصهيونية عشية ولادة دولة الاحتلال الصهيوني وقيامها عام 1948. كانت إيران محطة لنقل وتهريب اليهود من العراق إلى فلسطين المحتلة. ولعل كتاب شلومو هيلل، رئيس الكنيست الإسرائيلي السابق، حول تهجير يهود العراق يعطي صورة واضحة عن هذا الواقع بأدق تفاصيله.

في ضوء ذلك، نرى أنه في الوقت الذي هاجر من إيران حوالي 29 ألفاً من اليهود إلى فلسطين المحتلة حتى عام 1956، كان قد هاجر من العراق لغاية عام 1952 (107.603 ألفاً). ويعكس هذان الرقمان أمرين اثنين:

الأول: أن يهود العراق قد هجروا بضغط صهيوني وبحركة منظمة بعد أن قاموا بسلسلة من أعمال تخريبية وتفجير وتجسس، صبّت جميعها في مصلحة دولة الاحتلال الصهيوني ومخططات قادتها السياسيين والعسكريين والأمنيين. بينما كان خروج اليهود من إيران جزئياً وليس شاملاً، والإبقاء على وجودهم فيها وحمايته والاستفادة منه مستقبلاً... (وقد تمكنت سلطات الأمن في الجمهورية الإسلامية الإيرانية من اكتشاف شبكة تجسس يهودية تعمل لمصلحة إسرائيل قوامها 13 شخصاً، رفضت إيران الإفراج عنها، رغم كل الضغوط الدولية، وحوّلوا للمحاكمة أمام القضاء الإيراني).

http://al-maktabeh.com

الثاني: إن ذلك يفسّر أيضاً أن اليهود حرصوا على عدم مغادرة إيران التي بلغ عددهم فيها أكبر من سواه في أي بلد إسلامي أو آسيوي، ولم تكن لديهم مصالح عداء مباشرة، لأن (عقدة بابل) لم تكن موجهة ضد المجتمع الإيراني بقدر ما كانت مكرّسة ضد المجتمع العراقي باعتباره مسؤولاً عن حمل التراث البابلي الذي ينتسب إليه.

ومما لا شك فيه، أن نظام شاه إيران، وجهاز استخباراته المعروف بـ«السافاك» وجدوا في يهود إيران «مادة دسمة» في سياسته المعادية للعرب، والمؤيدة للكيان الصهيوني، خصوصاً فيما يتعلق بالتنسيق الأمني والاستخباري والعسكري بين جهازي الاستخبارات فيهما (السافاك والموساد).

أما اليهود المنحدرون من أصل عراقي، فقد أظهروا عداء متميزاً للعراق بعد أن أتيحت لهم فرص الحصول على مواقع متقدمة في الهيكل السياسي الإسرائيلي، وكانوا من أشد دعاة التطرف ضد العرب والعراق خصوصاً بما يشبه تعويضاً عن عوامل قديمة مترسبة عن سنوات أمضوها وآباؤهم في العراق، حيث تمثل الهجرة منه إلى أرض فلسطين معادلاً مماثلاً من الناحية الروحية والنفسية للخروج من الأسر البابلي، فأي حقد دفين هذا؟

وكانت أصوات اليهود العراقيين المتشددة في إظهار العداء للعراق بثقل اقتصادي كبير يتميز به اليهود العراقيون عن سواهم من اليهود الشرقيين الذين هاجروا إلى دولة الاحتلال الصهيوني إلى الحد الذي يجعل يهودياً منحدراً من أصل عراقي قادراً على توقيع عقد بأربعة مليارات دولار لإقامة محطة نووية في الصين. ولذلك فإن الثقل السياسي لليهود العراقيين في صنع السياسة الإسرائيلية يرتبط بثلاثة عوامل هي:

أولاً: إن هؤلاء يمثلون العنصر الأكثر نقاء المنحدر من أرض بابل ليكون امتداداً لما تبقى من يهود الأسر البابلي القديم بهجرتهم إلى أرض فلسطين وإقامتهم فيها، كانوا تحت تأثير دافع ديني يمثل الفكرة الرومنسية، الدينية، لتحقيق النبوءات القديمة وتجميع المنفيين على العكس من اليهود الأشكنازيين (الغربيين) الذين كانت الهجرة

http://al-maktabeh.com

بالنسبة لهم محاولة سياسية لبناء «دولة إسرائيل» ولذلك يحتفظ المنحدرون من أصل عراقي بالدافعية الدينية التي تمثل أحد مصادر القرار في دولة الاحتلال الصهيوني (حيث رؤوس أضلاعه: المؤسسة العسكرية، والمؤسسة الاقتصادية والمؤسسة الدينية) ومن أضلاع هذا التشكيل تمتد أعمدة الوجود الإسرائيلي نفسه رغم ما قد توصف به الدافعية الدينية من غموض ورمزية، إلا أنها في المجتمع الإسرائيلي الراهن، تمثل عامل دفع يتحكم في السلوك الإسرائيلي الفردي والجماعي.

ثانياً: إن نسبة اليهود العراقيين تعدّ الأعلى بين اليهود الشرقيين الذين هاجروا إلى فلسطين قبل وبعد 1948، حيث بلغوا أكثر من 103 آلاف يهودياً طبقاً لما يذكره الكاتب اليهودي «نسيه رجوان» المنحدر من أصل عراقي حول يهود العراق؛ وقد لعبوا في فترة مبكرة دوراً رئيسياً في تكوين الدولة والانخراط في مؤسساتها الجديدة والتدرج لاحتلال مواقع مهمة فيها، وبالتالي التمتع بوضع اجتماعي وثقافي وتعليمي واقتصادي وسياسي، أفضل مما يتمتع به بقية اليهود الشرقيين الذين يعيشون في إسرائيل.

ثالثاً: إن المهاجرين من اليهود العراقيين كانوا يتمتعون بإمكانيات كبيرة ناتجة عن ما كانوا يتمتعون به من تحكم في اقتصاد العراق وتجارته، وما تمكنوا من نقله من أموال وثروات بحيث أصبحوا من الأثرياء المؤازرين في دولة الاحتلال ومؤسساتها الاقتصادية التي ترتكز على حياة الكيان الصهيوني كواحدة من أضلاع المثلث الذي يمد القرار الإسرائيلي بمصادره، وبذلك فإن يهود العراق متنفذون في اثنين من هذه الأضلاع بصورة مباشرة... وهذا ما ينعكس على حقدهم وعدائهم الشديد تجاه العراق خصوصاً والعرب عموماً.

على هذا الأساس، ليس من المستبعد أن يكون ليهود العراق، وخصوصاً المتنفذين منهم، دور في التخطيط والتنفيذ لتدمير مفاعل تموز النووي في العراق، في حزيران سنة 1981م، وقد سميت عملية التدمير هذه بإسم «عملية بابل» تعبيراً عن الحقد المدفون في الصدور اليهودية... وقبل ذلك بسنة واحدة من اغتيال العالم النووي المصري «يحيى أمين المشد» في باريس بتاريخ 13 حزيران 1980، والذي كان

http://al-maktabeh.com

أحد كبار المسؤولين عن البرنامج النووي العراقي هذا... كما يصح القول في عمليات التفجير والتخريب التي عرفها العراق قبل قيام دولة الاحتلال الصهيوني وبعدها، وعلى الأخص ضد اليهود والمؤسسات اليهودية تحديداً بقصد إجبارهم على الهجرة إلى فلسطين المحتلة والاستيطان فيها...

لذلك يمكننا القول، أنه إذا كانت جميع الطوائف والأديان أنجبت قديسين وقتلة، إلا أن اليهود لم ينجبوا سوى القتلة فقط، وقد جيّروا الدين لخدمة أهدافهم في الوجود والبقاء. الذي يعتبر القتل بمثابة الدورة الدموية والعمود الفقري لهم.

كما أننا لا نستبعد أيضاً أن يكون ليهود العراق دورهم الفعّال في اقتلاع العرب الفلسطينيين من أرضهم ووطنهم، وتهجيرهم إلى العراق، تنفيذاً لخطط الآباء المؤسسين للصهيونية، باعتبار أن العراق كان الهدف المركزي لمعظم هذه الخطط، إن لم يكن جميعها. وقلّما خلت خطة واحدة من خطط آباء الصهيونية إلا وكان العراق هو البند الأول ـ وغالباً الوحيد ـ على جدول خططهم.

على هذا الأساس، ليس من الغرابة إن كانت أهداف اليهودية المتعلقة، بالعراق هي ذاتها أهداف «الصهيونية المسيحية» في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية، التي تتخذ من «التوراة» قاعدة ومنطلقاً، ومن «الأسر البابلي» محوراً للاقتصاص من العراق في كل عصر وزمان، وليس في عصر الرئيس صدام حسين فقط.

وإزاء ما وصلت إليه الأمور في العراق، بعد فرض الحصار والعقوبات الأميركية – البريطانية عليه، نتساءل: هل أن الإطاحة برئيس دولة أو زعيم (مهما بلغ حجمه)، تستحق عملية إبادة شعب بكامله؟ أم أن هذه «الواجهة العلنية» هي «الساتر» الذي يخفي وراءه ما هو أفظع وأخطر؟.

أَلَيْسَ من المهزلة ـ والمأساة في الوقت عينه ـ أن يتواطأ معظم زعماء هيئة أمم كالأمم المتحدة، مع الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، إلى حد التخاذل بالموافقة على «استراتيجية إبادة الشعب العراقي» عقاباً لرئيسه صدام حسين لدعم «استراتيجية واشنطن الكونية» وآحادية سيطرتها وقرارها؟ وأن يتحول مجلس الأمن

http://al-maktabeh.com

الدولي إلى أداة بيد أميركا، أو أن تصبح أميركا هي مجلس الأمن بحد ذاته؟... وكأنهم بهذه الطريقة، يسعون لوداع القرن العشرين وولوج القرن الحادي والعشرين بـ «مأثرة» (تكون بمثابة الفزّاعة) ترتسم في ذاكرة أبناء القرن المقبل، فيخلدوا إثرها إلى الهدوء والسكينة، والانصياع المذل؟

بعدها تظهر حقيقة «شرعة حقوق الإنسان» وكان «استهداف الضعفاء» خارج عن شرعة هذه الشرعة، ولا تمت إليه بصلة... وكذلك جميع مواثيق الأمم المتحدة التي تتعلق بحماية السكان المدنيين والأطفال والنساء... ويتوضح عندها أن أطفال العراق وغيرها، هم غير أطفال أميركا وبريطانيا والغرب «الحضاري المتمدن» وهل الأطفال الأميركيون والبريطانيون يستحقون الحياة والكرامة أكثر من أطفال العراق؟ وهل أن ممارسة هذا التواطؤ الدولي الغربي بحق هؤلاء، في أبشع عملية قتل جماعية وإبادة منظمة، هي عمل مشروع ومبرر من كل النواحي؟ باعتقادنا لا، أبداً.

فالولايات المتحدة الأميركية هي «المهندس الواعي» الأكبر «هولوكوست عربية حقيقية» أو ما يسمى بـ «عملية الإبادة المنظمة وبناء العراق»، والتي يمارسها المسؤولون الأميركيون ـ أصحاب القرار ـ عن قصد، وبتصميم قاسٍ وفظ على منع الإعانة من شعب يعاني الجوع والأمراض.. وتأتي بريطانيا «كمهندس مساعد»... إنها رسالة صريحة لكل العرب، ودول العالم الثالث الممنوع عليها العصيان والتمرد على قرار أميركا ومشيئتها. وهذا ما يسمونه بالفوضى الخلاّقة.

إنها باختصار، عملية «إبادة بطيئة بحق شعب كامل» على حد قول جيف سيمونز... كما هي في الوقت عينه «إهانة فاضحة» لشرعة حقوق الإنسان التي يتشدّق المسؤولون الأميركيون والبريطانيون - ليل نهار - بالدفاع عنها وصونها وحمايتها، حتى صحّ فيهم قول الأديب الكبير سعيد تقي الدين: «ما أفصح العاهرة وهي تحاضر عن الشرف»... إنها كذلك «إهانة فاضحة» لميثاق الأمم المتحدة بخصوص «الإبادة الجماعية» ولكل مواثيقها الأخرى أيضاً...

http://al-maktabeh.com

والجدير بالذكر، أن الولايات المتحدة الأميركية، لم تترك وسيلة إلا واستخدمتها ضد العراق وشعبه ومؤسساته، بذريعة القضاء على الرئيس العراقي صدام حسين ونظامه، وقد جيّرت حتى، موظفي الأمم المتحدة لخدمة هذا الهدف، ومن بينهم بالطبع، المفتش السابق في اللجنة الخاصة للأمم المتحدة المكلفة بإزالة أسلحة الدمار الشامل العراقية «أونسكوم» الأميركي «سكوت ريتر» الذي ثبت تجسسه لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية والموساد...

وهناك تقارير عدة وتصريحات المسؤولين عن الأوضاع المتدهورة في العراق الذي تدمّر اقتصاده من جراء غوز مستمر وجوع مزمن ونقص في التغذية مستوطن وبطالة متفشية ومعاناة واسعة الانتشار... ويعيش اغلب السكان العراقيين في ظروف يرثى لها إلى أقصى الحدود وما إلى ذلك من الكوارث الاجتماعية.

واليوم أعلنت أميركا الحرب المدمّرة للعراق، بحجة وأخرى، للقضاء على شعبه وتحطيم قدراته الفكرية والاقتصادية وكأن شيئاً لم يكن.

فإزاء هذا الواقع المرير، ألا يصح القول المأثور:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

وقد أصبح «العراق» اليوم «مسألة بلا نظر»...

وهكذا يبدو أن «ذوبان» العراق ببابل، و«ذوبان» بابل بالعراق، جعل الحقد اليهودي التاريخي يزداد «ذوباناً» في نفوس اليهود على امتداد كل العصور حتى عصرنا الحاضر، ضد العراق، وقد ارتضى العراق، أن يدفع في كل عصر، ضريبة ذوبانه ببابل، وذوبان بابل فيه، باعتبار أن التخلي عن الأصل هو بحد ذاته تخلّ عن الهوية والانتماء والوجود برمته، وهذا ما لا يرضاه الشعب العراق في أي زمان ومكان.

وعلى هذا الأساس، فعلت «الصهيونية المسيحية» فعلها وتأثيرها في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية، ووصل بها الأمر إلى استخدام أكبر «المحرمات الدولية» ضد العراق، على مختلف الصُعُد، ولتفرغ ضده كل سموم الأحقاد المزمنة

http://al-maktabeh.com

والحديثة، حيث عجزت كل العصور والأزمان الماضية أن تقتص منه، كما يجب أن تقتص - يهودياً - ... ولم يجد يهود العالم وصهيونيوه - اليهود منهم وغير اليهود - مناسبة «لمحق العراق» (كما قال الجنرال الأميركي شوارزكوف) أفضل من الحقد الأخير في القرن العشرين، للولوج إلى القرن الحادي والعشرين، يهودياً وصهيونياً، وبدعم أميركي وغربي، دون أن تكون «عقدة بابل» حاضرة في هذا القرن، كما في القرون والعصور الماضية... وليس أسلوب تدمير العراق، عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ونفسياً، ثم خنقه وقطع أنفاسه، إلا الدليل الحي على ما وصل إليه الحقد اليهودي ماضياً وحاضراً ومستقبلاً... مجنداً كل طاقاته وإمكانياته وحلفائه وأصدقائه في هذا الخصوص، عبر «توكيل رسمي» لأميركا وبريطانيا - مع العلم أنهما من أكثر الدول الغربية حرصاً على شرعة حقوق الإنسان، والدفاع عنها وحمايتها - (وكان الإنسان في هذه الأرض هو الإنسان اليهودي فقط)... ولولا قوة النفوذ اليهودي في هاتين الدولتين، وتغلغله في النفوس والنصوص، فضلاً عن قوة «الصهيونية المسيحية» في كل مراكز القرار والمرافق الحيوية والمؤسسات ذات الصبغة الدولية لما كان وارداً أبداً أن تلجأ أميركا وبريطانيا إلى القيام بـ «محق العراق البابلي» و«محو عقدة بابل» من قاموس يهود العالم وتوراتهم.

فإنه إذا كانت «عقدة بابل» عقدة حية في نفوس اليهود، ويريدونها أن تبقى كذلك حتى «محوها» من الوجود، ألا يحقّ لعاصمة «الشريعة الأم» الحمورابية أن تبقى حية في نفوس أبنائها، وفي تاريخ الإنسانية، باعتبار أن الحضارة والاكتشافات ليست ملك شعب بمفرده، بل هي ملك للإنسانية؟

أليست شريعة حمورابي، وقوانينه ملكاً للبشرية كلها، وقد استفادت منها كلها؟

أليست بابل هي أهم وريثة شرعية لأول وأهم حضارة هي سومر؟

أليس من حق العراق أن يصدر جريدة تحمل إسم «بابل» تعبيراً عن الأصالة والتراث والانتماء؟

http://al-maktabeh.com

شاء اليهود أم أبوا... وشاء الصهاينة ـ على اختلافهم ـ أم أبوا... سيبقى العراق بتاريخه وشعبه وحضارته، كما ببابله وسومره وآشوره، صفحة مضيئة في سجل التاريخ، على امتداد عصوره وأزمانه، مهما حاول الصهاينة واليهود والأميركان وكل أعداء الحضارات الإنسانية، محو هذه الصفحة من الوجود، ومهما كانت «ممحاتهم» التكنولوجية المتطورة، فعالة في تغير المعالم الجغرافية.

إلا أنها ستعجز عن «تغيير التاريخ» لأن حقائقه ووقائعه وآثار مكتشفاته، الناطقة بالحق، ليست قابلة «للمحو» من التاريخ ذاته ومن الحضارات نفسها، وهي أكبر من أي قوة متغطرسة، لا تستند لقوة الحق في ميزان المعادلات والمقاييس والقيم.

وما إعلان الحرب من قوى الشر اليوم على العراق إلا بدفع من الصهيونية العالمية لضرب التاريخ في باطن أرض التاريخ ومحو الرقم التي هي شهود إثبات على إسرائيل وما فعلته في أمجاد التاريخ من التحوير والتحريف والتغيير ولكن هيهات هيهات:

فالعراق نور لا ينطفئ
ومعين لا ينصب
وشمسه لن تغيب
وبغداد لن تسقط...
وبابل تبقى قمراً في سماوات التاريخ والحياة.

المراجع من تأليفنا المتواضع

1) أثر حكمة أحيقار في الكتاب المقدس (بيروت 1996).
2) أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية (بيروت 1998).
3) الصهيونية تحرف الإنجيل (بيروت 1999).
4) اليهودية الصهيونية تحرّف الكتاب المقدس (بيروت 2003).
5) التوراة البابلية (بيروت 2003).

http://al-maktabeh.com

سرقة آثار العراق

مقدمة

عرف التاريخ نفسه في العراق. قبل العراق لم يكن هناك تاريخ قبل خمسة عشر ألف سنة، وتحت ضربات العراقيين القدماء (السومريون) خُلق التاريخ. مع أول نخلة زرعها العراقيون في سهل شنعار بوادي الرافدين، زُرع التاريخ، تاريخ الحضارات، الذي سيصبح التاريخ الإنساني فيما بعد.

إن تفاعل الإنسان مع تربة وطنه، أمده بإنجازات مهمة، وكانت الخطوة الثانية هي الفخار. صنع الفخار ورسم وكتب عليه معتقداته وأفكاره. وأعطى نماذج رائعة جداً، جزء منها موجود في المتاحف الوطنية، ويعتبر الفخار بالنسبة لعلم الآثار، الأبجدية التي يرتكز عليها. من خلاله نستطيع قراءة تاريخ المواقع الأثرية. نعتمده قبل الرقم المكتوبة أو غير المكتوبة. الفخار أول ما يعتمد عليه بتاريخ الطبقات وإعطائها عمراً معيناً. من هنا أهمية اكتشاف الفخار، فهي عند علماء الآثار مسألة مهمة جداً.

قطعة قصب بسيطة مع قليل من طين مجبول من أرض رطبة شكلها مربع، نشطب عليها بقلم حديدي أو خشبي مثلث الرأس، فتعطينا شكلاً يشبه المسمار. هذا الشكل اعتمده السومريون في البداية لتنظيم إحصاء بعض المواسم أو البضائع. ولكن تطور هذه الوسيلة فيما بعد أدى إلى نشوء ما يعرف اليوم بالكتابة المسمارية، كان هذا في الألف الخامس قبل الميلاد.

وكما نعلم، فإنه من دون الكتابة لا يمكن للإنسان أن يتطور كل الاكتشافات التي ورثها من جيل إلى جيل، ما كانت وصلت إلينا لولا الكتابة، ولما كنا وصلنا إلى

http://al-maktabeh.com

تحقيق الإنجازات الحضارية التي نحن فيها الآن. اكتشاف الكتابة، هو ثورة علمية، مهمة جداً، عندما تمكنّا من حل رموز الكتابة المسمارية وجدنا أنه في هذه البقعة من الأرض استقرت جماعات ونظمت حياتها وأنشأت دولاً ومدنيات وصار عندها فنون وأدب وقوانين وغيرها.

وهكذا تعرفنا على السومريين الذين استقروا في جنوب العراق، والآكديين الذين استقروا مع البابليين في الوسط العراقي، والآشوريين في الشمال، والآموريين في بابل وغيرهم من جيرانهم الكنعانيين، والفينيقيين، والآراميين الذين استوطنوا فلسطين والساحل السوري. وإذا ما أردنا التكلم عن هذه الشعوب لما كفانا ملايين الكتب والمجلدات التي تتكلم عن هذه المواضيع والإنجازات التي تملأ مكتبات العالم.

الكشف عن الآثار

في مطلع القرن السادس عشر، وخلال القرن السابع عشر، وبعد النهضة الأوروبية، بدأ الاهتمام بالآثار القديمة، والذي جذب إلى ذلك هو اقتناء هذه الآثار القديمة، وعرضها في المنازل والمباني العامة، وما أشارت إليه الكتابات المقدسة، التي كانت تتكلم عن مصر وفراعنتها، وأرض ما بين النهرين وحواضرها أور وبابل ونينوى وغيرها.

وخلال القرن الثامن عشر، وبالضبط عام 1747، جاء المنقبون إلى العراق، وباشروا بالحفر والتنقيب، ثم فكت رموز الكتابة المسمارية التي وجد لهم إشارات أو دلائل كانوا يبحثون عنها في ذهنيتهم المتدينة، ألا وهي جذور للتوراة.

وصار الاهتمام كبيراً جداً بدراسة الرقم الطينية للكتابة، المسمارية ولكن المفاجأة كانت أنه بعدما تمكنوا من اللغة جيداً، وجدوا فيها أشياء غريبة عنهم، أشياء ليس لها علاقة بالتوراة ولكنها أرقى من ذلك. وهنا بدأت مكانة التوراة تهتز.

http://al-maktabeh.com

الآثار والتوراة

المعروف أن الكتاب الأساسي عند اليهود هو التوراة. وهو عبارة عن مجموعة من الأسفار يختلفون عليها، يعرفونها بخمسة أسفار كتبها ـ برأيهم ـ موسى. والبعض الآخر يردها إلى 73 سفر من ضمنها أسفار الملوك وأسفار القضاة الملوك الذين حكموا ما سمي بدولة إسرائيل.

هذا الكتاب تمكن اليهود من نشره واعتباره أهم كتاب في أوروبا في فترة القرون الوسطى المظلمة، فعملوا على إبرازه، وعلى إعتماده بأنه كتاب مقدس، وعلى إعتباره أساساً تاريخياً للبشر. وأطلقوا مقولة مشهورة جداً في أوروبا: أحرقوا كل الكتب لأن التوراة تغني عن أي كتاب آخر. وفعلاً فقد تنظم في أوروبا مجموعة من المحارق للكتب حرق فيها أجزاء كبيرة من تراث الإنسانية، إذا صح التعبير.

عبر هذه المقولة التي بثها اليهود وسعوا إلى تنفيذها توغل اليهود في أوروبا أكثر فأكثر ومدوا دسائسهم أعمق وأعمق. حرقوا المكتبات وصار الجهل أكبر. فأتوا إلى الكنيسة ببدعة ما يسمى الكتاب المقدس، فوحدوا التوراة بالإنجيل زاعمين أن التوراة هو العهد القديم عهد الرب يهوه لشعبه المختار، والرب جدد عهده مرة ثانية مع يسوع المسيح. هذه المسألة أثرت على علماء الآثار الأوروبيين الذين كانوا متدينين بالديانة المسيحية، والذين تأثروا كثيراً بهذا الموضوع، وتوجه عملهم باتجاه الأرض التي ولد فيها السيد المسيح ووجدت فيها التوراة، ودرسوا بعمق مكتشفات هذه المنطقة.

ولكن المفاجأة بدأت بمسألة انكشاف الحقائق من خلال تلك المكتشفات فوجدوا أن هناك أشياء أقدم بكثير من التوراة. أشياء أدق وأرقى: فنون وقوانين إجتماعية أرقى من تلك التي ذكرت في التوراة. هذا ما أعطاهم نتيجة جديدة بأن التوراة ما هي الا تحوير ونسخ لأفكار أقدم منها ولمعتقدات أقدم موجودة في هذه

http://al-maktabeh.com

البقعة من الأرض التي اسمها العراق. ومن هنا بدأت التوراة تهتز بقيمتها المعنوية بنظر علماء الآثار الأوروبيين واعتبروها مجرد كتاب قصص أدبي تعليمي لا أكثر. ونشرنا العديد من الكتب التي تتناول هذا الموضوع، منها - وبكل تواضع:

1) الحكمة في وادي الرافدين (1983).
2) المرأة في قانون حمورابي (1986).
3) حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس (1996).
4) أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية (1998).
5) مقتبسات شريعة موسى من شريعة حمورابي (2003).
6) التوراة البابلية (2003).
7) الفكر الديني في العراق القديم (2010).
8) اليهود وعقدة بابل (2009).
9) حكيم من نينوى (2005).

المقتبسات والمشابهات

نعرض هنا بعض الصور الفخارية التي تعود إلى ما قبل اكتشاف الكتابة يعود تاريخها إلى الألف الخامس عشر حتى الألف السادس قبل الميلاد. وهذه الصور لها علاقة بالتوراة.

الصورة الأولى:

عبارة عن شخصين رجل وامرأة، جالسين على مقعدين متقابلين وبينهما شجرة من سبعة أغصان وفي الشجرة ثمرتين من كل جهة، الثمرة لها علاقة بالتفاحة التي أخرجت آدم من الجنة حسب الرواية التوراتية. ونرى أيضاً وراء الإمرأة حية وفي القصة التوراتية، الحية أغرت حواء لتغري آدم بدورها ليأكلا التفاحة ويُطردا من الفردوس.

http://al-maktabeh.com

هذا ما يسمى بالختم الأسطواني، وهو عبارة عن قطعة صغيرة أسطوانية الشكل مثقوبة من الأعلى ومن الأسفل لإمكانية وضع حدائد للبرم. وكان كل مواطن في العراق قديماً يحمل ختمه الخاص به حتى يتمكن من مهر معاملاته أما كيف كانت تتم عملية الختم؟ بعد الكتابة على لوح الطين الطري والرطب، يوضع الختم على الطين ويُضغط ويمرر بواسطة قطعة الحديد التي على الجهتين. فدوران الأسطوانية يطبع على الطين الطري والرطب الرسوم الموجودة على الختم. وتكون هذه الرسوم بمثابة رمز يعتمده صاحب الختم. وهذا الختم أمامنا يذكرنا بأسطورة آدم وحواء بحسب الرواية التوراتية، ولكن قبل قصة آدم وحواء التوراتية بزمن طويل.

الصورة الثانية:

هذه الصورة لها علاقة بنشوء الكون أو ما يعرف بملحمة الخليقة إينوما إيليش يقابلها في التوراة سفر التكوين.

هذه الملحمة طويلة جداً، جذورها تعود إلى الفترة السومرية. فهي من ضمن الأدب المنقول شفهياً عند الناس، ولما اكتشفت الكتابة دونوها أو دونوا أجزاء منها. هذه المرحلة تتكلم عن الإله مردوخ البابلي، كيف كوّن الأرض والسماء، وكيف خلق الكواكب السيارة. في موضوع الخلق إشارات مهمة جداً وأساسية تظهر لنا تطور الفكر العراقي في ذلك الوقت إذ أنهم وصلوا إلى إمكانية ربط الوجود بالماء. واليوم أحدث التفسيرات العلمية تربط نشوء الإنسان والحياة على الأرض بالماء. فهذه المسألة المهمة توصل إليها الإنسان العراقي منذ آلاف السنين.

بالمقارنة بين سفر التكوين عند اليهود وملحمة الخليقة عند البابليين، نرى التقارب الكبير بينهما مع الإشارة إلى التي في سفر التكوين. نرى التركيز الكبير على الرقم سبعة ففي الخلق نجد سبعة ألواح كُتِبَ عليها أحداث الخلق بالمقابل، في سفر التكوين الله خلق الأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع. وإذا أردنا التعمق أكثر من هذا الموضوع، نرى تطابق اليوم الأول في سفر التكوين مع اللوح الأول في ملحمة البابلية واليوم الثاني مع اللوح الثاني وهلمّ جرا.

http://al-maktabeh.com

الصورة الثالثة:

أما الصورة التالية فهي «ملحمة كلكامش» وهي مهمة جداً، وجدت في العراق، موضوعها عن ملك أوروك أو الوركاء حالياً، الذي يتعرض لحوادث عدة يسعى من خلالها للتفتيش عن الخلود، وتقوده مغامراته بالبحث عن الخلود إلى الشخص الوحيد الذي نال الخلود اسمه «أوتنابشتيم» وهو ملاح يملك سفينة صغيرة يعيش مع زوجته، وقد نالا الخلود من الآلهة بعد مفارقات طويلة. نجد ذلك في اللوح الحادي عشر والثاني عشر من ملحمة الخلق يصل إليه كلكامش، ويطلب منه أن يخبره كيف يحصل على الخلود. فيخبره «أوتنابشتيم» قصة عرفناها منذ صغرنا، وهي قصة نوح وكيف طلب منه الله أن يدخل فلكاً محملاً بجميع أنواع الحيوانات أزواجاً. ويغرق الله الأرض بطوفان كبير يموت فيه كل من يسكن عليها ما عدا نوح وعائلته. نرى أن هذه القصة الموجودة في التوراة نقلت عن البابليين والسومريين الأقدم طبعاً.

الصورة الرابعة:

تمثل هذه الصورة قناع من الذهب موجودة في العراق يعتقد أنه لسرجون الأكدي، وهو أول قائد ورجل دولة وحّد بلاد النهرين.

سرجون الأكدي عاش حوالي سنة 2750 قبل الميلاد. وموسى التوراتي (1400 ــ 1200 ق.م) ظهر في مصر.

حسب المعلومات أو التاريخ الموجود لدينا، إمتدحكم سرجون الأكدي من البحر الأعلى، أي البحر المتوسط، إلى البحر الأدنى أو الخليج العربي، كل هذه المنطقة شملها في مملكته.

بعدما استلم الحكم واستقر وضعه، كتب سرجون على ألواح عثر عليها في العراق يخبرنا فيها عن بداياته: أنه ولد في معبد ولم يعرف أمه وأبيه، وضعته أمه في سلة من القصب ورمته في نهر الفرات، فأخذه مجرى النهر إلى حديقة قصر ملكي وهناك نشأ وترعرع وتعلم الكتابة، ومن ثم استلم الحكم. هذه القصة تذكرنا بقصة موسى حرفياً.

http://al-maktabeh.com

الصورة الخامسة:

لوحة أخرى عن شخص اسمه «كوديا» وكوديا حكم ما قبل حمورابي (1792 _ 1750ق.م) وبعد سرجونه الآنف الذكر. ولتخليد أعماله، كتب بعض النصوص على تمثاله لشخصه عند القدمين، وعلى عمودين كبيرين موجودين حالياً في ألمانيا، كتب قصة حياته، وهي أنه حكم بإله يطلب منه أن يذهب إلى منطقة معينة ويبني فيها معبداً للإله، وقد أعطاه هذا الإله مقاييس المعبد بالسنتيمتر: عدد الدرجات والأعتاب والمدخل والغرف والأعمدة. القصة نفسها موجودة في التوراة عن سليمان الذي أراد أن يبني هيكله، حتى أن النهاية هي نفسها، فإن كوديا مات قبل أن يبني معبده، وكذلك سليمان.

الصورة السادسة:

هذه الصورة «أحيقار» الحكيم من نينوى، الذي كان وزيراً في بلاط الملك سنحاريب (704 _ 671 ق.م) وابنه أسرحدون (680 _ 669 ق.م) ولقد ترك لنا هذا الحكيم أمثالاً عدة وثمينة، وأن مقابلة بسيطة بين هذه الأمثال وما ورد في الأسفار الحكمية في التوراة ترينا أن كُتّاب أسفار العهد القديم كانوا يعرفون هذه الأمثال والحكم، وأن أسفار العهد القديم نجد فيها عناصر واضحة من حكمة أحيقار، وهما ضربان: الأول كتب نصها الأصلي مدون باللغة العبرية، والثاني كتب نصها الأصلي مدون باللغة الآرامية، وهي آرامية حكمة أحيقار بالذات بل آرامية جميع النصوص والوثائق المسجلة في تلك الحقبة.

إن لحكمة أحيقار علاقة وثقى بعدة أسفار في التوراة دخلت عناصرها هذه الأسفار عن طريق كونها حكمة إنسانية منتشرة سواء بطريقة شفوية أو بطريقة الكتابة، ولا نرى غضاضة بهذه الأسفار أن تنطق بلغة بشرية وقد نزلت لهدايتهم وتقويم إنسانيتهم والأسفار الحاوية بعض العناصر من حكمة أحيقار وكتب نصها الأصلي بالعبرية هي: سفر أيوب البار، وسفر المزامير، وسفر الأمثال، وسفر الجامعة، وسفر يشوع بن سيراخ، وسفر طوبيا... وغيرها.

http://al-maktabeh.com

كل هذه الصور التي ذكرناها، وغيرها كثير، والتي نستطيع أن نتكلم عنها، تعرّف عليها اليهود في بابل في عهد الملك نبوخذنصر، أيام السبي البابلي، والتي تدل دلالة صريحة على السرقات الفكرية التي مارسها كتّاب اليهود وكهنتهم ورؤسائهم، وسردها بنصها في كتبهم المقدسة، وبوجودهم في بابل وأور وآشور ونينوى، وغيرها من حواضر بين النهرين، فتعرفوا إلى التراث الرافديني الذي كان موجوداً في قلب بابل، ونينوى وغيرها في مكتبات هائلة. ولقد عُثر منذ قرن وأكثر على مكتبة في نينوى شمال العراق، وكانت تضم بين رقومها التي بلغ عددها أكثر من خمسين ألفاً مرتبة على رفوف، وفيها أقسام خاصة للإعارة حتى يستطيع المواطن أن يستعير اللوحات ويقرأها عند الحاجة. ومن هنا تعرّف اليهود على هذا التراث العظيم، وبدأت عملية تحويره على يد الكاهن الأكبر عزرا والكاهن الثاني نحميا الذي لعب دوراً كبيراً في سقوط بابل تحت ضربات الفرس فيما بعد.

مقابل هذه الصور، وهذه الإشارات والملاحظات نرى آلاف المحاولات لليهود ليقولوا أن لهم وجوداً قديماً في هذه الأرض. وبدأت هذه المحاولات من أوائل القرن التاسع عشر الميلادي واستمرت خلال القرن العشرين وحتى يومنا هذا.

حملة السرقة الحديثة

ظهرت رسائل تل العمارنة، وظهرت فيها كلمة خابيرو، كلمة مؤلفة من ثلاثة أحرف، فتبنى اليهود هذه المسألة على اعتبار أن خابيرو تعني عابيرو أي عبري، يعني اليهود. وبدأت التنقيبات والترجمات لهذه الرسائل. فتبين أن الخابيرو كانوا مجرد قطّاع طرق في شبه جزيرة سيناء، يقطعون الطريق على القوافل بين مصر وسورية، أي الخط التجاري في ذلك الوقت. فلما أثبتت الاكتشافات ذلك، تنصّلوا من الموضوع ولم يعودوا يعترفون به.

http://al-maktabeh.com

حالياً هناك محاولة خطرة جداً لم تبرز كثيراً إلى السطح بعد وبدأنا نشعر بآثارها، وهي ربط وجود اليهود بالآموريين.

نعم، هناك محاولة حثيثة لإثبات هذه الجذور. خصوصاً أننا نحن لا نعطي الآموريين قيمتهم ولا حقهم في التاريخ فاستغل اليهود هذه النقطة وحاولوا إبراز مملكة أمورو، فدرسوا مسألة الآموريين ويحاولون بكثير من القوة أن يربطوا بين الشعبين. وهذا ما يفسر لنا لماذا عند دخول الأميركيين إلى بغداد قالوا أنهم سيزيلون صورة نبوخذنصر العسكري عن العملة العراقية ومظاهر الحرب، واستبدالها بصورة حمورابي الآموري المحب للسلام بحسب رأيهم الخاطئ.

سرقة آثار المتاحف العراقية

إن مسألة تغيير شكل العملة تعطينا فكرتين واضحتين:

الأولى: هي الانتقام من نبوخذنصر على حساب السبي، «سبي بابل» وهم لا يزالون يحملون هذه المسألة كعقدة في نفوسهم الحاقدة، ويريدون الانتقام.

والثانية: هي التمهيد لليهود بحسب ما قال أحد أحبارهم من الحاخاميين الرجوع إلى «عراقنا» أرض إبراهيم الخليل.

من بين القطع التي سرقت من متحف بغداد قطعة لها علاقة بالموسيقى: ثور مصنوع من الذهب والفضة، وهو ما يعرف بإسم «قيثارة أور» لم يكن الأصل في متحف بغداد، إنما هو موجود في متحف اللوفر في باريس والنسخة المقلدة كانت في متحف بغداد.

صورة أخرى تحمل أول تنويط موسيقي غير محلول. وهناك نوطة موسيقية وجدت في نينوى صارت معروفة ومقروءة من قبل العلماء. بينما بداية التنويط الموسيقي غير مقروءة بعد حتى اليوم، وهو موجود على ختم إسطواني.

صور لأختام إسطوانية كلها من الطين حجمها صغير جداً سرقت ويوجد الكثير منها بعد في متحف بغداد.

http://al-maktabeh.com

ما الذي حصل في آثار العراق؟

قبل البدء بالحرب على العراق، عقد في نيويورك اجتماع لأشخاص دعوا أنفسهم بالمجلس الأميركي للثقافة أو للسياسة الثقافية. وهذا المجلس معظمه من أثرياء اليهود المتمكنين في منطقة وجودهم. وضغطوا على الأميركيين وعقدوا اجتماعات مع أعضاء البنتاغون قبل اندلاع الحرب. وكان أحد أهم شروطهم أن لن يُمولوا الحرب إلا إذا سُمح لهم بشراء القطع الأثرية التي تسرق من العراق. هذا حدث عام 2001 وتمت الموافقة على الموضوع كما أعلنوا أمراً مهماً جداً وهو: «إذا كان هذا الشعب الجاهل لا يستطيع المحافظة على آثاره فنحن مستعدون لأن نحافظ عليها في متاحف نيويورك وتل أبيب» لذلك سُمح بأن تشترى تلك القطع بالرغم من أن ذلك ممنوع، في القانون الدولي يمنع شراء القطع الأثرية، في حال كانت مسروقة أو ثبتت سرقتها، ولكن اليهود لعبوا على هذا الموضوع من قبل.

هناك اتفاقيات دولية تمنع هذه التعديات سُنّت عام 1907 ووقعت اتفاقية في لاهاي تمنع إيذاء المواقع الأثرية والمباني التاريخية، أينما وجدت، بالقصف وتطلب من المتحاربين أن يبتعدوا كلياً عنها. واستطاعوا في الاتفاقيات المتتابعة، والتي كان آخرها سنة 1953 وبدأ تطبيقها سنة 1956 في لاهاي، وهي تلزم البلدان الموقعة على هذه الاتفاقية بوضع إشارة مربع مقسوم إلى مثلثين واحد مطلي باللون الأسود والآخر بالأبيض. كل دولة مجبرة أن تضع هذه الإشارة على مواقعها الأثرية في جميع أنحاء العالم. وتلزم هذه الإتفاقية الدول بعدم القصف على المواقع الأثرية مهما كان محتواها. أميركا وقعت على هذه الاتفاقية، ولكنها لم توقع على اتفاقية أخرى لها علاقة بهذا الموضوع سنة 1997 وكذلك «إسرائيل» وبريطانيا. العراق وقع على هذه الاتفاقية وكما هو معلوم فإن أرض العراق كلها مواقع أثرية ملاصق بعضها للبعض الآخر.

http://al-maktabeh.com

في بغداد وحدها حوالي 2000 موقع أثري، وعلى الرغم من ان الإشارات موجودة حول المواقع الأثرية إلا أن الجنود الأميركيين استهدفوها مباشرة مع العلم أن تلك الإشارات تظهر بواسطة الأقمار الصناعية بوضوح لأنها مطلية بمادة خاصة ومربوطة بشبكة عبر الانترنت، ويمكن مشاهدتها في كل أنحاء العالم. ولكن الأميركيين في حرب الخليج الأولى وحرب الخليج الثانية، وبحجة الخطأ الذي زين كل أعمالهم قصفوا كل المواقع الأثرية في بابل ونينوى وآشور، ومجموعة كبيرة من الآثار: متحف في البصرة وآخر في تكريت، تارة «بالخطأ» وتارة أخرى بهدف تدمير أسلحة للجيش العراقي، إضافة إلى متحف الموصل. والمشكلة الكبيرة قصف المواقع الأثرية، أما المشكلة الأكبر فكانت سرقة متحف بغداد.

سرقة متحف بغداد

المعلومات والأخبار تدل على تورط الأميركيين في مساندة اليهود في مسألة الآثار العراقية مدير المتحف العراقي يقول إن السارقين الذين دخلوا إلى المتحف كانوا على علم بالأشياء التي يريدون أخذها فكانوا يتركون القطع المزورة أي المنسوخة ويأخذون القطع الأصلية، إضافة إلى أن السارقين نزلوا إلى الطابق الثالث تحت الأرض، ودخلوا إلى صندوق محدد وسرقوا أشياء محددة. القطع التي سرقت من حضارة أور مهمة جداً وأساسية لا تعوض قيمتها. ولكننا نعلم عنه الكثير.

المشكلة كانت بالنزول إلى المخزن لأن بلداً مثل العراق فيه الآلاف من المواقع الأثرية التي يجري التنقيب فيها منذ عشرات السنين، ما لا يقل عن عشرات الألوف من القطع الفنية والأثرية كانت تستخرج يومياً من فخار ورقم طينية.. وكلها كانت ترسل إلى المتحف العراقي حكماً لتتم دراستها. وبعدما تتم دراستها بشكل وافٍ، تنقل إلى العرض أو للتخزين في مكان آخر. ولكن نظراً للكميات

http://al-maktabeh.com

الكبيرة التي كانت تدخل إلى المتحف يومياً، لم يتمكن العلماء من دراستها كلها، فكانت توضع في مخازن بانتظار دورها من الدرس، لا دليل على وجودها سوى بعض الكتابات البسيطة في أرشيف المتحف، وهي دراسات أولية. حتى الدراسات الأولية تم حرقها.

كان متحف بغداد قاعدة مهمة لكل المعلومات التي تجمعت منذ 150 سنة وحتى اليوم. أحرق كلها.

حريق مكتبة المخطوطات في بغداد كان فاضحاً جداً بالنسبة للأميركيين، الذين غضوا النظر عنها بعدما استنجد بهم الصحافي البريطاني روبرت فيسك ولم يلبوا النداء. وبحسب ما قال صحافي آخر كان قد شاهد المكتبة قبل حرقها، فإن الرماد الموجود في الداخل بعد الحريق ليس إلا لقليل من الجرائد. وهذا يؤكد سرقة المكتبة قبل حرقها تمويهاً للعملية.

لفت نظري في الصحف اللبنانية مقالة بتاريخ 4 تموز 2003 يوم الجمعة بعنوان: «نافياً أنباء سابقة عن تعرضها للنهب، متحف بغداد يعرض كنوز نمرود»، تخبرنا المقالة عن رئيس الإدارة الأميركية (بول بريمر) الذي تأثر بروعة الكنوز التي كانت تعرض عند زيارته للمتحف. وكان ذلك لتمرير قصص عدة، يقول (المسؤول الإيطالي عن المتحف ـ هو السفير الإيطالي، المسؤول عن الشؤون الثقافية في السفارة الإيطالية في بغداد) بأنه لا تزال ثلاثة آلاف قطعة فقط مفقودة من أصل 170.000 قطعة أعلن عن سرقتها ويقول الناطق بإسم الإدارة أنه من أصل 8000 قطعة ذات قيمة فريدة، لم يعد هناك سوى 47 قطعة مفقودة.

في صياغة المقال دليل واضح جداً أن الأميركيين يحاولون التقليل من الكارثة التي حدثت. هذا ما تعودنا عليه من الأميركيين الذين يكيلون بمكيالين، وإن الصحافة تكتب مثلما يقولون لها.

http://al-maktabeh.com

خلاصة ونداء

مما سبق أعلاه، وقف اليهود أمام نقطة أساسية وخطرة بالنسبة لهم، وهي فشلهم في إيجاد جذور لكتاب التوراة، فكان الحل عندهم بسرقة وتدمير كل اللقى والآثار، الموجودة في جميع أنحاء العالم، التي تفضح التوراة. ومن هنا عمل اليهود على إنشاء متحف في فلسطين، أسموه متحف التوراة، غايته أن يتابع كل الحفريات الأثرية في كل أنحاء العالم والنظر في نتائجها من ناحية تقليل قيمة التوراة، والعمل على تزويرها وسرقتها ونقلها إلى فلسطين إلى داخل هذا المتحف بالذات ومنع أي شخص غير يهودي من دراستها وهذه المسألة مشروعة ومقدسة بإشراف حاخامبين مختصين بهذا الموضوع. ويمنع أي شخص كان من دخول هذا المتحف دون الموافقة عليه من قبل هؤلاء الحاخامبين.

أخيراً أريد أن أقول لكم: «ويل لأمة تقرأ تاريخها مكتوباً بأيدي أعدائها»، هذه مسألة مهمة جداً. وهدف هذه السطور ليس الوقوف على الأطلال والبكاء عليها والتحسر على ما مضى.

هذه السطور هي دعوة للإهتمام أكثر بجذورنا، النبتة إذا لم ترو تربتها ستموت. وجذورنا يجب أن نرويها بمعلومات تعبر دائماً عن تاريخنا نحن وليس الذي يريدون أن يكتبوه لنا.

دعوة أخرى أطلقها للإهتمام أكثر بمسألة الآثار ومسألة الكتابة في هذا الموضوع. القطعة الأثرية أو الكتاب أو الصورة التي تتكلم عن آثار بلادنا ضروري جداً أن نرويها لأولادنا. يجب علينا أن نسقيهم حبّ التاريخ منذ الصغر كي يتمكنوا من بناء مستقبل جديد جيد. نحن، في سياق تاريخنا الطويل، مرات عدة كان التنين يعمل على تخريب معتقداتنا، وكنا نقتل هذا التنين، التنين اليهودي لن يتمكن من القضاء علينا. بجهودنا وعملنا يمكننا القضاء على هذا التنين.

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

العراق في مرآة اليوم

اعتبر التاريخ مرآة الزمن، وهذه المرآة إذا ما تكسرت تكسر الزمن وهذا ما حدث في العراق، العراق تاريخ لعدة حضارات من السومريين والأكاديين والبابليين والآشوريين وأعطى للبشرية ابتكارات واختراعات عدة، ولعب دوراً كبيراً في الحضارة البشرية ويكفي انه قدم للعالم رقم الصفر والعجلة واموراً أخرى وبقي يشع رغم سقوط بابل سنة 537 ق.م.

والى محطة الدولة العباسية التي تعتبر من أهم مظاهر الحياة الحضارية في العالم من الناحية العلمية والصناعية والفنية حيث كانت بغداد تعج بميادين الحضارة، سنة 870 كان في بغداد 1000 طبيب وصيدلي في وقت لم يكن في اوروبا طبيب واحد.

كما وجدت في بغداد أول جامعة في العالم، كانت تدرس فيها المذاهب الأربعة إضافة إلى دار الحكمة التي أنشأها الخليفة المأمون الذي اشتهر بالترجمة من اليونانية والسريانية وحتى السنسكريتية إلى العربية، وكان يقدر عدد الكتب الموجودة في دار الحكمة بالآلاف أيام دخول هولاكو، وهنا قصة تقول مبالغة حيث رموا الكتب في نهر دجلة، هناك من قال أصبح كالجسر يعبر عليه المشاة وآخرون قالوا اصبحت مياه دجلة حمراء كالدم من حبر المخطوطات. هذه الحضارة التي سقطت على يد هولاكو ومن بعده الأقوام التي غزت العراق. انا اقول في سقوط بغداد سنة 1258. سقطت الحضارة العربية والعرب بالذات لأنه من ذاك التاريخ حتى اليوم لم نستطع ان نصل إلى ذلك الرقي ولم نستطع تشكيل دولة كتلك الدولة، وحين اتكلم عن هذا الشيء اقصد به ما خص المنطقة العربية وبالأخص ما يسمونه الهلال الخصيب. هذه المنطقة كانت شعلة الحضارة للعالم كله، هوى ذلك النجم في سقوط بغداد واستمررنا في الانحطاط بعد

http://al-maktabeh.com

ان حكمنا العثمانيون 400 سنة اجروا عليها التعسفية فسادنا الفقر والجهل والمرض بعد الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918) نشأت الأقطار العربية ويا ليتها لم تنشأ لأنه في تقسيم الوطن العربي إلى أقطار متضاربة متنافرة في سياستها وطروحاتها انحط العرب أكثر.

نهض العراق بعد إنتهاء الحكم العثماني وان في خطوات بطيئة ولكن جديدة، سقطت بغداد مرة ثانية وكان هذا ابشع ما نراه اليوم على الساحة العراقية.

تركت العراق سنة 1992 وكنت أطمح أن يصبح بخير ولكن كان للحصار الذي فرض، دوراً قاسياً، كما ان السلطة لم توفق بين الحصار الخارجي والداخلي فجوّعت شعبها وجيرانها، كانت تعطي مبالغ ضخمة لكل من يأتي إلى العراق بينما يغرق شعبها بالمرض.

سقط العراق في 3 نيسان 2003، منذ ذلك التاريخ استبشر الناس خيراً فظنوا ان كابوس السلطة الديكتاتورية قد انزاح عنهم وانهم سيعيشون في ربيع مزهر ولكن كل هذه الآمال ذهبت بمرور شهرين فقط وعاد العراق أبشع من العهد العثماني. فوجدت التفرقة الطائفية التي لم يكن يعرفها العراقي من قبل، غاب الحس الوطني بعد دخول اميركا، ويعيش العراق اليوم حرب شعواء بين السني والشيعي والكردي والعربي والتركماني حتى ظهرت مذاهب باطنية ما كان يعرفها الا المختصون، كالشبك، اليزيدية، الصابئة، الباجوران وغيرها نبتت في آن واحد، فلم تعد تعرف من هو العدو ومن هو الصديق وهذا ما شهدته خلال زيارتي الأخيرة منذ حوالى الشهرين بعد غياب 12 سنة.

رأيت العراقي، ما هو العراقي، وجوه العراقيين شاحبة دامعة كئيبة لا تعرف الفرح. رأيت مجموعة في عرس كأن وجوههم لا توحي الا بكآبة الموت.

وفي شوارع العراق مشاهد اختلفت عن السابق بعد دخول الأصولية اليها فالبقال لم يعد يستطيع ان يعرض البندورة بجانب الخيار وذلك لأنهما مذكر ومؤنث، حتى التماثيل التي تعرض عليها الثياب (مانوكان)، تلف وجوههم بالمناديل السوداء

http://al-maktabeh.com

تجنباً للاثارة، نلاحظ هنا هذا التلاقي بين الأصولية والأميركان الذين يقولون إنهم هم من يحارب القاعدة في حين أنهم هم القاعدة. اضافة إلى النهب والخطف من اجل الفدية، فخلال سنتين تم اختطاف 5 كهنة.

عرف العراق الأصولية مع دخول الأميركان إليه، الذين استغلوا الأحقاد التي كانت موجودة عند جيرانه، فالكويتيون دخلوا إلى العراق حاقدين كذلك الايرانيون فتم قتل كل ضابط عراقي شارك في الحرب العراقية – الايرانية.

وتبين من خلال الاحصائيات الأخيرة ان أكثر من 500 ضابط وما فوق من رتبة مقدم قتلوا، كذلك عدد كبير من الأساتذة ورؤساء الأقسام في جامعة الموصل، وعدد من الأطباء، مما دفع بهم إلى الهجرة والعمل خارج بلادهم حفاظاً على حياتهم، فأصبح العراق في حاجة إلى اطباء ولم يعد هناك اساتذة في الجامعات، ما يدفعنا إلى القول ان هذه البلاد وصلت إلى حال مزرية من الناحية الاجتماعية فتغلغل الفساد واصبحت المخدرات تباع في الطرقات.

هجرة المسيحيين

هنا عدد من الاحصائيات التي تبيّن نسبة المسيحيين التي وجدت في العراق خلال سنوات مختلفة.

عام 1921 كان في العراق مليون ونصف مليون نسمة بينهم 15 في المئة مسيحيون.

أول إحصاء عام 1934 أصبح عدد سكان العراق ثلاثة ملايين نسمة 12 في المئة منهم من المسيحيين.

1947 وجد 12 في المئة من المسيحيين من بين 5 ملايين نسمة.

عام 1957 كان عدد السكان 7 ملايين ونصف المليون، 11 في المئة منهم مسيحيون.

http://al-maktabeh.com

ولم يقم أي احصاء بعدها بسبب الحرب.

وبحسب ما لدينا من احصاء تقدمه الكنيسة، بين آونة وأخرى، كان عدد المسيحيين في العراق مثلاً سنة 1985 اكثر من مليون شخص، اغلبهم من الكاثوليك.

بدأت الهجرة في الحرب العراقية - الايرانية حيث اراد الشباب المسلم والمسيحي التهرّب من الخدمة العسكرية فهاجر عدد منهم إلى اميركا وبريطانيا، الا ان الهجرة المسيحية ارتفعت عام 1991 بسبب الحصار.

وتستمر الهجرة المسيحية اليوم في العراق فالراهبة العراقية لا تجرؤ على المشي في شوارع العراق تخوفاً من الخطف والقتل، ولا يتجاوز عدد المسيحيين في العراق اليوم الـ 400 الف مسيحي، وفي الأعداد النهائية مليون مسيحي هاجروا من العراق خلال خمس سنوات.

وتجدر الاشارة في هذا الاطار إلى ان هناك عدد من اليهود في بغداد وخصوصاً في المنطقة الشمالية حيث يوجد اكثر من ألف عنصر موساد في منطقة كردستان وباقي المحافظات، وهم يلعبون دوراً كبيراً في تدمير العراق ويطمحون إلى محو اسمه.

http://al-maktabeh.com

المسيحيون العراقيون
ودورهم في بناء العراق الحديث

مقدمة

المسيحيون، ضحية التاريخ، وصورة الواقع في كل عصر وكل مصر. فقد حملوا في أعناقهم ذنوب الآخرين، فكانوا كبش الفداء بمحرقة حقد الشعوب.

عاش المسيحيون العراقيون مع إخوتهم المسلمين فترة الحكم العثماني (1534 – 1918) محتملين صعوبات العهد وشقائه من كل سبل التطور والتقدم، منغمسين في حماة الظلم والفساد، بعيدين عن ميادين الفكر والنهضة وذلك بسبب النظرة الشوفينية الفوقية. فكان العراقيون جميعاً والحال هذه مضطهدين ينتشر بينهم الجهل والفقر والمرض.

ومع كل الضغوطات، فإن بعضاً من المسيحيين استطاعوا ان يبرزوا على المسرح الإجتماعي والثقافي والاقتصادي، وأظهروا كفاءة عالية من الحرص على النهوض، فساهموا عميقاً في حركة اليقظة العربية، سيما في النظام الفكري وعلى قدم المساواة مع إخوانهم العرب المسلمين والمسيحيين في لبنان والشام.

قبل أي معالجة للموضوع، لا بد من ملاحظات مهمة يجب الأخذ بها قبل الولوج فيه سيما بهذا الزمن الصعب الذي يمرّ بالعراق الحبيب، والعراقيون جميعاً يكتوون بنار الإحتلال الغاشم والأصولية العنيفة، علماً انهم مدعوون اليوم لافتتاح صفحات تاريخ جديد من مطلع الألف الثالث.

http://al-maktabeh.com

لا شك، انني أعالج موضوعاً حساساً، ولكني أجده واجب ولازم لأن أخوضه وأنا بعيد عن أرض وطني في الإغتراب - والغربة قاتلة - والموضوع هذا، لا بد من إدراك جوانبه ودواخله من قبل ابناء العراق جميعاً دون تمييز قومياً ودينياً ومذهباً. فالأمر يخصّ الجميع خصوصية خاصة، إذ هو - ان صحّ التعبير- خلق عراق جديد في كل الميادين السياسية والثقافية والإجتماعية والإقتصادية.

من الأمور المهمة الواجب ادراكها والتأكيد عليها هو ان المسيحيين في العراق ليسوا أقلية، بما تعنيه الكلمة، لأن هذه الأقلية كانت يوم دخول الجيوش الإسلامية لفتح العراق تسعة ملايين نسمة، ماذا بقي منهم؟ ولماذا؟. ثم ان هذه الأقلية لعبت دوراً مهماً وصادقاً في حضارة الدولة الإسلامية في العهدين الأموي والعباسي - وخصوصاً العباسي - وكتب الحضارة _ وكتب الحضارة مع جميع مصادرها ومراجعها تؤكد هذا الدور الجليل الذي لعبه المسيحيون في حضارة العراق على كافة الأصعدة الحياتية، وجميع ميادين نشاطها الحضاري، ولست هنا بمعرض الإستعراض ودراسة هذه الفترة فشهادات المؤرخين تؤكد هذا الدور الحضاري العظيم.

ما أجده ضرورياً ومهماً هنا هو التأكيد على دراسة فترة المائتي سنة الماضيات، كما لهذه الفترة من مكانة في نهضة العراق الحديث، وما انجزه المسيحيون بالذات في هذين القرنين (1800 _ 2000).

المسيحيون العراقيون اليوم، هم، هم، كأجدادهم الأولين في حبهم وموالاتهم لأرضهم العزيزة، وعزمهم على بناء العراق ورفع رايته على جميع ارضه يظلل جميع ابنائه كأمة واحدة، هي الأمة العراقية، فالمسلم السنّي والشيعي عراقي، والمسيحي الأشوري والكلداني والسرياني عراقي، والكردي والتركماني عراقي، اليزيدي والصابئي عراقي، فهيا، وقد حان الوقت لرفع شعار «الأمة العراقية الواحدة والمتوحدة، في عراق واحد متوحّد» فقد آن الأوان للإنصهار في وطن واحد عزيز حبيب.

المسيحيون العراقيون معروفون بوطنيتهم الخالصة والصادقة على مدّ التاريخ. لهذا كان ثقلهم التاريخي والحضاري، ومكانتهم الواسعة والعالية. في العراق الحديث

http://al-maktabeh.com

والمعاصر، ووجودهم الحيّ واجب ولازم عبر مؤسساتهم الدينية والإجتماعية بأديرتهم، وكنائسهم، ومدارسهم، ومطرانياتهم، وخورنياتهم، وخصوصاً في الموصل الحدباء، وبغدادي الزوراء، والبصرة الفيحاء.

فالموصل بما يحيط بها من مدن وقرى: باخديدا، كرمليس، برطلي، تلكيف، تل أسقف، باطنايا، وباقوفا، والقوش وغيرها الكثير المبثوثة في شمال العراق كنجوم السماء. فمنذ عشرين قرناً وهم يعطون بسخاء من روحهم، وأفكارهم، واقتصادهم ما يعتزون به كخدمة وطنهم العراق ونهضته مجاراة للعالم والناهض والمتقدم، يسقونه بدمائهم وعرق جبينهم يدافعون عنه في كل سبيل سلماً حرباً.

لم أكن افكر يوماً ان أكون بموقفي هذا، أن أكتب مدافعاً عن المسيحيين العراقيين، لأنني كنت اعتبرهم واحداً مع الشعب العراقي المتوحّد فكراً وثقافةً وآمالاً، لا يميزهم، ولا يفرقهم أي قوة، وأي دخيل. إلا انه اليوم حدث ما لم يكن متوقعاً فأجد من الضرورة الكلام ورصد الأحداث.

كلنا يعلم ان الشعب العراقي بكافة قومياته وعناصره، ومذاهبه وتياراته واحداً، قد تجانس وتناغم، فقد مرّت عليه ذات الأحداث وذات الأيام، حلوها ومرّها، عتيّها وخفيفها، وعملوا يداً واحدة لتقدمه، ونهوضه بإسم العراق وللعراق، ومن العراق.

اليوم هنا موجات عاتية، ورياح عاصفة، تحاول قلع العراق والعراقيين وخصوصاً المسيحيين من أصولهم التاريخية وجذورهم الحضارية، فيجب الإنتباه والحذر، كل الحذر، من الأصابع الخفية التي تعمل بالظلام، والخونة الذين يعملون وراء الكواليس.

أجل، من يقرع الأجراس لاستئصال المسيحيين؟

من يقرع النواقيس لتقرير المصير؟

من يؤذّن بالناس للقتل والسلب والخطف والتهجير؟

آلاف السنين مرّت على وجود المسيحيين في العراق، فهم سكانه الأصيلين الأصليين، منذ وجود أجدادهم البابليين والكلدانيين والأشوريين والعرب المسيحيين المتمثلين بقبائل تغلب واياد ومضر وربيعة وسُليم وطي... فلا بد من وقفة تأمل.

http://al-maktabeh.com

اليوم كنائسهم تفجر، وأديرتهم تدمّر، ومتاجرهم تخرّب، يتعرضون لشتى الإعتداءات الإرهابية بين التهديد والوعيد، والطرد والتشريد. يتعرضون كل يوم الى الشتم والإستهزاء بمقدساتهم: الصليب والمسيح والإنجيل...

لماذا؟ ماذا جرى في العراق وللعراقيين الذين لم يعرفوا يوماً العنصرية والطائفية والمذهبية. أكيد هم من وراء الحدود القريبة والبعيدة، يرغبون في تشويه وجه العراق الصافي النجيب، ووجوه العراقيين الشريفة ذوو الغيرة والشهامة، وقطع أيادي المواطنين المسلمين والمسيحيين المتحابكة دوماً للحق والحقيقة.

إذن، لا بد من التعريف بأولوياتنا الأمنية والوطنية قبل كل شيء. فنحن عراقيون قبل أي مرجعية (قومية أو دينية). سأبقى مدافعاً عن حقوق كل العراقيين بكافة انتماءاتهم الدينية والعرقية والمذهبية، من اجل استعادة مجد العراق وازدهاره، وعودته ثانية فيصب قدراته الحضارية في العلم والمعرفة في بحر الحضارة العالمية عبر رافديه دجلة والفرات والمعطائين، انهار الجنة الأرضية والفردوس المفقود من خلال الوطن الواحد والشعب الواحد.

روّاد النهضة

من اجلى الصور لهذه اليقظة والنهضة هو ظهور رجالات سياسية وثقافية واجتماعية عملوا سوية يداً بيد مع إخوانهم العرب المسلمين، سيما تلك المواقف الوطنية التي امتازوا بها تذكر وتشكر، فلا بد من الوقوف على جملة الحقائق المهمة التي تكاد ان تكون مجهولة عند المثقفين العرب، حتى عن العراقيين انفسهم علاوة على الغبن والجفاء والتعتيم الذي قاسوه ويقاسونه من التاريخ، عندما يشار الى غيرهم من مصر ولبنان وبلاد الشام. وهم أعلام نهضويون مرموقون قدموا خدمات كبيرة لنهضة العراق ولم يزل تأثيرها البالغ في الحياة العراقية والعربية الحديثة. ومن المؤسف حقاً ان يقدّر ويثمّن هؤلاء في بلدان اوروبية، ولا يعرفهم العرب أبداً وهم أبناء الرافدين الأقحاح.

http://al-maktabeh.com

أولاً: المؤسسون الأوائل

كان العراق دوماً السباق الى طلب الحضارة والتقدم سيما لأبنائه المسيحيين الذين برز منهم الشخصيات النهضوية في قيادة الحركة، في القرن التاسع عشر. هؤلاء القادة، يكاد تاريخهم يكون مستتر خفي عن المصادر والمراجع بفعل التعتيم الذي مورس ضدهم، وعليه لا بد من وقفة عند هؤلاء الرواد المسيحيين الأوائل وقفة إجلال وإكبار.

القس الياس بن حنا الموصلي (القرن السابع عشر):

قام برحلة اميركا بين (1660 و1683) وكتب عنها وصفاً دقيقاً نشرته مجلة المشرق عام 1906 تحت عنوان: «رحلة أول شرقي الى اميركا» وتتضمن معلومات فريدة عن تلك البلاد لأنها أتت كتسجيلات يومية في نيتنا نشرها ثانية.

يوسف عتيق الموصلي:

عالم كبير باللغات الشرقية. ولد بالموصل عام 1599، وتوفي في ألمانيا عام 1680 حيث رحل اليها والتحق بمعهد الإستشراق التابع لجامعة «فيتنتبرغ»، بعد ان كان قد درس اللغات الشرقية السامية، القديمة وتاريخها في فلسطين. وتقديراً لجهوده حفرت الجامعة صورته على قطعة خشبية اعتزازاً به.

خضر الياس هرمز (1679 _ 1755):

رحالة عراقي، ولد في الموصل، سافر الى روما وزار الفاتيكان عام 1725، وعاش فيها حتى وفاته بها، وكتب رسالته «رحلة من الموصل الى روما سنة 1719 » ويعتبر من اوائل المتكتللين من الكنيسة النسطورية حيث يذكر اضطهاده من اجل ذلك.

المطران اقليميس يوسف داوود (1829 _ 1890):

رائد نهضوي حقيقي. يعد من المتميزين العراقيين في ثقافة العصر. تلقى علومه في روما. وعاد الى مسقط رأسه الموصل عالماً كبيراً، وبرز فيها كمعلم ومربي. فأتقن عدة لغات تقرب العشرين. وكان بحراً في اللغة العربية، وعلم الحساب، والجغرافية، والتاريخ

http://al-maktabeh.com

المدني والكنسي، اضافة الى نحو اللغة السريانية واشتقاقاتها وغيرها من العلوم. وقد خرج من حياته بحصيلة من الكتب بلغت 85 مؤلفاً في مختلف المعارف والآداب وقد انتخب عضواً عاملاً في الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية عام 1890، ويعدّ من رواد النهضة الفكرية، العربية الحديثة بسبب غزارة إنتاجه العلمي والثقافي وبلغات عدة.

البطريرك جرجس خياط (1828 _ 1899):

ولد في الموصل، واصل علومه في روما، وسيم كاهناً عام 1853 وعاد الى وطنه عام 1860، وسيم مطراناً على المعادية عام 1860، وانتخب بطريركاً عام 1894. اهتم بالتأليف والنشر والتعليم بما أصدره من كتب مدرسية بالعربية والسريانية، واعتنى كثيراً بفتح المدارس الخاصة بطائفته الكلدانية الواسعة الأرجاء والكثيرة العدد.

البطريرك أفرام رحماني (1849 _ 1929):

ولد بالموصل، قصد روما عام 1863، ودرس في جامعة بروبغندة، وحصل على الإجازة في الفلسفة واللاهوت، وسيم كاهناً، وعاد الى وطنه، ليصرف جهوداً وافرة في النشر والتأليف، وأصدر مجلته «الآثار الشرقية» بدير الشرفة / لبنان بعد ان اعتلى كرسي بطريركية انطاكية عام 1898، فنشر العشرات من البحوث والمقالات التاريخية والتراثية، في ميادين الليتورجيا والآثار واللغات. كان يتهافت العلماء في اوروبا لحضور محاضراته اثناء وجوده في تلك البلاد، وكانت حصيلة حياته أربعين كتاباً باللغات العربية والفرنسية والسريانية.

ثانياً: رجال نهضة العراق الحديث

عندما نشأت الدولة العراقية عام 1921، راح العراقيون جميعاً يتكاتفون لنقلة نوعية، في التقدم والبناء، لخلق عراق متميّز كما كان متميزاً بحضارته الأولى أيام البابليين والأشوريين والكلدان، فراح احفادهم من المسيحيين يتسابقون في نهضة نوعية متكاملة، يدفعهم في ذلك حماسهم الوطني وحبهم العميق للعراق العظيم، سيما بتلك المواقف الوطنية الصادقة وعلى سبيل المثال لا الحصر:

http://al-maktabeh.com

الصحافي داوود صليو (1852 _ 1921):

اصدر جريدة (صدى بابل) سنة 1909، وشنّ حملاته القلمية على العثمانيين ولا سيما (حزب الإتحاد والترقي) وطالب بحقوق العرب. ولمواقفه الوطنية، سجن اكثر من مرة في العهد العثماني، وبعد الحرب العالمية الأولى، نفي الى القيصرية بأمر وآلي بغداد جاويد باشا ثم اطلق سراحه ولكنه بقي على منهجه الوطني المكافح حتى وفاته.

ثابت عبد النور:

مناضل شهير انخرط في شبابه بصفوف جمعية العهد العربية لمقارعة الظلم العثماني. وراح يعمل بحماس متميز للمطالبة بحقوق العرب واستقلالهم، فسجن وكابد الكثير من الإضطهاد الى حين قيام الحكم الوطني، فعيّن سفيراً للعراق في السعودية وحاز على الأوسمة الكثيرة تقديراً لجهوده الوطنية ومواقفه السياسية الفاعلة.

البطريرك عمانوئيل توما (1900 _ 1947):

ولد في القوش. درس في اكليريكية عزير للآباء اليسوعيين في لبنان. إشتهر إبان الحرب العالمية الأولى (1914 _ 1918) بالمبرات الجزيلة اتجاه الفقراء والمحتاجين. مما يذكر عنه، عندما احتل الجيش البريطاني العراق ودخل الموصل، ارسل في طلبه القائد ليجمان واظهر له رغبة الحكومة البريطانية بإنشاء دولة للمسيحيين في شمال العراق فرفض رفضاً تاماً مصرّاً على قيام الدولة العراقية بأبنائها جميعاً مسلمين ومسيحيين مما حمل القائد على نفيه الى الهند، الا ان العرب المسلمين عندما علموا بالأمر ارجعوه معززاً مكرماً الى مقره كزعيم وطني. وكان ان تعيّن عضواً دائماً في مجلس الأعيان العراقي.

الخوري يوسف خياط (1903 _ 1947):

ولد في الموصل. لفرط ذكائه ورسوخ قدمه في المجتمع، جمع الموصليون على انتخابه عضواً في مجلس النواب العراقي، وله فيه مواقف خطيرة، تجلّت فيها عبقريته ومحبته الوطنية، ومدافعته عن حقوق الدولة العراقية الفتية. سافر مرتين الى لندن للدفاع عنها كعضو في الوفد المفاوض مع بريطانيا اضافة الى كونه مستشاراً للملك فيصل الأول.

http://al-maktabeh.com

المطران جرجس قندلا (1889 _ 1980):

ولد في الموصل. وتخرج من معهد يوحنا الحبيب، وسيم كاهناً عام 1913 ، واستلم ادارة مدرسة مار توما. ومن مواقفه الوطنية عندما اثيرت مشكلة الموصل بين العراق وتركيا، كان المدير جرجس يكتب كل يوم صباحاً على اللوح في جميع صفوف المدرسة هذا الشعار الوطني «الموصل رأس العراق، ولا يمكن قطع الرأس من الجسم أبداً»، واستمر هكذا الى حين انتهاء المشكلة عام 1926. اضافة الى كونه شاعراً وطنياً من اهم قصائده «رثاء الملك فيصل» و«رثاء الملكة عاليه».

ثالثاً: الرجال السياسيون

تنفس المسيحيون العراقيون الصعداء عند قيام الحكم الوطني بتنصيب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق يوم 23 آب 1921، فانخرط بعضاً من المسيحيين في الحياة السياسية الجديدة خدمة لوطنهم وشعبهم لعراق موحد ارضاً وشعباً، وضحوا لأجله بالنفس والنفيس في سبيل استقلاله وسيادته، فانخرط العديد منهم في الحياة الحزبية وشاركوا في تأسيس بعض الأحزاب ومن أبرزهم:

السيد داوود يوسفاني (1854 – 1923)، الدكتور حنا خياط (1884 _ 1965) الدكتور وديع جبوري (1903 _ 1967) يوسف سلمان يوسف (فهد) مؤسس الحزب الشيوعي في العراق رزوق انطوان شماس (1914 _ 1986) يوسف رسام (1819 _ 1959) طارق عزيز حنا وزير خارجية العراق ونائب رئيس الوزراء، داوود الصائغ، نجيب الصائغ، جرجيس فتح الله المحامي، كامل قزانجي (1907 _ 1959) توفيق السمعاني، المحامي نوئيل رسام، الشاعر يوسف الصائغ، وجبرائيل اسحق، والدكتور كامل دلالي.

رابعاً: الأثاريون والمنقبون

العراق حقل واسع من الآثار الحضارية القديمة لأقدم حضارات العالم، فهو المنجم الأول بغزارة عادياته وكثرتها، فصار قبلة للعالم، مثيراً للتنقيب في أرجائه، فاتجهت نحوه آثار الأركيولوجيين منذ القرن التاسع عشر للعمل فيه والكشف عن أولى

http://al-maktabeh.com

حضارات الإنسان التي قامت على ضفاف الرافدين. وصارت الأركيولوجيا العراقية من اهم علوم ذلك العصر التي كشفت بما استخرجه المنقبون عن خفايا البشرية وأسرار لم يكن العالم يدري بها الا ما هو مثبت في التوراة والكتب الدينية القديمة.

وبرز بهذا الميدان من المختصين العراقيين المسيحيين، وصاروا روّاداً للأركيولوجيا العراقية:

الدكتور هرمز نمرود رسام (1826 _ 1901) من اشهر المنقبين الآثاريين، وهو الذي كشف عن كنوز اشورية في كل من نينوى وخرساباد والنمرود. ولم تزل صورته معلقة في اهم قاعة بالمتحف البريطاني.

الأستاذ فؤاد سفر (1910 _ 1978) آثاري، من رواد العمل الآثاري. ولد في الموصل، تخرج من العهد الشرقي في جامعة شيكاغو، تعلم الخط المسماري. مارس الحفر والتنقيب في مواقع اثرية عدة واخصها مدينة الحضر.

الدكتور بهنام ابو الصوف، ولد في الموصل. اختار دراسة الآثار، حصل على الدكتوراة من جامعة كمبردج، تقلّد منصب مدير آثار المنطقة الشمالية في العراق. له أكثر من خمسين كتاباً وبحثاً ومقالة في علم الآثار والتنقيبات.

وهناك العديد من الأثاريين في العراق من المسيحيين ومنهم: عبد الكريم بني، بشير فرنسيس، حكمت حنا الأسود، فتي بابا، عبد السلام سمعان،...

خامساً: اللغويون

برز الكثير من المسيحيين العراقيين في ميدان اللغات الشرقية والغربية، ومنها الأكدية القديمة والحديثة، والسريانية والعربية والفرنسية واللاتينية والإيطالية والإنكليزية ووضعوا فيها كتباً عدة في الأدب والنحو والصرف والمعاجم ومن أبرزهم:

الأب انستاس الكرملي (1866 _ 1947) الذي تضلع باللغة العربية الى جانب اللاتينية واليونانية والفرنسية. وكان عضواً في عدة مجامع اللغة العربية. كتب ونشر اكثر من الف مقالة وبحث في علم اللغة.

http://al-maktabeh.com

المطران اقليميس داوود الذيب اشتهر باتقانه اللغة السريانية ويعد كتابه «اللمعة الشهية» من اهم المصادر والمراجع لدراسة نحو وصرف هذه اللغة. والبطريرك جرجس خياط (1828 _ 1899) الذي برع في تأليف الكتب المدرسية باللغة العربية والسريانية، والبطريرك اغناطيوس بهنام بني (1830 _ 1898) الذي درس في روما واضطلع باللغات الشرقية والغربية ونتاجه غزير في التاريخ الكنسي.

اما العلامة ادي شير (1867 _ 1915) فكان يتقن عدة لغات شرقية وغربية، اضافة الى كونه مؤرخاً قديراً نشر اغلب اعماله بالفرنسية بباريس.

المطران اوجين منا (1867 - 1928): صاحب المعجم السرياني العربي (دليل الراغبين) الخوري اسقف بطرس سابا (1893 _ 1961) صاحب كتاب (مرشد الطلبة السريانيين) الدكتور يوئيل يوسف الذي الّف ثمانية كتب في علم الترجمة العام والسيد يوسف يعقوب مسكوني (1903 - 1971).

سادساً: الصحفيين

أسهم المثقفون المسيحيون العراقيون إسهاماً حقيقياً في تقدم الصحافة العراقية وتطورها في نشأتها الاولى، ولقد كانوا روّاداً لها، وأثروها بأدبياتهم وجهودهم وكانت لهم ميادينهم الصحفية المتنوعة بإصدارهم صحفاً ومجلات اساسية في الحقل السياسي والادبي اضافة الى الحقل الديني. فكانت اول مجلة تصدر في العراق عام 1901 (مجلة اكليل الورد) التي اصدرها الآباء الدومينيكان بالموصل. و(مجلة زهيرة بغداد) التي اصدرها الآباء الكرمليين، ومجلة صدى بابل، وجريدة العالم العربي وجريدة الزمان، وجريدة البلاد، وجريدة الأخبار وغيرها اضافة الى المجلات الدينية «النور» و«السلام» و«الفداء» و«النجم» و«المشرق» و«لسان المشرق» وغيرها الكثير.

ومن ابرز الصحفيين الذين اغنوا الصحافة وعملوا على تطورها، السادة: روفائيل بضي، جبران ملكون، توفيق السمعاني، المطران سليمان صائغ، المطران بولس بهنام، القس سليمان البعشيقي، والسيد سليم حسّون.

http://al-maktabeh.com

ومن الجدير بالذكر ان المرأة المسيحية مريم نرما، وبولينا حسون، الى جانب اخيها مجيب حسون. وأيضاً السيد داوود صليوا، ويونان عبو اليونان، وميخائيل تيسي صاحب الصحافة الهزلية، وفائق بسطي، والأستاذ لطفي الخوري وروفائيل مازجي.

سابعاً: المسرح والمسرحيون

نشطت الحركة المسرحية بين المسيحيين العراقيين سيما في الموصل بقدوم الآباء الدومينيكان اليها، فأبدع المسيحيون الذين درسوا في مدارسهم ذكوراً واناثاً، فمثلوا على المسارح البدائية تمثيليات قصيرة، ومسرحيات دينية أو اجتماعية، أو فكاهية هزلية بدءاً بمثلوجات السيد اسكندر زغبي الأعمى الحلبي، فلمع نجم المسرحيين بأعمالهم المسرحية، وكان القس حنا حبش اول من كتب ثلاث مسرحيات في العراق وهي: أدم وحواء، يوسف الصديق وكوميديا طوبيا، كتبها عام 1880، والمتوفي عام 1882.

ومن المسرحيين المشهورين: حنا رسام، توماس حبيب، بهنام ميخائيل، عوني كرومي، ريكاردوس يوسف، ونعوم فتح الله سحّار (1859 _ 1900) الذي ترجم مسرحيات فرنسية الى العربية، كما وضع غيرها مثل مسرحية خوشابا...

ولقد مثلت العديد من المسرحيات الإجتماعية والأخلاقية على مسرح الآباء الدومينيكان، ومدرسة شمعون الصفا وغيرها امثال: مسرحية الأمير الحمداني، مسرحية جنفياف، مسرحية القيامة، مسرحية يوسف الصديق، مسرحية الزبّاء.

ثامناً: الاكاديميون والعلماء المبدعون

لمع عدد كبير من المسيحيين العراقيين في تخصصات علمية مهمة داخل العراق وخارجه في مجالات الكيمياء والفيزياء والذرّة والطب والجراحة والأدوية، وقد حصل العديد منهم على جوائز دولية بحكم ما قدموه من ابداعات ونتاجات، وآخرون حازوا على براءات اختراعات مشهورة، ولا يمكنني ذكر اسمائهم جميعاً بهذا المجال الضيق، ومن ابرزهم: العلامة متى عقراوي (1901 _ 1982) والدكتور متى ناصر مقادسي صاحب الإكتشافات في الفيزياء، والاستاذ بشير اللوس (1905

http://al-maktabeh.com

ـ 1964) في علم الحيوان. الدكتور يوسف نعمان (1923 ـ 1986) طبيب القلب الشهير، والدكتور انطون صبري انطون باحث في فايروسات احياء مجهرية. والدكتور جورج يوناثان سركيس في علم الكيمياء، والدكتور ريمون نجيب شكوري في علم الرياضيات. والأب الدكتور بول نويا (1925 ـ 1980) العالم في التصوّف الإسلامي. والأب باسيل عاكولا في التاريخ القديم. وغيرهم كثيرون.

تاسعاً: الأطباء والجراحون

منذ العصور القديمة، والعراق يشتهر بالطب والأطباء وصنع الأدوية، وهكذا في العصر العباسي الذي تسلم زمامه المسيحيون المبدعون أمثال حنين بن اسحق وابنه، واسرة جيورجيس بختيشوع، وواصل احفادهم هذه المهنة الشريفة فتخرج العدد الكثير من الاطباء المشهورين عالمياً وهنا نذكر ابرزهم للذكر لا للحصر: اديب زياد عطاالله، آرام دوديان، اسكندر عتيشا، بيثون رسام، جميل دلالي، جورج غزالة وسليمان غزالة، وحنا خياط، عبد النور حمو، يوسف جبور، وديع جبوري، نقولا جورح، فوزي انور عزّو، فريد ناسي، زاريه زاكار بريمان، ستافري جبرائيل، بوغوص بوغوصيان، توما حبرائيل هندو، جورج رؤوف اللوس، غانم يعقوب عقراوي، فيلكس يوسف زروق، عبدالله سرسم، يوسف سرسم، ناجي سرسم، بشير سرسم، حتي سرسم، جميل جمعة، روفائيل تبوني، حنا زيوني، يوسف زيوني، خضر فندقلي، يوسف شماس ونضير مطلوب.

ومن الصيادلة: حميد سرسم، داوود صقال، سعدلله صقال، والدكتور نوئيل صقال، والدكتور استارجيان، وفائز تبوني، وكره بيت، ومينر رسام والياس ايوب، والبير جرجيسه، البير رسام...

عاشراً: المحامون ورجال القانون

برز من بين المسيحيين العراقيين رجال قانون اذكياء، ومحامون مبدعون، واغلبهم يشهد لهم التاريخ بمواقفهم الجريئة في المرافعات وكسبهم للدعاوي والقضايا التي كانوا يدافعون عنها، ومن ابرزهم:

http://al-maktabeh.com

يوسف الياس حسّو، جورج جرجي، داوود الصائغ، شاب توما منصور، متي موسى، انطوان شماس، نوئيل رسام، نجيب آدمو، متي خلف، حنا بني، جرجيس سرسم، اسحق بيتون، جبرائيل البنا، عبدالله فائق، نجيب يوسفاني، وعبدالله ليون، ومتي بيثون، وجرجيس فتح الله (المشهور ببوثه وترجماته ودراساته) التي اصدرها كتباً ومقالات. وعبد الجليل برتو ونوري روفائيل...

حادي عشر: الكتاب والأدباء والشعراء

لمع في سماء العراق من الكتاب والأدباء المسيحيين العدد الكبير من الشخصيات البارزة في عالم الثقافة الذين دبجت يراعهم مقالات ونبدأ مع القطع الأدبية الراقية والقصائد الرائعة التي عبّرت عن الظواهر الإجتماعية والاوضاع الراهنة بكلمات معبرة واسطر عميقة في المدلول والتأويل بعالم القصة والمسرحية وغيرها، ومن ابرزهم:

بنيامين ميخا حداد، سليمان غزالة، المطران بولس بهنام، الاب يوسف حبي، المطران لويس ساكو، ميخائيل عواد وأخيه كوركيس عواد، يعقوب افرام منصور، يوسف عبد المسيح ثروت، يوسف فوزي، يوسف متي، يوسف يعقوب حداد، ابراهيم بطرس ابراهيم، ادمون يعقوب سركيس، لطفي الخوري، ليون لورنس عيسابي، بُرده، زهير بهنام بُرده، والشعراء: رزوق فرج سركون بولص، القس يوسف سعيد، الفريد سمعان حنا... وبهنام ميخائيل (كاتب مسرح) وغيرهم كثيرون...

ثاني عشر: الموسيقيون

سطعت في سماء العراق نجوماً مسيحيين في الموسيقى والعزف واشتهروا في الاوساط العراقية والعربية وحتى العالمية، فأثاروا اعجاب الملايين من السامعين لمعزوفاتهم الشجية والعذبة، وخصوصاً على العود والقيثارة والطبلة ثم القانون والسطور، وكانوا اعضاء ومسؤولين بارزين في العديد من الفرق الموسيقية الوطنية عن طريق الاذاعة والتلفزيون وفرقة الانشاء ومن اشهرهم وابرعهم: فائق حنا مروكي (عازف وملحن) وفريد الله ويردي (مؤلف موسيقي) آرام آرميتاك بابوخيان (موسيقي)، سعيد شابو (فنان موسيقي وملحن) غانم حداد (موسيقي، عازف

http://al-maktabeh.com

الكمان والعود) والاستاذ منير مشير (موسيقي مبدع بالعزف على العود) واخيه جميل بشير (عازف بارع على العود) بإسم حنا بطرس (مدير الفرقة السمفونية الوطنية) حنا بطرس (مؤلف موسيقي).

ثالث عشر: الرسامون والمصورون منذ الاجيال الاولى، شجعت المسيحية الرسم والتصوير وخصوصاً على جدران الكنائس وصفحات المخطوطات، فنبغ وبرع عدد كبير من المسيحيين العراقيين بهذين الفنين، ولمع عدد منهم في اللوحات الزيتية والمائية التي أرّخت وقائع حياتية يومية وسجلت بالريشة وآلة التصوير كثيراً من العادات والتقاليد المسيحية والشعبية، ومن ابرزهم للذكر وليس للحصر: هيثم فتح الله عزيزة (فنان متخصص بالصورة الصحفية)، وصبيح نعامة (فنان تشكيلي)، عيسى حنا (رائد فن) فرج عبو (فنان تشكيلي) سامي لالو جحولا (فنان رسم الحياة اليومية والعادات) وسام مرقس السندي (فنان تخطيطي) ارداش كاكافيان (فنان التصوير الفوتوغرافي) كوفاديس اواديس (فنان التصوير الفوتوغرافي) حازم باك (فنان التصويري الفوتوغرافي) حارث يوسف غنيمة (التصوير الفوتوغرافي) بسّام فرج (فنان كاريكاتير) افراج عطالله (التصوير الفوتوغرافي) ماهر حربي (فنان تشكيلي) بهنام بطرس (رسم الطبيعة) هاشم سمرجي (رسم الأغلفة وفن الملصق).

رابع عشر: المؤرخون والباحثون

في العراق ابتدأ التاريخ، ومنه انطلق، وعنه يتحدث، واليه يعود، ولذلك نبغ فيه جيش من المؤرخين الثقاة والمحققين في التراث العام والخاص، اضافة الى التراث الشعبي، ومن بينهم المؤرخون المسيحيون الذين اهتموا خاصة بتاريخ الكنيسة والمجتمع والإعلام والاحداث. ولمع من بينهم العلماء المدققين لقراءاتهم التاريخية وغربلتها للوصول الى الحقيقة في التحليل والاستنتاج، ومن اشهرهم:

الاب اوغسطين مرمرجي الدومنيكي (باحث لغوي)، المطران بهنام قليان (مؤرخ)، المطران ايرما مقدسي (لغوي) المطران توما اودو (باحث لغوي) الفونس منكنا (مؤرخ وباحث) الاب نرسيس صائغيان (مؤرخ ومحقق) الخوري افرام عبدال

http://al-maktabeh.com

(مؤرخ وباحث) البطريرك افرام برصوم (باحث ولغوي ومؤرخ) القس بطرس نصري (مؤرخ) المطران افرام نقاشة (مؤرخ) فرج بصمه جحا (باحث آثاري) المطران اسحق ساكا (باحث ومؤرخ) روفائيل بابو اسحق (مؤرخ وباحث) المطران صليبا شمعون (باحث ومؤرخ) البطريرك زكا عيواص (مؤرخ وباحث) الدكتور مجيد خدوري (مؤرخ وباحث) يونان عبد اليونان (باحث) يوسف الريحاني (باحث) الاب البير ابوتا (باحث ومؤرخ) كوركيس عواد (مؤرخ) ميخائيل عواد (مؤرخ) يوسف يعقوب مسكوني (باحث ومؤرخ) الاب يوسف حبي (باحث ومؤرخ) يعقوب سركيس (باحث ومؤرخ) الخوري عبد الأحد جرجي (باحث ومؤرخ)، يوسف زيا عبو (باحث) يوسف الريحاني (باحث) انيس وزير (باحث) بنيامين حداد (باحث) بيتر يوسف (باحث) انطون صبري (باحث في الفايروسات).

خامس عشر: النساء العاملات

عُرفت المرأة العراقية، ولا سيما المسيحية بحبها للعلم والسعي الى طلبه والاختصاص في ميادينه العلمية والإنسانية والفنية بتشجيع من اخيها الرجل سواء كان أباً أو زوجاً أو أخاً أو ولي أمر. فأرسلها الى المدارس والجامعات، وشجعها للإندفاع والانطلاق في سبيل خدمة وطنها الحبيب العراق وابنائه الميامين، وقد نبع منهن الكثيرات في ميادين الطب والصيدلة والحقوق والعلوم الإنسانية الأخرى ومنهن للذكر لا للحصر: الدكتورة البيرتين ايليا حبوش (باحثة كيميائية) جانيت حبيب توما(باحثة في التمريض النسائي) دنيا ميخائيل (شاعرة) امل ايليا نجار (خبيرة في اليونسكو) بياتريس اوهانسيان (موسيقية وعازفة) الدكتورة خجّة بوداغ يوخنا (باحثة علمية) رنى بشير سرسم (باحثة بعلم الرياضيات) سيرانوش الريحاني (طبيبة) حبيبة بيثون (طبيبة) نور بني (طبيبة) هالة سرسم (طبيبة) فكتوريا مطلوب (طبيبة) الدكتورة باسمة يشوع (باحثة في علم المكتبات) آمال رسام (باحثة في علم الأنتروبولوجيا) عالية رسام (طبيبة) بولينا حسّون (صحافية) مريم نرمة (صحافية) اوديت مارون بدران (باحثة في علم المكتبات) إلهام بشير اللوس (مختصة بعلم المكتبات).

http://al-maktabeh.com

الخلاصة:

كمؤرخ عراقي متواضع، لا بد من وقفة تأمل واستنتاج، فلقد كانت مكانة المسيحيين العراقيين في مجتمعهم كبيرة، ذات اهمية واعتبارات اجتماعية متميزة منذ نهايات العهد العثماني، تبوأوا مناصب خطيرة ومهمة في العهود، وساهموا في كل مؤسسات الدولة، ولم يتوان ابناؤهم من أداء الخدمة العسكرية الإلزامية وبإخلاص ووطنية صادقة. وقد برز من بينهم ضباط استشهدوا في سبيل الوطن والأمة أمثال العقيد اسماعيل هرمز الذي صدر بحقه حكم الإعدام لأنه رفض الخيانة عام 1959، واشتركوا في الحياة السياسية كجزء من إبداء الرأي. فمثلاً عهد إلى العديد منهم مناصب وزارية امثال حنا خياط (الصحة) يوسف غنيمة (المالية) روفائيل بطي (وزير دولة) وبشير سرسم (الصحة). وغدا منهم نواباً مثل رؤوف اللوس وتوفيق السمعاني كما وقام البعض بأدوار معينة في تأسيس أو الانخراط في احزاب عراقية متنوعة الاتجاهات وخصوصاً الحزب الشيوعي العراقي، اذ يقال بأن يوسف سليمان (فهد) مؤسس الحزب الشيوعي العراقي، ومن أبرز الشيوعيين المسيحيين العراقيين جميل توما ونوري روفائيل وكريكور آكوب بدروسيان وثلاثتهم من خريجي الجامعة الأميركية في بيروت. وهناك يوسف الصائغ وداوود الصائغ وآرا خاجادور وكامل قزانجي وابراهيم قسطو (عسكري) وابراهيم عيسو في الحزب الديموقراطي، وغيرهم برزوا في القيادة العراقية لحزب البعث مثل طارق حنا عزيز مع بعثيين قياديين آخرين امثال ممتاز قصير الذي اعدم في عهد عبد السلام عارف وغيرهما.

وعليه – مما سبق – يتوضح لنا جلياً بأن للمسيحيين العراقيين دور كامل في بناء العراق على امتداد العشرين قرناً من ايام اجدادهم البابليين والاشوريين والكلدانيين العرب المسيحيين، سيما في العهد الاموي والعهد العباسي وخاصة في

http://al-maktabeh.com

بناء ونهضة العراق الحديث امام العهد الملكي والجمهوري - كما اسلفنا - بفكر وايدي رجالاتهم وعلمائهم ولغوييهم وكتّابهم ومؤرخيهم حيث برز العديد منهم وبذلك اظهروا دورهم وشراكتهم في التعايش اليومي بينهم وبين مواطنيهم المسلمين بالشراكة الإجتماعية والشراكة السياسية في العراق.

فلا بد من التشبث بالمسيحيين وشدّهم في بلدهم العراق لأن لهم لبنات عدة في صرحه الشامخ بل هم بدايات اساساته والعاملين الفاضلين في تطويره ونهضته فليسوا بالأقلية في ميدان العمل والفعل الفكري والإقتصادي إن لم يكونوا الأكثرية، فالإحصائيات تؤكد لنا ان نسبة المثقفين المسيحيين تبلغ 50 في المئة من مثقفي العراق خصوصاً في صفوف النساء، علماً ان نسبتهم العددية من السكان لا تبلغ 10 في المئة.

المسيحيون العراقيون هم بكل طوائفهم ابناء العراق الحقيقيون يعتبرون من اقدم سكانه منذ ان كانوا جرامقة وسرياناً وكلداناً وآراميين فعلى اخوانهم المسلمين فهم ذلك والعمل على تعميق الأواصر والروابط متضامنين بوحدتهم الحضارية ومتعايشين عيشاً واحداً لتاريخ واحد ورفض الإنشطارات يداوي جميع الجروح بدواء الوطنية الواحدة للوطن الواحد.

فوادي الرافدين استقى ابناءه منها وسرت الأمواه مسرى الدم في العروق والشرايين فصار ابناء الأب واحد اسمه العراق وام واحدة اسمها النخلة.

يا ابناء بغداد والموصل والبصرة، انبذوا الأحقاد والضغائن، فإن كل انقسام يؤدي الى الخراب «كل بيت ينقسم على ذاته لا يثبت».

ان المسيحيين العراقيين يدركون بأن لهم تاريخاً رائعاً من المعايشات اليومية مع كل العراقيين المسلمين والأكراد والتركمان بمختلف الأديان والأطياف والقوميات. وعلى المسلمين ان يدركوا بأن التاريخ لا يكتمل الا مع المسيحيين، فليعتز المسلمين بالمسيحيين والمسيحيين بالمسلمين في كل شبر من ارض العراق الخالدة.

http://al-maktabeh.com

فالبطريركيات والمطرانيات والخورنات والكنائس والأديرة والصوامع المسيحية العراقية هي ثروات لا تفنى بل لا بد من الحفاظ عليها وتشجيع العبادة فيها، الى جانبها المساجد والجوامع والحسينيات، فتكاتف المنابر والمآذن بأبراج النواقيس والصلبان رمز الأخوة والمساواة.

لا بد من خلق عراق قوي يسمو فوق كل التفرقات وان تطوى صفحات التعصب الأعمى المقيت الى رحاب المحبة والتسامح والتعاون «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وكونوا عباد الله اخواناً».

الخاتمة:

إلا أننا في فاتحة الألف الثالث، إستيقظنا على الغزو الأميركي المغولي الجديد الذي إدّعى وبعنجهية وحشية انه قدم إلينا ضيفاً حاملاً الحرية والديموقراطية، واذا بالنصّاب الكبير بوش الرجيم يهدي كيس بابا نويل الصهيوني فيتوزع الخراب والدمار في كل انحاء البلاد، السلب والنهب، الخطف والقتل والتهجير في شكل رسائل علنية ولجميع المواطنين الأحرار.

فإلى كل مواطني المسيحيين العراقيين

هل فهمتم الرسالة؟ يريدون منكم ان ترحلوا، وتتركوا العراق مريضاً يفقد إحدى رئتيه، مشلولاً بفقد نصفه الثقافي والإجتماعي والإقتصادي،

ولكن هيهات

الشعب الأصيل لا يفرط بالأصالة

هل ترغبون ان تزرعون وروداً في ساحات بلدان العالم وانتم ابناء شريعة حمورابي؟

هل تتباهون بأنكم نجوتم من الموت في العراق وتعيشون في بلدان الغرب والشرق أحياء بلا حياة.

http://al-maktabeh.com

صحيح ستجدون العالم جميلاً، والدنيا رفاهية، والبشر فيها مترفين لا يلاحقهم شبح الموت، ولا في عيونهم احزان هابيل وزكريا، يحتفلون بأعياد الميلاد، والميلاد الحقيقي في العراق ميلاد شعب وحضارة.

يا مسيحيو العراق الذين خرجوا عبر الحدود الى الآفاق والمجاهيل، ستبقون انتم كما انتم تحملون في قلوبكم العراق وتلبسون ثوب العراق.

تذكروا ان عالم الغرب والشرق لا يأبه بالذين تملأ الدموع عيونهم وتكسوا الآلام والجراح اجسادهم. ستجدون العالم يا مسيحيو العراق، عالماً ورديا حالماً، بملذات وسهرات وتحقيق الشهوات والرغبات...

لكنكم ستفتقدون «مسكوف» شارع ابو نواس، والسولاف، ولبن اربيل و(باحة) الموصل، وكيمر بغداد، ستتركون كنائسكم حزينة، وأديرتكم كئيبة، كنيسة الميدان، ودير مار بهنام، والطاهرة والسيدة. ستتركون تاريخكم المجيد ذاهلاً ومحتاراً، ستحملون العراق معكم والعراق حمل ثقيل، الوطن سيبقى وانتم ترحلون عنه بعيداً بعيداً. فتجذروا في تربتكم الحلوة الخالدة، اثبتوا، اصمدوا واتحدوا، وكونوا جبارين يا احفاد الجبابرة...

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

اخوّة ومحبة وتسامح

مقدمة:

الله اخوة ومحبة وتسامح «احبوا بعضكم بعضاً... احبوا اعداءكم، باركوا ولا تلعنوا... صلبوا من اجل الذين يضطهدونكم.. ما من حب اعظم من هذا ان يبذل الإنسان نفسه عن احبائه».

بهذا الدفق من الشعاع فاه السيد المسيح في سمع الدهر. وردّد صدىً لنجواه الرسول محمد بقوله: «الخلق كلهم عيال الله، احبهم اليه انفعهم لعياله» ليكون من بينها، اذا استحالا في ذاتية البشر فعل ايمان، ينابيع «على الأرض السلام وفي الناس المسرّة».

توقع اجراس ابن مريم البتول، انشودة الآذان لإبن آمنة محمد، الحاناً تدفع البشرية جمعاء الى دنيا في انحائها تراجيع «حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح».

والدين العقيدة في مكنون يعني العقد والإلتزام. فأرادت الديانات ان توحّدنا في الله. فاختلفنا عليه، وطفق كل فريق على ان يدخله جاهداً في ملكه، ولكن رويدكم يا هؤلاء، فإن الله لأقدس وأجلّ وأكبر من ان تتناولوه بعقلية الثروة والسلعة والمتاع.

سمت نفس ابن عربي الصوفي الأشهر يوماً الى المطلق الأسمى، فقال يصوّر لنا سريرة قلبه بين حالتين بقوله:

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي ... اذا لم يكن، ديني الى دينه داني
فقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوهام وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
اديـن بدين الحب اني توجّهت ... ركائبه، فالحب ديني وايماني

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

الحوار والعيش الواحد

فكرت طويلاً قبل البدء بكتابة هذه الكلمة. في المنهج الإصلاح لمعالجة هذا الموضوع الشائك الصعب، لكثرة المسلمات المتناقضة لدى الأطراف المختلفة، فيما يتصل به. ذلك ان عيش المسلمين مع ابناء الديانات والثقافات الاخرى تجربة تاريخية عريقة ضمن النطاق العربي وضمن النطاق الإسلامي. هذه التجربة التي انتهت جوانبها القانونية بسقوط الدولة العثمانية، والتي كانت تجربة غير ناجحة للعيش الواحد لارتباطها بالصغار والتمييز في القيمة الإنسانية، وفي حقوق الفرد والجماعة، وهي الحرية بمعناها الإنساني العميق.

وعليه لا بد من الحوار والعيش الواحد اللذين بينهما رباط عفوي. فالحوار من شأنه ان يؤكد نقاط التلاقي بين الديانات. والعيش الواحد يبرهن على الأخوّة والمحبة والتسامح بخلق مجتمع جديد يصبو نحو تحقيق عيش افضل وأرقى.

ان البحث في تعديل النصوص واصلاحها والتي نعيش في ظلها، وتطبيق شرعة حقوق الإنسان والمواطن والحفاظ على تقاليد القيم الروحية والأخلاقية، كل ذلك هو أمر له قيمته، إنما ما هو أهم من النصوص، وأكثر فعالية، هو تفهمها وتطبيقها المشترك...

ومن البديهي، أن العيش الواحد الذي نسعى إليه، لن تكتب له الحياة، ويرجى له البقاء أن لم يرتكز وينطلق من الحوار الحر الذي يعتمد تبادلاً صريحاً ورصيناً للحجج والآراء، سيوصل حتماً الى معرفة بعضنا بعضاً بعمق وشمول. فلقد قيل قديماً وبحق: «الإنسان عدو ما يجهل» فهل أستطيع أن أعيش مع جاري اذا لم أتعرّف عليه وأزوره وأجاوره واتحسس مشاعره واشاطره الأحزان والأفراح؟ فهيا اذن الى

http://al-maktabeh.com

حوار الصدق والمحبة. يبدأ بين الأفراد، ثم يمتد الى الأحياء والقرى والمدن، ليشمل بقافيته وروحانيته أخيراً سائر المواطنين جميعاً.

ولكن من المحال أن نتحاور بمحبة ونعيش بسلام، اذا لم نؤمن بالأخوّة في الوطن الواحد بما لسوانا من حق عندنا وعلينا مرددين قول الشاعر:

ما دمت محترماً حقي فأنت أخي آمنت بالله أم آمنت بالحجر

وقبل البدء بتحديد الموقف من العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، أريد أن أبيّن أبعاد العبء الثقيل الرازح على أكتافنا من جرّاء تاريخنا وحاضرنا ثم أعرض مبادئ النظرة السليمة للحوار الإسلامي – المسيحي قبل أن أنتقل في مرحلة أخيرة إلى إستخلاص النتائج بالنسبة للعمل المشترك الواجب إنجازه في مستقبل مشترك تسود فيه القيم الإنسانية.

الأعباء الصعبة

1 – عبء التاريخ:

من الأعباء المضنية التي تقف حاجزاً دون القيام بحوار إسلامي – مسيحي مثمر هو عبء التاريخ.

إن تاريخ العلاقات بين المسيحيين والمسلمين في القرون الماضية، لم يكن في الواقع تاريخ اخوّة تربطهم بعضهم ببعض أواصر القربى والمودة. ان هذا التاريخ كان قبل كل شيء تاريخ نزاع طويل وصراع كان يشتد عنفاً من وقت الى آخر، وذلك على رغم تكييف العلاقات الثقافية بين الطرفين بما فيها تبادل العلم ومقوّمات الحضارة، وتوثيق العلاقات الاقتصادية.. (أذكر منها هنا على سبيل المثال نشاط دار الحكمة في بغداد وجلب مخطوطات الفلسفة اليونانية والعلم الهليني من القسطنطينية وحركة الترجمة، ثم حمل الحضارة الإسلامية الى اوروبا من طريق ايطاليا والاندلس).

http://al-maktabeh.com

أما النزاع السياسي فكان له في بعض المراحل أثره السلبي، في النقاش العلمي والجدال الديني، محولاً هذا الجدال ميداناً للتهجم على الخصم ودفع عقائده ومقومات ايمانه، والحكم عليها بالضلال البعيد والعبث الفكري.

وكان هناك في كثير من حقبات هذا الماضي انزلاق من السماحة الى الطغيان الباغي، ومن البحث عن الفهم والتفاهم الى القضاء والحكم والإدانة.

وكان هناك أيضاً تحوّل من البحث عن العناصر الفكرية والعقائد الدينية والقيم الأخلاقية والشرائع المسلكية المشتركة بين المسيحية والإسلام، الى التركيز على نقاط التناقض بين الدينين والإختلافات بين انظمتها الإجتماعية.

2 – عبء الحاضر:

إن عبء الحاضر الذي يثبّط المحاولات الرامية الى تنشيط الحوار الإسلامي – المسيحي والعيش الواحد، يتعلق بغموض المواقف المختلفة في العلاقات الدولية ومغيبات المستقبل، ما لا يشجّع على اكتساب السكينة العاطفية والصفاء الفكري اللذين لا بد منهما لمن يشتغل بقضية الحوار الإسلامي – المسيحي.

فهناك ظواهر تسيء الى العلاقات الإجتماعية بين العالم الإسلامي والعالم الغربي. وهذه الظواهر مؤداها ان العالم الإسلامي في اطار تحرّك نشاط الأصوليين، تنشر صورة عنه في الغرب وكأنه هو الخطر الأول على السلام وعلى مستقبل البشرية. هذه الظواهر مؤداها أيضاً من الناحية الأخرى ان الغرب بدوره تنشر عنه صورة في العالم الإسلامي وكأنه مجتمع منحط منهار معدوم الأخلاق ويشكل خطراً على العالم الإسلامي وثم هناك الخطأ في المفاهيم الذي لا يزال يجعل الكثير من المسلمين يساوون بين الغرب والمسيحية، وينسبون سلوك الغرب الى الدين المسيحي، من دون ان يدركوا انه تم انفصال بين الدين والدولة في الغرب وذلك من زمن بعيد فالغرب ليس فيه من المسيحية نظام سياسي – مسيحي. غير ان جذور القيم الاخلاقية التي ما لبث الوجدان الغربي يحترمها هي متأصلة في التراث المسيحي.

http://al-maktabeh.com

ومن هنا جعلنا بحثنا على محورين:
الاول: الاسلامي – المسيحي.
الثاني: العيش الواحد في مجتمع جديد

اولاً: الحوار الاسلامي – المسيحي

«تعني لفظة حوار» الوقوف معاً، في سبيل معرفة بعضنا بعضاً، وفي سبيل تفاهم وصداقة ومحبة. فهذه هي سنّة الحياة الحقة، اذ ان الانفتاح يغني الشركة واللقاء والمعايشة، والانغلاق يعني الموت.

يقوم الحوار بين مختلف الأديان على قيم دينية، جوهراً. وجعل هذه القيم أمراً مشتركاً يمكن من مقارنة اختبارات سائر الأطراف، ومن خلق تفاهم متبادل، انما يعني، غالب الأحيان، ان نعزز معاً اهداف تحسن اجتماعي مشتركة.

إن الحوار كما نفهمه نحن المسيحيون، ويفهمه معنا اخواننا المسلمين لأمر ايجابي، جوهراً يحاول ان يكون بعيداً عن الجدل العقيم. وما اروع كلمة سيفن نيل: «لا يمكن ان يقوم حوار فعلي بين الديانات الأخرى ما لم يقارن أفضل ما في الواحدة مع أفضل ما في الأخرى».

إنه لمن الطبيعي أن يجري الحوار بروح الإحترام المتبادل الكلي لمعتقدات الآخرين وآرائهم. فلسنا نحن والآخرون في مقارنة لنتخاصم بل لنتعارف ونستنير بعضنا ببعض.

من الضروري اقامة الحوار بمحبة، لا بل نقول بفرح متبادل في الإصغاء الى ايمان الآخر دون التخلي عن إيماننا اصغاء مليئاً بروح الصراحة والإستقامة، فإننا نجد في مجتمعات البلدان والأديان والأسر أمثلة بالغة الدلالة عن روابط محبة واحترام تقوم أيضاً بين أناس مختلفي الإعتقادات.

فالحوار يجب أن يكون بعيداً عن أي لون من ألوان التعصب. فمن الواضح ان

http://al-maktabeh.com

كل دين لا بل كل مؤمن ينتمي الى دين يتمتع بالحرية في العمل في سبيل جعل الآخرين يقبلون ايمانه، فمن الحكمة المشتركة ان يكون جميع المؤمنين اصدقاء او متساوين أو ساعين الى الصداقة والمساواة... وفي النهاية ان الحوار علمي أكثر من نظري، يتم على مستوى القلوب أكثر منه على مستوى العقيدة حتى وان ادّى دائماً الى العقيدة...

وهكذا، استشراف العناصر والمقدمات للحوار بين المسيحية والإسلام يبلغ بنا الى معرفة وتعارف، هما وحدهما يوصلان الى اتفاق على صيغة للعيش المشترك، ذلك ان الأمور المشتركة بينهما تشكل الأساس الذي ترتكز عليه علاقات الأخوة والمحبة والتعاون مع التسامح، ونقطة انطلاق لبناء عيش مشترك.

نحن اذن مدعوون في هذا الزمن الصعب لخلق ذهنية جديدة، فلا يتوقف الحوار بين المسيحية والإسلام عند الأمور المختلف فيها بين الديانتين، وإلا بقيت المسافات بيننا في الوطن، فيما العالم يسعى الى ازالة المسافات بين البلدان. بل الهدف من الحوار في هذا العصر - وقد اشرفنا على نهاية الألف الثاني لندخل في الألف الثالث - هو إبراز الأمور المشتركة. وبالتالي ازالة الإلتباسات والافكار الخاطئة لدى كل من الطرفين حول عقائد الطرف الآخر، بغية الوصول والتوصل الى احترام متبادل والى قبول الآخر كما هو، في غيريّته. والى ارادة التعاون لكي يحقق كل واحد الصيغة الإنسانية التي تميّزه، وتجعل منه ما هو.

معلوم ان المسيحية والإسلام ديانتان مختلفتان وستبقيان كذلك، فلا بد لنا من الإعتراف بواقع الإختلاف العقائدي وبالحق في الإختلاف، لأن كل منهما يستند الى كتاب لديها تعتبره مقدساً، وترتكز عليه لتؤكد صحة عقائدها.

نفهم من هنا، ان المسيحية والإسلام طريقان متنوعان يقودان كلاهما الى الله الواحد، وبالتالي الى القيم التي تبني انسانية الأفراد والجماعات.

هذه هي الذهنية الجديدة التي لا يقول احد منا معها بعد اليوم، ان دينه هو وحده الدين الصحيح، والآخر على ضلال بيّن انها ذهنية تعرض علينا سلوكاً جديداً يمنعنا من الاستمرار في خطأ العصور السابقة، الا وهو التفكير المتبادل وتقتضي

http://al-maktabeh.com

منّا العصور نظرة جديدة منفتحة على الآخر، ينتج منها الإحترام المتبادل والمحبة المتفهمة لحق الآخر في ان يكون مختلفاً في تصوراته العقائدية لله، وهكذا نعيش وحدتنا في التنوع، فلا يسعى احد منا الى ازالة الآخر او حرمانه من حقوقه في المساواة التامة في الإنسانية وفي الدولة.

هذا هو النهج الذي تسير فيه الكنيسة وقد اعلنته رسمياً في المجمع السكوني الفاتيكاني الثاني في الوثيقة المقروفة «بيان في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية» حيث يقول آباء المجمع:

«ان الكنيسة، في مهمتها الرامية الى تعزيز الوحدة والمحبة بين الناس، بل بين الشعوب، تنظر ههنا في ما هو مشترك بين الناس، يحدوهم على ان يحيوا مصيرهم المشترك».

ثانياً: العيش الواحد

نقسم الكلام هنا الى قسمين: الاول حول الاحكام الاسلامية في حقوق المسيحيين (اهل الذمة) في الدولة الاسلامية منذ نشوئها في عهد الخلفاء الراشدين، والى يوم سقوط الدولة العثمانية التي كانت تحكم الرقعة الكاملة للوطن العربي حيث يعيش المسيحيون الى جوار المسلمين.

وهذا أيضاً لا أريد التوسع فيه هنا لأنه معروف وقد درسناه أغلبنا في كتب مادة التاريخ المدرسية الخاصة والعامة، انما مجرد التذكر والمذاكرة اذ قد توسعت فيه وبإسهاب مشهور في البحث الكامل المرفق مع هذا الموجز، فأقول:

لقد اباح الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم من خلفاء بني امية وبني العباس استناداً الى القرآن الكريم والأحاديث بإعطاء الحقوق السياسية، لكافة اهل الذمة بحرية الرأي والاجتماع في كنائسهم ومعابدهم والقيام بشعائرهم الدينية وما يترتب على ذلك من مناقشة اوضاعهم وحل مشاكلهم في ما بينهم بجو من الحرية التامة

http://al-maktabeh.com

على ان لا يسيئوا استعمالها بإثارة الفتنة او التحريض على العصيان او الردّة او الدعوة الى التشكيك في العقائد الإسلامية.

هذه الحقوق قد اقرّها الاسلام لأنه سمح للمسلمين بمناقشة آرائهم الدينية وعقائدهم بالحسنى فقال القرآن:

«ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن» (سورة العنكبوت: 46). وقد اعترف الرسول بحقوقهم هذه وجعلهم على قدم المساواة مع المسلمين في الحقوق والواجبات فقال: «(...) فأعلمهم ان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين» (الكاساني: بدائع الزهور ج7 ص 100).

كذلك اعطى الاسلام الحقوق الدينية لأهل الذمة في ممارسة شعائرهم الدينية مستوحين هذه السياسة من القرآن القائل: «لا اكراه في الدين» (سورة البقرة: 256) فسمح لهم اقامة شعائرهم وطقوس عباداتهم، ويتجلى هذا التسامح في العهود والمواثيق التي اعطاها الرسول والخلفاء والامراء والقادة لأهل الذمة. مع الحرية المطلقة في ممارسة هذه الطقوس في المدن والقرى، وان اختلف الفقهاء في كيفية ممارستها واقامتها.

وأيضاً بلغ من اهتمام الرسول والخلفاء بمصالح أهل الذمّة ورعاية حقوقهم والإشراف على أحوالهم ما دفعهم الى تمكينهم ومساعدتهم في أحوالهم المعيشية، فأباحوا لهم التمتع بموارد الدولة المالية ومرافقها العامة، ومشاركتهم للمسلمين بها فقال الرسول: «الناس شركاء في الماء والكلأ والنار» (ابو عبيدة، الأموال) ولذا فقد ضمن لهم من موارد بيت المال في حال الحاجة والعجز لأنهم من رعايا الدولة الإسلامية. وقد اوجب الرسول على الخلفاء ضرورة الإشراف على احوال الرعية، وان الامام مسؤول عن رعيته فقال: «فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته» (الزيلعي في تيسير الوصول ج 2ز اخرجه كتب الحديث الخمسة عدا النسائي). وقد اوصى القرآن بحسن معاملتهم فقال: «ان الله يحب المحسنين» (سورة آل عمران: 134).

http://al-maktabeh.com

كذلك ضمن الإسلام ومنح حقوق أهل الذمة في العمل والوظائف في الدولة الاسلامية حيث اطلق لهم حرية العمل في الحياة الاقتصادية والمساهمة بالأعمال المختلفة التي يرغبونها من تجارة وصناعة وحرف كالمسلمين إلا الربا فهو محظور عليهم كالمسلمين. كما منعهم من بيع الخمور ولحم الخنزير في أمصار المسلمين او ادخالها على وجه الشهرة والظهور، الا ان يبيعوها في قراهم، وامصارهم في ما بينهم، ولو كان فيه مسلمون (السرخسي ج2 والكاساني ج7).

وقد اجاز الفقهاء مشاركة المسلم الذمي والعمل معه على أن يلي المسلم البيع والشراء، فقد قام الرسول بأعمال البيع والشراء والرهن مع أهل الذمة (ابن القيم في الأحكام اهل الذمة).

وقد استخدم حكام المسلمين أهل الذمة في وظائف الدولة المختلفة مع العلم أن وظائف الدولة ليست حقاً للفرد على الدولة انما هو تكليف تكلفه به الدولة اذا كان اهلاً لها، وواجب يقوم به الفرد اذا عهد اليه بها. (زيدان، احكام الذميين) وقد اجاز الفقهاء لأهل الذمة تولي الوظائف بالدولة ومنم الماوردي وابو يعلي والحسن البصري. فقالوا: (يجوز للخليفة ان يولي وزارة التنفيذ لأهل الذمّة).

إضافة الى حقوق زوجة المسلم النصرانية، وحق السكن وحق الضمان، وحق الإرث وحق التقاضي وحق الكسب وغيرها، مع فرض الواجبات كالخراج والجزية والخرزة والعشور وغيرها.

أما القسم الثاني، وهو العيش الواحد الحالي الحاضر الذي نعيشه اليوم مع اخواننا المسلمين في الوطن الواحد فلا بد من وقفة لإعطاء الموضوع حقه لأهميته.

أ – التثقيف المتبادل:

إن الكنيسة الكاثوليكية تنظر بعين الإعتبار الى الإسلام، ولذلك تحضّ المسيحيين على ان يكتسبوا معرفة اوسع وتقديراً اكبر للدين الاسلامي، وهذا يهمّ بطريقة خاصة رجال الدين الذي لهم، بداعي عملهم الديني، علاقة وثيقة بالإسلام والمسلمين. وهذه

http://al-maktabeh.com

اعتبرها الخطوة الأولى للسير معاً في طريق العيش الواحد ان لم أقل اللبنة الاولى لترسي في اساس بناء مجتمع جديد تسوده المحبة والاخوّة والتسامح.

ولذلك يقرر المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في وثيقته «عمل الكنيسة الرسولي» الى تثقيف الكهنة العلمي عليه «ان يتوافق من بادئ الامر مع طابع الكنيسة الجامعة وطابع الاديان المغاير. وهذا المبدأ ينطبق على جميع المواد المدروسة التي تعدّهم لخدمتهم المستقبلية كما ينطبق على سائر العلوم التي يفيد تدريسها لكي تحصل لديهم معرفة عامة للشعوب الاسلامية، وثقافاتها ودينها، ومعرفة لا تشمل الماضي فقط بل الحاضر أيضاً، لأن من يريد ان يتصل بشعب آخر، يجب عليه ان يحترم تراث هذا الشعب وعاداته ويقدّره، ثم فإن هذه المواد التثقيفية يجب ان يضاف اليها في البلاد المختلفة ما يسهّل التعمق في تاريخ الشعوب ونظم مجتمعهم وعاداتهم، ومن اكتساب معرفة اوسع للنظام الاخلاقي والشرائع الدينية والمفاهيم التي كوّنت في تقاليدهم المقدسة حول الله والعالم والإنسان.

ب – العيش الأخوي في مجتمع واحد:

ان تطور العلاقات بين المسيحيين والمسلمين يمكنه ان يوضح مدى تغيّر موقف الكنيسة، وتحوّله من الاشتغال بالدحض والتفنيد، الى التقدير والإعتبار.

لقد كانت حصيلة الآراء في الاسلام مدى العصور الماضية التي اقرّت في الكتب والمنشورات المسيحية، سلبية وكذلك الكتب الاسلامية عن المسيحية. اما المجمع الفاتيكاني الثاني فيحضّ المسلمين بكلمات تختلف في طابعها ومحتواها عمّا صاغته الأجيال السالفة، وتحاول ان تكون عادلة مع المسلمين، وكذلك العكس صحيح اذا ما قرأنا ماذا في ادبيات المسلمين الحديثة حول المسيحية والمسيحيين.

وقد صرّح المجمع الفاتيكاني الثاني أيضاً: «ان الكنيسة تنظر بتقدير الى المسلمين الذين يعبدون الله الأحد الحي القيّوم، الرحيم القدير، خالق السموات والأرض، الذي وجّه كلامه الى البشر، وانهم يسعون في الخضوع بكل نفوسهم

http://al-maktabeh.com

لأحكامه الخفية كما خضع ابراهيم لله الذي ينتمي اليه الايمان الاسلامي بطيبة خاطر... وعلى ذلك فإنهم ينتظرون يوم الدين الذي فيه سوف يبعث الله الناس وسيجازيهم. ولذلك يشدّون على السلوك الاخلاقي ويعبدون الله خصوصاً بالصلاة والصدقة والصوم».

ان العناصر المشتركة في الايمان والقيم بين المسيحيين والمسلمين يعتبرها المجمع اساساً كافياً يبرر دعوته الموجهة الى المسيحيين والمسلمين في ان ينبذوا جانباً شقاقهم وعداواتهم، ويسعون في تحقيق تفاهم صادق بينهم، ويعملوا معاً على صون العدل الاجتماعي والقيم الاخلاقية ودعمها وعلى اقرار السلام والحرية لجميع البشر.

ج – الانفتاح للعيش الواحد:

نظراً الى العناصر المشتركة في الحقيقة والخير بين المسيحية والاسلام، يحبذ المجمع الفاتيكاني الثاني اللقاء مع المسلمين والعيش معهم، لقاء يرتكز على موقف جديد، أي على الاستعداد للعيش المشترك بعد الحوار الاخوي، والتعاون في شتى المجالات. ومثل هذا العيش لا يجري في اتجاه واحد، بل هو تبادل من جهة الطرفين اللذين هما في الوقت نفسه سامع ومخاطب، متقبّل وناقل.

وهذا يعني ان المواطنين جميعاً مسلمين ومسيحيين يجب ان يكونوا مستعدين ان يتلقنوا الواحد من الآخر، ويتعايشوا ويعملوا في ميدان واحد بحسب القيم الاخلاقية والحقيقة الكامنة في الخير المشترك. اذ ان جميع قيم الحقيقة والخير اينما وجدت هي آثار عمل الله وعمل روحه القدوس في حياة البشر. وهكذا يمضي المواطنون معاً في التماس وجه الله، الذي هو إله جميع البشر، وفي البحث عن الحقيقة الكاملة الحيّة هذا يقود الى الاعتراف بتكامل نسبي لجميع مظاهر عمل الروح في البشر وفي التاريخ. وهكذا يمكن المسيحيين ان يلاقوا المسلمين بانفتاح كبير وبرغبة في اكتشاف مظاهر عمل الروح القدس، آملين ان يكتشفوا ابعاد حقيقة المسيح الشاملة، وملامح الشامل الواسع الذي هو من مميزات دين الله الذي هو دستور الحياة اليومية والعامة في المجتمع الواحد بسائر مظاهره واتجاهاته.

http://al-maktabeh.com

د – الاحترام ومحبة الحقيقة:

انه من السهل التكلم عن هذا كله من ان نقوم به في الواقع العملي. وليس العيش الاخوي المشترك، بمهمة سهلة، اذ انه يفرض انفتاح الذهن وطواعية القلب. والى ذلك، يجب على المتعايشين الاّ يحصلوا على معرفة وافية لدى الآخرين. وليس أمر العيش أو الحوار قائماً بتبادل المجاملات، بل انه أمر جدّي يفرض الإنفتاح والمودة، ولكنها مودّة واعية، تقبل بما تراه حقيقة وخيراً، وتوجه الافتقاد الى ما تراه بعيداً، هي مودّة مرتكزة الى الامانة ليقين دينها، وهكذا فإن العيش الواحد اساسه الامانة للذاتية الخاصة، والانفتاح على الآخرين.

هـ – العمل المشترك والتعاون:

ثم ان العمل المشترك والتعاون مهمة كبيرة تسترعي انتباه المؤمنين. ان إحلال السلام والعدل في المجتمع وتوثيق التضامن بين فئات المجتمع الواحد وبين الشعوب في العالم وصون الطبيعة والبيئة ومواجهة التقنيات الجديدة التي تهدد بالتسلط على الإنسان والطبيعة، قضايا تهم جميع الشعوب.

ان الحوار والتعاون على العمل المشترك يشجعان على الانفتاح والتقارب، ويمكّنان المسيحيين والمسلمين من ان يختبروا انتساب جميع البشر امام الله بعضهم الى بعض، وتضامن جميع الناس مع جميع الناس اي ان يختبروا اخوّة البشر الشاملة.

و – مستويات العيش الواحد:

هناك حوار الحياة حيث يعمل الناس على ان يعيشوا بروح انفتاح وحسن جوار، مقتسمين افراحهم واحزانهم ومشاغلهم الإنسانية.. وهناك حوار اعمال حيث يتعاون المسيحيون والآخرون في سبيل تنمية كاملة وتحرر للإنسان غير منقوص.

وهذان الشكلان يقابلان ما نسميه «العيش الواحد» وهما يعبران عن ارادة البلوغ الى ما يسميه المجمع الفاتيكاني الثاني «الحوار الاخوي» مع المسلمين، والى عيش مشترك تسوده علاقات صداقة وولاء بين المسيحيين والمسلمين. فإن صلات

http://al-maktabeh.com

الحياة اليومية والإلتزام المشترك بالعمل تفسح المجال معاً على تعزيز القيم الإنسانية والروحية المشتركة بين الإسلام والمسيحية.

ومثل هذا الحوار على مستوى الحياة والأعمال المشتركة أي في نطاق العيش الواحد يشدد على أهمية «التنمية التامة والعدالة الإجتماعية وتحرير الإنسان» كما تصرّح به وثيقة المجلس البابوي، ولذلك تجدد الوثيقة موقف المسيحيين في اوطانهم المختلفة بأنه التزام بمجمل التنمية والعدالة وتحرير الإنسان في شكل مجرّد ودونما أي تحيّز. وعلى الجماعات المسيحية أن تجنّد طاقاتها في سبيل حقوق الإنسان وان تجاهر بمتطلبات العدالة وان تندد بالمظالم ليس فقط عندما تطال ابناءها ولكن في غير نظر الى الانتماء الديني لضحاياها. يجب ان يتكاتف الجميع ليحاولوا ان يحلّوا المشاكل الصعبة التي يواجهها المجتمع والعالم اليوم، وليشجعوا التربية على العدالة والسلام.

ز- الثقافة:

وتلفت وثيقة الفاتيكان النظر الى مجال خاص يجب الإنتباه إليه في علاقة المسيحيين بالمسلمين وهو مجال الثقافة.

وهنا تقوم الوثيقة بتحليل علاقة الدين بالثقافة، وهدف الحوار والعيش الواحد بين المسيحيين والمسلمين في شرقنا العربي المرتكز في مجمله على الثقافة الاسلامية والمشبّع من القيم التي تفتحت في هذه الثقافة بل أيضاً لأهميته في تطوير العلاقات بين الشرق العربي والعالم الاسلامي من جهة، والبلاد القائمة على التراث المسيحي من الغرب مثلاً.

أود أن أعرض النقاط المهمة التي يحويها تحليل الوثيقة الفاتيكانية والارشادات التي توجهها الى المسيحيين في هذا الصدد. تقول الوثيقة: «ان مفهوم الثقافة اوسع من مفهوم الدين... وقد ساهمت الأديان مساهمة حقيقية في تقدم الثقافة وبناء مجتمع أكثر إنسانية».

مسألة علاقة الثقافة بالدين، مسألة متشعبة.. لأن اديانا عدة تستطيع ان توجد في

http://al-maktabeh.com

اطار ثقافي واحد، كما تستطيع الديانة الواحدة أن تجد مجالاً للتعبير عن ذاتها في أطر ثقافية مختلفة. وقد تستطيع فوارق دينية أن تؤدي إلى ثقافات في منطقة واحدة...

في الحوار اليقظ يمكن الإنسان أن يعرف ويتقبّل القيم الثقافية التي تلائم كرامة الإنسان ومصيره السامي. وهنا تظهر أهمية الحوار بين المسيحيين والمسلمين على صعيد الثقافة. فهذا الحوار الثقافي انما «يهدف الى التغلّب على التوترات والنزاعات لا بل المواجهات المحتملة بمزيد من التفهم بين بعض الاتجاهات المختلفة في ثقافتنا المشتركة. وهذا الحوار يمكنه المساهمة في تطهير الثقافات من كل عنصر يقام فيها انسانية الإنسان فيكون هكذا عامل تحوّل. ويمكنه أيضاً أن يساعد على تعزيز قيم ثقافية تقليدية يهددها ما قد يكون في كل تدويل غاشم من تحديث أعمى».

وهنا نصل الى حوار التبادلات اللاهوتية حيث يعمل أصحاب الإختصاص على تعميق الفهم للعقيدة الدينية والتراث الديني لدى كل من المسيحيين والمسلمين، وتقدير القيم الدينية والروحية الخاصة بكل منهم تقديراً متبادلاً.

ومثل هذا الحوار في العقيدة يقتضي من علماء المسلمين واللاهوتيين المسيحيين موقفاً متزناً كما توضح الوثيقة نفسها «عليهم ألا يكونوا مغفلين ولا شديدي الإنحياز الى النقد بل أن يكونوا ذوي انفتاح وحسن تقبّل. فالتجرد والانصاف، وقبول الفوارق، بل التناقضات الممكنة هي مبادئ الحوار السليم. ثم ان الوثيقة المذكورة تشدد على ان هذا يعني ان عمل الله في حقيقته الشاملة وخيره السامي قد تتضح معالمه في شكل من الاشكال لمؤمني الدين الآخر.

وفضلاً عن ذلك فإن كمال الحقيقة تلقّاها المسيحيون بحسب إيمانهم، أو مسلمون بحسب معتقدهم لا يعني أن مؤمني هذا العصر من الدينين قد استوعبوا هذه الحقيقة بجميع معطياتها وابعادها وتفرعاتها. ان البحث عن الحقيقة أي في النهاية، البحث عن الله – عملية لا نهاية لها، لأن الله لا تسبر اسراره ولا توصف أبعاده وصفاً تاماً، فهو العلي المتعالي، وابتغاؤه مشروع لا ينتهي.

http://al-maktabeh.com

ثم أن الحوار في العقيدة لا يرمي في هدفه الاخير الى التوفيق الشامل بين العقائد المختلفة والاقتناعات المتناقضة بين المسيحيين والمسلمين. فالتحاور عليه أن يحترم أمانة المتحاور معه لدينه الخاص. ان الحوار يساعد على التغلّب على اشكال سوء الفهم وسوء التفاهم التي تراكمت عبر القرون، وعلى ازالة الاحكام المسبقة المرتكزة غالباً على عدم المعرفة والتسرع في الحكم. وهكذا بالحوار الرصين وتبادل الفكر الناضج والبراهين المحكمة والاعترافات التي تبحث عن مزيد من الفهم والمعرفة يمكن لأصحاب العلم من المسلمين والمسيحيين ان يصلوا الى تحديد دقيق لعناصر الاتفاق ومواضع الاختلاف في العقيدة بين المسيحية والاسلام».

وهناك أيضاً نتيجة لا يستهان بها لهذا النوع من الحوار الرصين الصافي وهي انشاء جو تفاهم واستعداد للتقرّب بين المحاورين وكثير من الاحيان تنشأ بينهم مودة وصداقة واخوّة. وهذا ما اختبرته انا شخصياً في مدة قضيتها في الحوار مع بعض المسلمين تزيد على عقد من الزمن، وبالتالي ينتج عن ذلك تمهيد واسع وعميق لإنشاء مجتمع تسوده المحبة والاخوّة والتسامح.

وهكذا ينتج من عناصر العرض السابقة منهاج جديد للعلاقة بين المسيحيين والمسلمين في العالم وفي كل بلد ومنها عراقنا الحبيب. ومنهاج جديد للتعاون بينهم للبلوغ الى هدف مشترك.

http://al-maktabeh.com

توصيات:

الشهادة المشتركة للإيمان بالله، في علم تهزّه أزمات الفكر والعقل والقلب وتهدد بابعاده عن الله وعن نظامه في خلقة.

العمل على إقامة العدل في المجتمع وفي علاقة البشر بعضهم ببعض، اذ ان العدل في نظر المسيحية والاسلام هو قوام المجتمع وقاعدة السلام.

العمل على اقامة الرفق والرحمة في معاملة الافراد وفي بناء المجتمع والتضامن وهذه مهمّة يعلق عليها الدينان أهمية كبرى.

العمل على اقامة المحبة والاخوة بين البشر كافة لإنشاء مجتمع إنساني منفتح تذكّر فيه المحبة جميع الناس بمحبة الله لهم.

العمل على اقامة مجتمع متضامن منفتح للجميع ويعمل بدوره على ايجاد عالم متضامن للجميع.

تشكيل لجان خاصة تنبثق من هذا المؤتمر للبدء في مباشرة الحوار ووضع اسسه الأولى بلقاءات دورية متواصلة لبناء المستقبل القوي السليم، مستقبل الجميع، بالتضامن مع الجميع، وهذا ما اثبته السيد المسيح بقوله: «افعلوا بالآخرين ما تريدون ان يفعل الآخرون بكم»، وهذا ما قال الرسول محمد في حديث معروف: «لا يؤمن احد حتى يريد لأخيه ما يريد لنفسه».

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

اسرائيل ليست صاحبة حق في الأراضي المقدسة

اسرائيل في اعتدائها الأثيم على أرض فلسطين، وعلى القدس تزعم بأنها صاحبة حق في الأرض المقدسة، وهي في هذا تتجاهل أن الله الذي منحها تلك الأرض في وقت ما هو بعينه الله الذي طردها منها بسبب شرّها وظلمها وتعدياتها وعصيانها على الله وعلى وصاياه المقدسة. وقد ورد في سفر الملوك الأول، ما نصه:

«وإن انقلبتم انقلاباً أنتم أو بنوكم ولم تتبعوني، ولم تحفظوا وصاياي وعهودي التي جعلتها أمامكم، وانطلقتم وعبدتم آلهة أخرى وسجدتم لها. أبدتّ إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم، والبيت الذي قدّستُه لاسمي أقلبه من بين يدي، ويكون إسرائيل مثلاً وحديثاً في جميع الشعوب. وهذا البيت يكون عبرة، وكل من يمرّ به، يتعجّب ويصفر ويقول: لماذا صنع الرب هذا الصنيع بهذه الأرض وهذا البيت. ويقولون: لأنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر. وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها. لذلك أنزل الرب بهم هذه البلايا كلها». (ملوك أول 9: 6 ــ 9).

وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني ما نصه:

«وإن عدتم وتركتم رسومي ووصاياي التي جعلت بين أيديكم، ومضيتم وعبدتم آلهة أخرى وسجدتم لها فاني اقلعهم من على ارضي التي أعطيتهم اياها. وهذا البيت الذي قدسته لاسمي أزيله زوالاً عن وجهه، واجعله مثلاً وعبرة لجميع الشعوب. ثم أن هذا البيت الذي كان مرتفعاً يكون من يحوز به يقول وهو مبهوت: لماذا صنع الرب هكذا بهذه الأرض وبهذا البيت؟ فيقولون: لانهم تركوا الرب إله

http://al-maktabeh.com

آبائهم الذي اخرجهم من ارض مصر وتمسكوا بألهة اخرى وسجدوا لها وعبدوها فمن اجل هذا نزل بهم هذا البلاء كله» (الأيام الثاني 22-7:19).

من سياق ما سبق أن فلسطين وان صارت في وقت ما وطناً لليهود، الا أن الله تعالى طردهم منها بأمر منه سبحانه، عقاباً على رفضهم المسيح ابنه المخلص ودعوته الى الملكوت السماوي الحقيقي، وأيضاً لأن الله ليس لديه محاباة حيث جلّ جلاله يأبى الفساد ويمقته لانه قدوس وظاهر، فغضب عليهم وأسلمهم الى الهزيمة الروحية والزمنية.

إسرائيل ليست شعب الله المختار

إن الله سبحانه وتعالى، قدوس وعادل وبار، لا يميّز بين فرد وفرد، ولا بين شعب وشعب على أساس من جنس أو لون. فكل الناس خليقته، وجميعهم خلقوا على صورته ومثاله. وإنما يميز بينهم على أساس ما اختاروا لأنفسهم. وما راضوا ذواتهم عليه من تقوى وفضيلة وبر وعمل صالح. وبنفس الغضب الذي يغضب به على قوم عصوا وصاياه، يغضب على غيرهم لو صنعوا شراً وظلماً في الأرض حتى لو كان لهؤلاء الأخيرين وعد بخير أو نعمة، فاختيار الله لفرد أو لشعب لا يقوم على غير أساس أو على أساس تحكمي تعسفي حاشا، وليس هناك فرد مختار أو شعب مختار، من غير قيد أو شرط من جانب هذا الشعب أو ذلك الفرد. وإنما الإختيار من جانب مشروط باستحقاق الفرد أو الشعب لذلك الاختيار وموقوت بطاعة الفرد أو الشعب لوصايا الله ورسومه وأحكامه التي ان صنعها الإنسان يحيا بها.

وبالنسبة لبني إسرائيل، فقد ضلوا وزاغوا وتمردوا على الله وعصوا وصاياه، ورفضوا المسيح وصلبوه، فصاروا اعداء لله، وجروا معهم ابناءهم واحفادهم في تحمل مسؤولية ما صنعوا اذ قالوا: «اصلبه.. اصلبه.. دجمه علينا وعلى أولادنا..» وبهذا حلت عليهم وعلى اولادهم اللعنة الى الابد. وقد قال المسيح مخلصنا في مثل

http://al-maktabeh.com

الكرم والكرامين الذي شبه فيه الكنيسه، بالكرم، والله يصاحب الكرم، وزعماء اليهود بالكرّامين الارديا‌ء الذين قتلوا انبياء الله، ولما جاءهم المسيح صاحب الكرم قالوا فيما بينهم: «.. فلما رأوا الابن قالوا في انفسهم هذا هو الوارث تعالوا نقتله ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارجاً من الكرم وقتلوه..» (متى 41-21:33).

كان اليهودي يفاخر بأنه ابن ابراهيم، وانه من شعب الله المختار، وكان يعتقد ان ابراهيم سيقف في اليوم الاخير على باب الجنة، ولا يدخل الجنة الا من شهد عنه ابراهيم انه من جنس اليهود ابناء ابراهيم. غير ان السيد المسيح قال لليهود في حوار له المجد بينه وبين اليهود اورده القديس يوحنا (59-8:31) ومن جملة ما جاء ليه: «..أنا اقول بما رأيت عند ابي وانتم تعملون بما سمعتم من ابيكم فأجابوه: ان أبانا هو ابراهيم. فقال لهم يسوع: لو كنتم ابناء ابراهيم لعملتم اعمال ابراهيم ولكنكم تريديون قتلي، انا الذي قال لكم الحق الذي سمعه من الله، وهذا لم يفعله ابراهيم انتم تعملون اعمال ابيكم قالوا له: نحن لم نولد لزانية، ولا أب لنا إلا الله وحده. فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لأحببتموني لاني من الله أتيت، وما أتيت من نفسي، بل هو الذي أرسلني لماذا لا تفهمون أقوالي؟ لانكم لا تطيقون الاستماع الى كلامي. انكم أولاد أبيكم إبليس، وانتم تريدون إتمام شوات أبيكم..».

وكان اليهودي يحتقر من غير يهودي ويسميهم الجويم (أي الأمم) وهي تقابل عندهم كلمة البرابرة عند اليونان القدماء.

وجاء في التلمود: إن الله يحقد على غير اليهود. وجاء في موضوع آخر «من أبغض المعاصي عند الله ان يعطف اليهود على أولئك الذين لا عقل لهم» وأعني بهم الامم من غير اليهود فكان اليهود يفخر بكونه يهودياً. وحتى في صلاته كان وكانوا يرون انفسهم وحدهم من عنصر الهي. أما الامم فهي حيوانات ذات أشكال آدمية. ولذلك كان اليهودي يفخر بكونه يهودياً.

وحتى في صلاته كان يقول: «أشكرك اللهم لأنك خلقتني، رجلاً لا إمرأة، حراً لا عبداً، يهودياً لا أمميا».

http://al-maktabeh.com

ما السيد المسيح فقد قلب هذا المفهوم، فقال «ولي خراف آخر ليست خن هذا القطيع. فينبغي لي أن آتي بهم أيضاً. فيسمعون صوتي. وتكون رعية واحدة وراع واحد» (يوحنا:16:10).

من اجل هذا لم يعد للمسيح هيكل واحد بل هياكل عدة. ولم يعد له مذبح واحد بل مذابح عدة. وتحققت بهذا نبوءة النبي ملاخي «من أجل انه من مشرق الشمس الى مغربها عظيم اسمي في الامم. وفي كل مكان يبخر ويقرب لاسمي قربان مطهر. فان اسمي عظيم في الامم قال رب الجنود» (ملاخي 11:10).

وقد قالت المرأة السامرية للمسيح: «آباؤنا سجدوا في هذا الجبل. وانتم تقولون إنه بأورشليم المكان الذي ينبغي السجود فيه. قال لها يسوع: «ايتها المرأة. صدقيني انه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب. انتم تسجدون لما لا تعلمون. ونحن نسجد لما نعلم. لان الخلاص هو من اليهود ولكن تأتي ساعة، وهي الآن. فيها الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق لان الاب انما يريد مثل هؤلاء الساجدين له» (يوحنا 4: 23-20).

مما ذكرناه سابقاً، يتضح ان السيد المسيح نقل العبادة من الارتباط بالمكان الى الارتباط بالروح الحقيقية، التي يمكن ان تتوافر من غير ارتباط بالمكان.

وفي يوم أحد الشعانين ركب السيد المسيح أتاناً ثم تركها وركب جحشاً لم يركب عليه احد من الناس قط. وفي تركه للآتان اشارة الى تركه للأمة اليهودية التي رفضته. وفي ركوبه للجحش ــ وهو حيوان نجس في نظر اليهود، ويرمز في ياشته الى طياشة الامم، ثم بدخوله به الى اورشليم، اشارة الى انه دخل بالامم ــ الذين هم نجسون في نظر اليهود ــ الى الكنيسة المسيحية ــ وهذا هو الانفتاح الجديد والنظرة الجديدة التي قدم بها المسيح كنيسة العهد الجديد.

فلم تعد مرتبطة بالمكان، ولم تعد مرتبطة بشعب بعينه. فصارت بذلك واحدة

http://al-maktabeh.com

مقدسة، جامعة رسولية. وبناء على هذا تسقط دعوى اليهود بالارتباط بالمكان، كما تسقط دعواهم في أنهم شعب الله المختار.

نستخلص مما سبق، ان اليهود وان كانوا حسبوا في وقت ما شعب الله المختار، ولكن وعد الله قد سقط عنهم، لانهم صاروا غير أهل له، ذلك بفضل عنادهم وتعنتهم وقساوة قلوبهم. فاذا سقطت دعوى اليهود وادعاءاتهم في انهم شعب الله المختار وانهم اصحاب الأرض المقدسة فيترتب عليه ان تصير فلسطين لعرب فلسطين وهم سكانها الاصليون قبل ان يسكنها اليهود بآلاف السنين.

إسرائيل وتحقيق النبوءات

تزعم اسرائيل ان نبوءات الانبياء تتحقق في تأسيس دولة اسرائيل. ونحن نقول ان كل نبوءة في العهد القديم تشير إلى كيان لشعب اليهود وكنيستهم وهيكلهم لا بد ان تفهم على انها قد تمت في الماضي بمجيء المسيح أو قبل مجيئه في الجسد ــ وكل نص يشير الى نجاح لهم، أو إنتصار على أعدائهم يجب أن يؤخذ على انه قد حصل فعلاً في ايامهم السابقة لمجيء المسيح لانهم كانوا قد سبوا خارج بلادهم ورجعوا اليها عدداً من المرات حيث لم يعد لتلك النصوص دلالة على نصر جديد في اعادة كيان الكنيسة اليهودية بمعناها القديم، لانها بمجيء المسيح وبتأسيس الكنيسة المسيحية امست الكنيسة اليهودية غير ذات موضوع.

من ذلك قول المزمور «من صهيون كمال الحسن الله اشرق يأتي اليهنا ولا يصمت النار قدامه تكل. وحوله عاصف شديد. يدعو السماء من فوق والأرض الى محاكمة شعبه. اجمعوا لي أصفيائي العاقدين عهدي على الذبيحة» (مزمور 49: 2-5).

لا شك في أن هذا النص يشير الى ذبيحة الفداء التي قدمها الرب يسوع بموته على الصليب نيابة عن كل البشر الذين اخطأوا في آدم، وكان ابرار العهد القديم

http://al-maktabeh.com

يرونها وينتظرونها وماتوا وهم يتوقعونها فلما مات المسيح بالصليب وثم الفداء تهللوا وفرحوا بالخلاص الذي كانوا يرجونه وقد تم.

وهكذا باقي النصوص التي تشير الى ظهور المسيح، مثل نص أشيعا (5-2:2) الذي ينبئ في الواقع عن ظهور المسيح والى شريعته السامية وتعاليمه الطاهرة، التي استنارت بها جميع الامم. اما اورشليم المذكورة في النص، فهي كنيسة المسيح، التي منها تخرج شريعته. واذا كان النص يشير الى زمن السلام فلا شك في ان شريعة المسيح هي شريعة السلام، لأنه نادى بالاخوة العامة لكل البشر، وطالب الإنسان ان لا يقاوم الشر بالشر وأن يقابل الاساءة بالاحسان، والكراهية بالحب، وامر تابعيه بأن يحبوا اعداءهم، ويباركوا لاعنيهم، ويحسنوا الى مبغضيهم، كما يشير النص الى السلام الذي صار بفضل المسيح وشريعته بين اليهود والامم. فقد انحلت في المسيح العداوة القديمة، التي كانت وظلت دهوراً وعشرات القرون قائمة بين اليهود والامم، وصار في كنيسة المسيح لا يهودي ولا أممي، بل الجميع واحد في المسيح.

والنص هو:

«ويكون في آخر الايام ان جبل بيت الرب يحصل ثابتاً في رؤوس الجبال ويستعلي فوق التلال. ويجتمع اليه كل الأمم. ويسير شعوب كثيرة ويقولون: تعالوا نصعد الى جبل الرب والى بيت اله يعقوب. فيخبرنا بطرقه. ونسلك في سبيله، لانه من صهيون تخرج الشريعة. وكلمة الرب من أورشليم. فيحكم بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيضربون سيوفهم سككاً. وأرماحهم من اجل ولا تحمل أمة على أمة سيفا. ولا يتعلمون أيضاً القتال. هلموا يا بيت يعقوب، نسلك في نور الرب».

من هذا نستدل ان جميع نصوص العهد القديم تشير الى ملك المسيح الذي سيتحقق في مجيئه الثاني حيث السلام الكامل في اشمل صورة له واتمها، وذلك في اورشليم السماوية التي سيسكن فيها مع الناس المؤمنين، ولا كما تدعيه اسرائيل حيث الدمار والفتنة والحرب.

http://al-maktabeh.com

أسطورة بناء الهيكل

واما عن الهيكل الذي يعتبره اليهود عنوان فخرهم ومجدهم فقد زال وامحى عقاباً لهم على تمردهم، وتحقيقاً لانذارات الله وتوعداته لهم وقد قال يسوع المسيح في انجيله المقدس بزوال هذا الهيكل نهائياً بقوله:

«وخرج يسوع من الهيكل، فدنا إليه تلاميذه وهو سائر، يستوقفون نظره على ابنية الهيكل، فأجابهم: أترون هذا كله؟ الحق اقول لكم: لن يترك هنا حجر على حجر بل ينقض كله»(1) (متى 24: 3-1).

وفي نص آخر في الإنجيل المقدس، أكد السيد المسيح بأن هذا الهيكل سيزول نهائياً:

«أورشليم أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها.. ان بيتكم يترك لكم خراباً..» (23: 39-37). وقد تم ذلك حرفياً. «فالسماوات والأرض تزولان واما كلام الله فلا يزول الى الابد» فالهيكل الذي كان وقتاً ما هيكل الرب وقال عنه «بيتي بيت الصلاة يدعى لجميع الشعوب» لم يعد هيكل الرب بل صار للخراب والدمار. واذ قال: «هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً» فقد تبين انه لم يعد بيت الرب بل صار بيتهم هم، وقد دعا عليه بالخراب، وقد حاول اليهود مراراً عبر التاريخ الطويل بناء الهيكل فلم يفلحوا بل باؤوا بالفشل الذريع.

وحتى لو نجح اليهود في وقت ما في ان يبنوا بناء يسمونه الهيكل، فلن يكون هذا البناء هيكل الرب ابداً بل سيكون عمارة كسائر العمائر ولن يحل فيه مجد الرب.

والكنيس اليهودية لم يعد لها في نظر المسيح وجود، ولا الكهنوت اليهودي صار له وجود. وانما المسيح له المجد إبان أن صاحب الكرم قد سلم كرمه الى كرّامين آخرين، وهؤلاء الكرامون هم الرسل والأساقفة.

http://al-maktabeh.com

إسرائيل لا تتبع ديانة موسى

اليهودية هي غير الموسوية، إن اليهودية الآن هي ديانة الذين انكروا المسيحي ورفضوا دعوته ورسالته وخلاصه وتعاليمه الروحانية متطلعين الى مسيح آخر، من طراز شمشون الجبار، وغيره من المحاربين الاشداء الذين يقودون المعارك الحربية، ليحققوا لشعبهم نصراً مادياً أرضياً. ولا يزالون مرتبطين بفكرة المملكة _ الأرضية التي تقوم على التوسع المادي والاقتصادي ليسودوا العالم ويحكموه ويتسلطوا على غيرهم من الشعوب اعتقاداً منهم أنهم هم وحدهم شعب الله المختار، واما غيرهم من البشر فهم (حيوانات لها أشكال آدمية). هذه النزعة، الشريرة القاتلة التي أتاحت لهم في كل العصور أن يضروا ويؤذوا كل من لم يكن يهودياً، وهذا هو سر بأبوه الله لكل البشر، وان جميع الناس أخوة لا فرق بين يهودي وأممي، عبد أو حر، ذكر او انثى. «فلما جاء الايمان.. ما بقينا تحت مؤدب لانكم انتم جميعاً ابناء الله بالايمان يسوع المسيح. فان كلكم معشر الذين انصبغتم بالمسيح _ فالمسيح لبستم. ليس يهودي ولا يوناني، وليس عبد ولا حر. ليس ذكر وانثى. لأنكم جميعاً شيء واحد في يسوع المسيح. وان كنتم للمسيح. فأنتم اذا زرع ابراهيم، وورثة حسب الموعد» (غلاطية 3: 29–25).

اسرائيل لا تعتقد بان السيد المسيح هو المسيح الحقيقي وما دام اليهود الآن تحت غضب الله وحلت عليهم اللعنة، فليس لهم امام الله كيان معترف به وليست كل جهودهم الا محاولة انسانية مصيرها الفشل المحقق، ولن يرتد عنهم غضب الله ما لم يدركوا خطأهم وخطيئتهم برفضهم للمسيح الذي اتى لخلاص البشرية ويتحولوا من عنادهم وترقبهم لمسيح آخر على طراز شمشون الجبار وغيره من المحاربين الاشداء يخلصهم من أعدائهم الظاهرين ويؤسس منهم مملك _ قوية تقهر غيرها من جميع الأمم، فتتحقق احلامهم في دولة كبرى تحكم العالم بأسره. ما لم يدرك اليهود خطأهم في هذا الفهم الأثيم، ويتحققوا ان ملك المسيح ملك روحاني لا

http://al-maktabeh.com

مادي، وسماوي لا ارضي، وأن رسالته رسالة سلام لا حرب، فلن يرتد غضب الله عنهم، ولن يفلحوا ولن ينجحوا والنجاح المادي الذي قد يحققونه نجاح مؤقت عابر، سينتهي الى هزيمة نكراء، لان الله لم يعد لهم إلهاً. ولم يعد اسمه عليهم، ولم يعودوا شعبه المختار، وإنما هم الآن أعداء المسيح الذين يصرخ ضدهم دمه من يوم ان قالوا: «دمه علينا وعلى اولادنا» (متى 27: 25).

وقد قال لهم المخلص مرة: «لكي يأتي عليكم كل دم زكي مسفوك على الأرض، من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح» (متى 23: 35).

كما وقع عليهم وزر دم المسيح نفسه. لذلك فان ما عاناه اليهود في كل تاريخهم في هذين الألفين من السنين وأكثر كان نقمة من الله عليهم، لأنه كما قال لهم «لأن هذه أيام انتقام... فانه سيكون سخط على هذا الشعب _ اليهودي..».

ويقول مار بولس الرسول في رسالته الى أهل رومية «فماذا حصل. إسرائيل لم ينل ما طلبه، وانما ناله المختارون (اليهود الذين صاروا مسيحيين) اما الباقون (من اليهود) فتقسموا كما هو مكتوب في سفر إشعيا:

«لأن الرب مزج لكم روح السبات. وأغمض اعينكم الانبياء ورؤساؤكم الناظرون الرؤيا غطّاهم» (أشعيا 10:29).

وقال داوود:

«اجعلوا في طعامي مرارة. وفي عطشي سقوني خلاً» (مزامير 68: 22).

ويقول مار بولس الرسول:

«فما ذاك، ان الذي كلبه اسرائيل لم يدركه. فأما المختارون فأدركوه. واما بقيتم فقد عميت قلوبهم، كما هو مكتوب ان الله اعطاهم روح سبات، وعيوناً لا يبصرن بها. وآذانا لا يسمعون بها حتى اليوم. وقال داوود: لتكن مائدتهم فخاً واصطياداً وعثرة وجزاء لهم ولتظلم عيونهم فلا يبصروا، واحن ظهورهم في كل حين» (رومية 11: 10-7).

http://al-maktabeh.com

وقال أشعيا:

«بسطت يدي طوال النهار الى شعب متمرد، يسلك بطريق غير صالح وراء افكاره شعب يغضبني امام وجهي دائماً يذبحون في الجنان. ويبخرون على اللبن» (65: 3-2)).

ويكرر بولس الرسول هذا الكلام في رسالته الى رومية، (10: 21).

«اذا الكنيسة المسيحية قد حلت بالتمام محل الكنيسة اليهودية التي قد زالت وامحت تماماً، ولم يعد لها كيان، وصارت غير ذات موضوع ولذلك صارت الكنيسة المسيحية تلقب في العهد الجديد باسرائيل الجديدة كما صارت هي صهيوني الجديدة واورشليم الجديدة. وصار يهود اليوم يمثلون افراداً او جماعات عاقة على الله. وقد انكروا المسيح الحقيقي الذي اتى، وهم يطلبون مسيحاً آخر من طراز المحاربين الاشداء من امثال شمشون. ولسوف يفشل هذا المسيح الدجال. ولسوف يبيده المسيح الرب بنفحة فيه كما جاء في رسالة القديس بولس الثانية الى اهل تسالونيكي» (2: 8).

إسرائيل ليست صديقة للمسيحيين

تزعم اسرائيل ما تروجه أيضاً الصهيونية من انهم اصدقاء للمسيحيين، والواقع ان عداوة اسرائيل للمسيح وللمسيحيين سبقت عداوتهم للمسلمين قروناً طويلة. فقد قاوموا السيد المسيح واهانوا العذراء مريم، وما زالوا يتهمونها ــ وهي الطاهرة القديسة ــ قال مار بولس الرسول:

«الذين قتلوا الرب يسوع والانبياء وطردونا نحن أيضاً. وهم غير مرضين لله. وقد صاروا اضداداً لجميع الناس، ايمنعوننا أن نكلم الامم ليخلصوا استتماماً لخطاياهم كل حين وقد ادركهم السخط الى النهاية» (تسالونيقي اولة 2: 15-16).

http://al-maktabeh.com

والماسونية على ما نعلم مؤسسة سرية كان الغرض منها أصلاً مقاومة المسيحية الناشئة سراً، بعد أن صار من المستحيل على اليهود مقاومتها جهراً. ومن مؤسسيها الاوائل حنان وقيافا رئيسا الكهنة اللذان حكما على المسيح بالصلب.

ويكشف التلمود اليهودي عن الروح التي يجب أن يلتزم بها اليهودي ازاء المسيحي فيقول في ذلك «باستطاعتك بل من واجبك ان تقتل أفضل المسيحيين».

ومن الحقائق التاريخية المؤكدة، الدور الذي لعبه اليهود في عهد الامبراطور نيرون من تربص بالمسيحيين للفتك بهم في محاولة مستميته للقضاء على الديانة المسيحية.

والى اليوم لا يملك اليهود فرصة على المسيحيين إلا واستغلوها. وقد قال الكاتب الاسرائيلي مردخاي كنش في صحيفة حيروت بتاريخ 27 تشرين الثاني 1864 بعنوان «نحن والعالم المسيحي» ان لنا حساباً دموياً كبيراً مع العالم المسيحي.

ويكفي ما نشرته الصحف من اعتداءات اسرائيل المتكررة على الكنائس والأديرة والمقدسات المسيحية منذ عام 1948م أي منذ انشاء اسرائيل. ففي هذا العام وحده دمر اليهود اكثر من ثلاثين ديراً وكنيسة ومعهداً، وقتلوا عدداً غير قليل من رجال الدين المسيحيين.

وقد كتبت صحيفة دافار اليهودية في 7 نيسان 1954 إن مسيحيي حيفا قد انزعجوا عندما وجدوا ذات صباح مقابرهم منبوشة وجثث موتاهم ملقاة في ارض المقبرة وعدداً من الصلبان محكماً.

ومن مطالعة الصحف الاسرائيلية نفسها يمكن للقارئ أن يستدل على ما يعانيه المسيحيون من اضطهاد وتمييز عنصري في اسرائيل على إعتبار انهم رعايا من الدرجة الثانية.

هذا فضلاً عن الاعتداء المستمر المتكرر على قدسية كنيسة القيامة وسرقة تاج العذراء. ومن ذلك أيضاً أشعال النار عمداً في دير راهبات القربان، واحراق كنيسة الآباء البندكتان، وتدمير دير القديس يعقوب، ودير رؤساء الملائكة، هدم دير

http://al-maktabeh.com

الراهبات، ودير القديسين كارلوس، وكنيسة نوتردام وغير ذلك مما لا يعيه الحصر، والمهم والأهم قصف كنيسة المهد.

والخلاصة، ان عداوة اليهود للمسيحيين منذ نشأة المسيحية في القرن الأول والى اليوم عداوة قائمة ومستمرة والمسيحي هو لليهودي العدو رقم (1).

http://al-maktabeh.com

التوراة وآداب الرافدين

ان المفترض توفره في الديانة السماوية أو المدعى بأنها ديانة موسى هي أن تكون مادة الكتاب الذي يمثل الديانة _ وهو هنا التوراة، مادة منزلة من عند الله دون شوائب بشرية. بمعنى ان لا تكون مادة الكتاب وما جاء به مأخوذة أو منقولة كما هو واقع الحال في التوراة من أفكار وقصص ومعان موجودة في آداب وثقافات وأساطير حضارات الشعوب السابقة التي سبقت ظهور موسى نفسه ربما بآلاف السنين وهو ما يلحظه أي قارئ للتاريخ أو باحث فيه.

ومن هنا فاننا سنستعرض مع القارئ ونتلمس مادة التوراة في بعض أسفارها ونبحث في اصول بعض الأفكار والمواضيع والمضامين والقصص التي تتضمنها للوقوف على عدم أصالتها وعلى مصادرها البشرية وهي النتيجة التي أوصلنا اليها عصر المكتشفات الأثرية في القرنين الأخيرين وفك رموز الكتابات واللغات الهيروغليفية والسومرية والرسوم والمسماريات القديمة وجهود علماء الآثار والتاريخ. والنتيجة التي سنراها هي أن ما جاء بأسفار التوراة وأسفار العهد القديم هو أما نسخ أو نقل أو اقتباسُ أو تحريف من شرائع ومقولات وأساطير وأداب من أصول قديمة مرتبطة بتاريخ وبثقافات وحضارات الكنعانيين والفينيقيين والمصريين والسومريين والبابليين وغيرهم من الشعوب والحضارات الآسيوية القديمة، بما فيه الأساسيات التي قامت عليها التوراة مثل قصة الطوفان وقصة الخلق وآدم وحواء وقابيل وهابيل والشرائع والحكم. وإما أنها أحداثُ وقصصُ ومقولات وادعاءات لا وجود لها في الواقع تم اختلاقها أو استيحائها لأغراض معينة.

ومن وحي الاعتراف بهذه الحقيقة وانكشافها على قواعد واسعة من العلماء والآثاريين والباحثين فقد اضطر علماء اللاهوت وطابعو نسخ العهد القديم اخيراً أن

http://al-maktabeh.com

يشيروا إلى تلك الحقيقة اذ جاء في مقدمة الطبعة الجديدة من التوراة في المدخل إلى سفر التكوين بأسلوبهم الخاص حيث جاء فيها ما يلي:

«لم يتردد مؤلفوا الكتاب المقدس ــ وهم يرون بداية العالم والبشرية، أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية. فالاكتشافات الأثرية منذ أكثر من قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحكمية والليترجية الخاصة بسومر وبابل وطيبه وأوغاريت» انتهى.

ولا أدل على زيف وعدم أصالة ما جاء بالتوراة أكثر مما سبق وأوردته عن رسالة زئيف هرتسوج المنشورة في صحيفة هآرتس بتاريخ 29/10/1990 المبينة بكاملها في المرفق رقم (6).

ان وضعية مادة التوراة الحالية وبراءة موسى منها بما فيه الأسفار الخمسة قد شهد به بالتعليل علماء وكتاب وباحثو الغرب أنفسهم كما مر معنا بعد أن لم يعد خافياً عليهم عدم أصالة الكتاب واحتوائه على ثقافات الآخرين ولكن المتعصبين منهم وكما ذكرت عندما يعثرون على اصول تاريخية وأثارية لما ورد في التوراة في حضارات وثقافات الشعوب السابقة فانهم وخوفاً من الاحراج والوقوع في مشاكل حساسة يعمدون للقول بأن تلك المكتشفات جاءت مطابقة للتوراة وليس العكس. ويتجاهلون حقيقة ان الاحدث يكون منسوخاً أو مقتبساً من الاقدم وأنه في حال عدم الاشارة للمرجع أو الأقتباس يصبح الامر سرقة. لكن الجريئين منهم حتى ولو كانوا يهوداً فانهم يعترفون بأن التوراة على شكلها ومضمونها الحالي ليست اصيلة وليست منسقة مع ما جاء به موسى وأن مادتها ليست سبقاً لكتبة التوراة. واستعرضنا الكثير من الآراء. كما أذكر بما جاء في مقدمة الكتاب المقدس من الطبعة الكاثوليكية لعام 1960 ما نصه ((فما من عالم كاوليك في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل تلك البانتاتيك منذ قصة الخلق إلى قصة موته، كما أنه لا يكفي أن يقال أن موسى أشرف على وضع النص الذي

http://al-maktabeh.com

دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة بل يجب القول أنه يوجد ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية)).

ومن الأهمية يمكن هنا الاشارة إلى ان السراق من كتبة التوراة وجموع اتباعهم من المسبيين ما كان لهم أن يكتبوا ما كتبوه قبل وجودهم في السبي في بابل الحضارة والاختلاط مع شعوبها والإطلاع على حضارتها/ فتلك الجماعات المسبية إلى بلاد الرافدين على يد الآشوريين والبابليين والتي اطلق عليها إسم اليهود لم تكن قبل وصولها بابل وكتابة التوراة جماعات مثقفة ومتحضرة ومطلعة لتكتب توراة في شكلها الحالي بل كانت جماعات بدوية متخلفة حضارياً إلى حد الهمجية لا سيما قياساً بالبابليين والكنعانيين كشعوب كانت متمدنة.

بل ان الباحث البريطاني/ هربرت جورج ويلز Herbert G. 1946/1866 Wells ذكر في كتابه تعالم تاريخ الإنسانية // من ان اليهود ذهبوا إلى بابل همجاً ولا شك أن ذلك يعكس واقعهم الحقيقي المتخلف والهامشي في بلاد كنعان// ان هذا يعني أيضاً أنهم لم يكونوا مؤهلين ليكونوا اصحاب ثقافة وفكر وحضارة ولم يكن لديهم ما يؤثروا به أو يضيفوه على ثقافة وحضارة الكنعانيين والبابليين ولا حتى كانوا مؤهلين للتعايش مع تلك الثقافات كجماعات همجية وبالتالي فكل ما تنسبه تلك الجماعات (اليهود) لنفسها في تلك الازمان هو محل تساؤل وبحث وانه لا بد وأن يكون مسروقاً أو منتحلاً من تلك الحضارات القديمة أو مدعى به.

سرقة أساسيات العقيدة التوراتية من الحضارة القديمة

ان نماذج التشابه أو التطابق كثيرة بين القصص والأحداث والنصوص والمعاني التي وردت في التوراة والعهد القديم وبين تلك التي وردت في المصادر المشار اليها وجميعها تمثل حضارات وأداب وثقافات وأساطير أمم وجدت قبل ظهور موسى وقبل كتابة التوراة الحالية بآلاف السنين، وقد شمل ذلك كل أو معظم ما جاء

http://al-maktabeh.com

بالتوراة لا سيما الأساسيات التي بنيت عليها مثل قصة الطوفان وقصة الخلق وقصة أدم وحواء وغيرها من قصص وشرائع وأحكام. وهو ما يعني ان التشابه هذا هو في واقعه نقلاً واستنساخاً وربما كما يصفه البعض سرقة أدبية أكثر من كونها اقتباساً طالما أن كاتبوها جاؤوا بها من الأمم الأخرى ونسبوها لأنفسهم.

ومن الأهمية هنا أن الفت النظر إلى أن كتبة التوراة قد اكتفوا بذكر الخلاصات أو النتائج لتلك القصص ولكل ما هو موجود في حضارات وثقافات الآخرين مع وجود النسخ الحرفي لكثير من الاصطلاحات والفقرات والنتائج حيث لو قاموا بالنسخ الحرفي الكامل لتلك الاساطير أو التوسع في النقل لكان يلزمهم مجلدات ومجلدات تختلط فيها التفصيلات ولا تعد تصلح لأن تكون كتاباً منزلاً. وعلى سبيل المثال فان قصة الخلق وقابين وهابين والطوفان عند السومريين والبابليين كلها جاءت في ملاحم واسعة وتفصيلات. لكن كتبة التوراة أخذوا من كل منها بضعة أسطر أو خلاصات ناقصة على شكل نتائج فقط. ويمكن تشبيه ذلك بموجز الأخبار ولكن في شكل مبتور.

اننا إذا أضفنا لتلك المستنسخات والمقتبسات ما يملأ النصوص التوراتية من التناقضات والخلط التاريخي والاختلاقات ومجافاة الواقع وعبارات التميز والفساد والعنف فسنصل إلى الامر الذي يعنينا هنا، وهو إذا كانت كل تلك المادة غير الاصيلة والمسروقة أو المختلقة قد شكلت ديانة ما وتحت أي إسم فانها ليست ديانة سماوية ولا هي حتى ديانة وضعية من قبل فلاسفة عقلاء ومصلحين، مما تشير إليه مادتها في كثير من الوجوه التي بيناها وسنوضحها.

ويلاحظ بعض الكتاب بأن اسفار التوراة قد توزعت في السرقة والانفتاح على تلك الثقافات حسب الفترة التاريخية فكما انفتحت اسفار التثنية ويشوع وأشعيا والمزامير على الحضارة الكنعانية انفتح كاتبوا سفر التكوين على حضارة الرافدين وانفتحت أخرى على الحضارة المصرية. إلا أني ومن واقع بحثي المشتمل على دراسة التوراة أو العهد القديم بأسفاره الـ 39 فان هناك تداخلاً واسعاً في عملية توزيع المواد المنقولة من مختلف الحضارات في أسفار التوراة دون تخصيص واضح.

http://al-maktabeh.com

وعليه فاني ولغايات التأكد من بشرية وسرقة المادة التوراتية فان الامر يتطلب عقد نوع من المقارنة وطرح أمثلة لما ورد في التوراة والعهد القديم مع ما يشابهه أو يتطابق معه في الحضارات التي سبقت وجود موسى ومن قبله أو بعده من اليهود بمئات وآلاف السنين مبتدئين بالحضارة في وادي الرافدين ثم الكنعانية فالمصرية القديمة.

أمثلة في السطو التوراتي على تراث بلاد الرافدين:

تالياً أمثلة حية على سبيل التنوير لبعض القصص والحكايات والأفكار التي شكلت الأساس في المعتقد التوراتي والتلمودي ولما يسمى بالديانة اليهودية وكان العالم يعتقدها بأنها سبقاً وابتكاراً لكتبة التوراة في حين أنها منقولة أو مقتبسة أو مستوحاة بالألفاظ والأفكار من حضارة وثقافة بلاد ما بين النهرين.

واذكر هنا إلى أن النسخ والاقتباس والسرقة قد شملت في كثير من الحالات خلاصات القصص والأساطير ونتائجها بذات الألفاظ أو ذات المعنى لأنها قد جاءت في أصولها من خلال ملاحم مطولة وتفصيلات معقدة.

1 – قصة الطوفان قبل التوراة / وخطورة الاضافة في القصة التوراتية:

ان قصة الطوفان ونوح هي من أهم ما ورد في التوراة على الاطلاق من حكايات منسوخة عن الحضارة الأقدم. اذ من القصة التوراتية للطوفان انبثقت اسماء ورموز مكونات بداية التاريخ الديني الإنساني بالمعنى السماوي بدءاً من نوح وما تلاه من اسماء وأعراق مفترضة للبشرية ومن انبياء وسيرة دينية وتاريخية وقصص الأولين واللاحقين. وكان الناس إلى أواخر القرن التاسع عشر يعتقدون بأن مصدر قصة الطوفان الاول والاساس هي التوراة على سبيل الحصر وأن كتبة التوراة استوحوها من السماء. في حين ان المكتشفات الأثارية قد كشفت بما لا يدع مجالاً للشك أنها قصة موجودة على شكل ملاحم شعرية ولها اصولها في معظم أو كل اساطير وأداب وثقافات الشعوب والحضارات التي سبقت وجود موسى وكتابة التوراة من بعده بآلاف السنين. فكتبة التوراة ليسوا بالضرورة أول من استوحاها من السماء. فهناك القصة الهندية وبطلها مانو والقصة السومرية وبطلها زيوسودرا Ziusudra والقصة

http://al-maktabeh.com

البابلية /السومرية وبطلها أتراخاسيس Atrahasis قصة ملحمة جلجامش السومرية البابلية وبطلها أوتنابشتيم Utnapishtim وهذه القصة الأخيرة التي وردت في ملحمة كلكامش تتطابق أو تشبه كثيراً قصة الطوفان في التوراة من حيث بناء السفينة وأنوع الطيور والمهمات التي أوكلت لها ومن حيث شخصية الرجل الصالح الذي يبني السفينة وينقذ الجنس البشري والكائنات من الغرق. وقد يلاحظ القارئ بأن كتبة التوراة قد أخذوا قصة الطوفان بفكرتها الكلية وأحداثها ونصها من ملحمة جلجامش السومرية الاصل هذه والتي سبقت عهد موسى بما يزيد عن ألف وخمسماية عام والوارد نبذة وافية عنها (أي ملحمة جلجامش) في المرفق رقم (15) من هذا الكتاب وذلك لأهميتها من حيث كونها مصدراً ربما هو الأقدم لكثير من الأفكار الإنسانية ومحلاً لاقتباس والهام الكتاب في مختلف الحضارات.

وقد جاءت قصة الطوفان لدى كل الشعوب القديمة بمضمون واحد وبأشكال متقاربة ونصوص متطابقة أو متقاربة وهذا لا يعني ان الطوفان لم يحدث فقد اشار علماء التاريخ والجيولوجيا والآثاريين من خلال المكتشفات إلى حدوث هذا الطوفان كما هو موضح في الشرح أو المرفق رقم (16) من هذا الكتاب. ولا يعني أيضاً النية بترجيح مصداقية نص على نص. فنحن مسلمون نؤمن بكل ما ورد في القرآن الكريم.

إن قدم قصة الطوفان وسرقة التوراة لها أو اقتباسها بحد ذاته وان كان أمراً مهماً في بحثنا لكنه ليس هو الأهم بل أن المهم هنا هو أن قصة الطوفان التوراتية على حداثتها بالنسبة لغيرها قد أصبحت بسبب ما أضافة كتبة التوراة إليها خدمة لأهدافهم من أخطر النماذج والأمثلة المضروبة على سرقات كتبة التوراة. علما بأنهم نادراً ما يضيفوا على ما ينقلون بل يحذفون. والاضافة التي أقصدها وتسببت في هذه الخطورة التي تعد اختراقاً للتفكير العلمي الإنساني إلى جانب استحقاقاتها هي أن قصة الطوفان في التوراة قد انفردت عن باقي قصص الطوفان التي سبقتها بأن ذكرت وأسمت وسلسلت أبناء ونسلاً للشخصية الناجية فيها وهي سيدنا نوح بدءاً من سام وحام ويافث وصولاً إلى سيدنا إبراهيم وبروز السامية. وهو الامر الذي ساعد من خلال

http://al-maktabeh.com

حقبة الخمول التاريخي إلى تحويل الاسطورة إلى فرضيات مزيفة أو إلى تاريخ انطلى زيه على الناس وترتبت عليه أثار ومستحقات هامة على البشرية امتدت بأهميتها ليومنا هذا ولا زالت. بل قد تشكل بموجبها أجناس وأعراق توزعت عليها البشرية وظهرت تسميات مثل الساميين والحاميين واليافثيين وفروعهم دون اي سند تاريخي أو علمي أو منطقي يراه الباحثون. رغم ما تبع ذلك من اثار انسانية واخرى سياسية واجتماعية ومعتقدية وعرقية دون أي مسوغ واقعي أو علمي. ورغم أن الدراسات الانثروبولوجيه والاثنولوجيه قد أجمعت على استحالة اعادة شعب إلى جد واحد.

وبالطبع فان هذه الاضافة التوراتية على قصة الطوفان السومرية البابلية جاءت كفرصة ومكان مناسبين مكنتا كتبة التوراة من ارجاع أنفسهم وأتباعهم وأسلافهم الوهميين إلى جذور موحدة معروفة والى شخصياته مرموقة وعرقها أصيل ورفيع.

– استعراض قصة الطوفان في الثقافات الأقدم من التوراة:

والآن لنستعرض باختصار أحداث قصة الطوفان بنصوصها المختصرة في بعض أداب وثقافات ومخططات الحضارات والشعوب التي سبقت اليهود بمئات وآلاف السنين[1] والى الحد الذي يخدم غرض الدلالة على وجودها السابق وأنها ليست من مبتكرات التوراة. وأترك التعليق والتحليل للقارئ بشأن التشابه الدال على نقل الفكرة أو سرقتها. والمبين أحياناً في تطابق الكلمات والألفاظ مع بعضها.. بل أن الكثير من المقولات والكلمات والأفكار الواردة في قصة التوراة موجود في قصة كلكامش.

أ– قصة الطوفان لدى الهنود:

نظراً لوجود من يجادل من بين المؤرخين والأثاريين بأقدمية حضارة الهند على حضارة وادي الرافدين كالفيلسوف الألماني شوبنهور 1785 (arthurschopenhauer 1785 _ 1860) الذي قال بعدم وجود دراسة في الدنيا

(1) هناك ايضاً وجود للقصة وفكرتها في الثقافات الفارسية والاغريقية والرومانية وغيرها ولكن لغايات البحث الموثق من حيث الفكرة والسبق الزمني والمنطقة التي عاش بها مسبيو بابل من اليهود اخترت القصص من بلاد الرافدين ومررت على القصة الهندية لغورها في القدم.

http://al-maktabeh.com

تفيد الإنسان وتعلو به أكثر من أسفار يوبانشاد _ فلسفة الأوبانشاد[1] وتأييد المؤرخ الأميركي ول ديورنت Will Durant لذلك. وتأييده أيضاً لاقدمية الحضارة الهندية عندما ذكر في قصة الحضارة أن تلك الأسفار هي أقدم أثر فلسفي موجود لدى البشر. ومن هنا فإني سأبدا بقصة الطوفان لدى الهنود لغورها في القدم رغم أنها ليست الأكثر شبهاً بقصة الطوفان في التوراة.

فالاسطورة الهندية تقول (إن مانو كان يستحم في شاطئ نهر فاذا بسمكة تطلب منه السماح ليتركها تعيش. وأنه فعلاً أخذها ووضعها في بركة ماء ولما كبرت لم يسعها النهر فوضعها في البحر وبعد مدة رجعت اليه وأخبرته أن طوفاناً عارماً سيجيء ويغرق البشرية كلها وطلبت منه أن يركب سفينته وأن يضع زوجاً من كل اثنين في الأرض وكذلك بذور الأشجار لانقاذ كل ذلك من الطوفان وقد أصاب الطوفان الأرض وأظلمت الدنيا ولم ينجو الا مانو ومن كان معه).

ب . قصص الطوفان المسمارية:

وابتداء فانه اذ وجد من الباحثين من يجادل أو يحتار في تقرير الأقدمية في الحضارة الإنسانية بين الهنود والسومريين فانه لا يوجد من يقول بوجود أي حضارة في وادي الرافدين سبقت الحضارة السومرية كما لا يوجد اتفاق على تاريخ بدايتها ولا على أصول السومريين وعما إذا كان لهم موطن أصلي غير بلاد الرافدين. فهم ليسوا بساميين، مختلفين في هذا عن بقية اصحاب الحضارات في بلاد الرافدين. ومن هنا فان هناك اتفاق بين الباحثين على أن الحضارة السومرية ومكوناتها هي المصدر الاساسي والقاعدة والحاضنة ونقطة الانطلاق لكل الحضارات التي تبعتها من أكادية

(1) فلسفة الأوبانشاد تتمثل في ما يعرف بالفيدا أي الأشعار الهندية المقدسة وهي تتكلم عن وجود اله واحد يعبر عن نفسه في ثلاث آلهة هم براهما وفشنو وسيفا اما براهما فهو الأصل وخالق جميع الأشياء وفشنو هو حافظ الأشياء اما سيفا فهو مخرب هذه الأشياء. لكن هناك من يطعن أو يشكك في حقيقة هذا الكلام مدعياً بخطأ أو تزوير للترجمة من الهندية القديمة. وبأن الصحيح أن ما كان سائداً في الهند هو الاعتقاد بوجود آلهة عدة منفصلة عن بعضها ويصل عددها إلى العشرات.

http://al-maktabeh.com

وبابلية وأشورية وصولاً إلى الأراميين والكلدانيين ويجد القارئ في الملحق رقم (5) نبذة موسعة عن السومريين.

وبناء عليه فان قصة الطوفان لدى السومريين هي الأصل في كل القصص التي تلتها. ولعل اوضح هذه القصص قد جاءت في ملحمة كلكامش التي وان كانت صفتها بابلية قديمة لكن احداثها الاساسية هي سومرية واسماء الآلهات والملوك بها سومرية بمعظمها وقد جاءت قصة الطوفان كفصل من فصول ملحمة جلجامش المشار اليها. حيث قام الرجل الحكيم أو الصالح أوتنابشتيم بسرد قصة الطوفان التي كان هو بطلها على جلجامش ليبين من خلال القصة ان سبب حصوله على نعمة الخلود الذي يبحث عنه جلجامش كان رغبة من الآلهة في مكافأته على انقاذه لبذور الحياة البشرية والحيوانية وغيرها على الأرض من الطوفان ببنائه السفينة إلى آخر القصة. مشيراً هنا إلى انه قد عثر في عام 1853 على نسخة من قصة الطوفان البابلية ثم توالت اكتشافات نسخها حيث اكتشفت بعثة اميركية في العراق (في مدينة نيبور. وتدعى اليوم نفر) الألواح الطينية للقصة السومرية.

ج – قصة زيوسودرا ziusudra السومرية/ للطوفان:

كان زيوسودرا ملكاً يوصف بالتقوى والذي تلقى قرار مجلس الآلهات بارسال الطوفان لافناء البشر بسبب شرورهم وهو القرار الذي لم يكن بالاجماع. حيث قام الاله انكي Inki الهة المياه العذبة والحكمة الذي لم يرق له الأمر أيضاً بابلاغ الملك التقي زيوسودرا عن عزم مجلس الآلهات باهلاك البشر بالطوفان وأن عليه بناء السفينة (ماجور) وانقاذ بذرة الحياة للكائنات الحية والصالحين من البشر. وبعد بدء الفيضان ونزول الامطار والعواصف لمدة سبعة أيام بلياليها اهتدى الملك الصالح لانحسار الماء والنزول من السفينة وذبح القرابين التي اشتم رائحتها الإله انليل وغضب كثيراً. لكن بقية الآلهات أقنعته بضرورة ما فعله الملك زيوسودرا حيث عاد وقبل الأمر وكفر عن ذنبه بمنح الخلود إلى الملك الصالح زيوسودرا.

http://al-maktabeh.com

د – قصة اتراحاسيس البابلية/ السومرية/ للطوفان:

هذه القصة تأثرت بالقصة السومرية وتسمى قصة أتراحاسيس Atra-hasis نسبة لبطلها وهي قصة متداخلة مع القصة المدونة في ملحمة جلجامش إلى حد ما وتتلخص في أن عدد البشر قد كثر وازعجوا بضوضائهم الاله انليل فسلط عليهم المرض ليقلل من عددهم لكنه أوقف المرض نتيجة تضرع الناس له. ثم عادوا بضجيجهم فسلط عليهم القحط ليقلل من عددهم لكن الناس تضرعوا اليه بعد ان عانوا المجاعة ونزل المطر نتيجة تدخل بعض الآلهات. لكن البشر أخذوا يتكاثرون ويزداد ازعاجهم للاله فيقرر عندها افناءهم بالطوفان. وهنا فقد أفشى بعض الآلهات خبر قرار الطوفان إلى الملك الصالح أتراحاسيس وطلب منه أن يبني سفينة ويحكمها ويطليها في القار ويشد حبالها وأن يضع فيها أهله وأصحابه واصحاب الحرف واصناف الحيوانات والطيور والبذور لينجوا من الهلاك وتستمر الحياة. وفعل اتراحاسيس ذلك وجاء الطوفان وانتهى في اليوم السابع ونجا من بالسفينة التي رست على قمة جبل نصير حسب القصة وموقعه على أحد روافد نهر دجلة (الزاب الادنى). وقد تعرف الأثاريون والباحثون على هذه القصة مكتوبة على بعض ألواح طينية أو رقيمات تعود إلى 1644 _ 1626 ق.م. كما أن هناك نص للقصة عثر عليه في أوغاريت (راس شمرة) تعود للعصر البابلي الوسيط كما عثر على أكثر من رقيم من القصة في مكتبة أشور بانيبال في نينوى تعود إلى العصر الأشوري الحديث.

ولعل أقدم الرقيمات للقصة قد استنسخ زمن الملك البابلي أمي سدوقا Amisaduqa.

هـ. قصة (أوتنابشتيم) للطوفان في ملحمة كلكامش/ أصل القصة التوراتية:

كما ذكرنا فان ملحمة جلجامش ذات الأصول السومرية والاخراج البابلي هي من أهم المصادر التي أخذ عنها كاتبو أسفار العهد القديم والتوراة أفكارهم وقصصهم وحكمهم. وتحتوي هذه الملحمة في رقيمها الحادي عشر (11) على قصة الطوفان ويلاحظ بأن اسماء الآلهات أو معظمها في قصة الطوفان في كلكامش

http://al-maktabeh.com

هي نفسها في بقية قصص الطوفان. وبالمقارنة فان قصة الطوفان في التوراة ربما تكون مطابقة احياناً للقصة الواردة في ملحمة كلكامش ومتقاربة أحياناً اخرى والتي يعود الفضل في اكتشافها وترجمتها إلى العالم الانجليزي (سيدني) جورج سميث في عام 1872 حيث جمع قطعها المتناثره التي كانت في 12 لوح وكان اللوح الحادي عشر محتوياً على قصة الطوفان ضمن ملحمة جلجامش. ويحتوي المرفق (رقم 20) في هذا الكتاب على النصوص الشعرية المترجمة لقصة الطوفان من ذات العلاقة في ملحمة جلجامش. وألخص تالياً القصة للقارئ كما وردت في الملحمة كي يلاحظ الشبه الكبير والمطابقه بينها وبين قصة الطوفان التوراتية من حيث بناء وطول السفينة وأنواع الطيور التي خرجت منها للاستكشاف. علما بأن القصة بأصولها تعود إلى ما قبل القرن التاسع عشر ق. م.

تقول القصة إن مجلس الآلهة قد قرر احداث طوفان لاهلاك السكان من البشر بسبب شرورهم. لكن أحد الحاضرين من الآلهة لم ترق له فكرة هلاك الجميع من صالح وطالح فقام بابلاغ قرار الطوفان إلى أوتنابشتيم الملك الصالح في مدينة أو مملكة شورباك (تل فاره/ الآن قرب الوركاء/ جنوب العراق) وأمره أن يبني سفينة لينقذ بواسطتها نفسه والصالحين من اهله ومن سكان مدينته وكل بذور الحياة النباتية والحيوانية على الأرض. وعلمه بكيفية بناء ومقاسات السفينة وشكلها وارتفاعاتها واحكامها وطليها بالقار. وقد قام الرجل الصالح ببناء السفينة حسب القياسات المطلوبة (يلاحظ القارئ لتفصيلاتها في المرفق أو في الأبيات التالية بأنها تشابه تلك التي في قصة التوراة). وقد انهى أوتنابشتيم العمل في السفينة في اليوم السابع. ثم حمل بها عينة من كل المخلوقات والأحياء في البر وكذلك الصناع والفنيون وأهله من الصالحين. ثم أنزلها في الماء حيث بدأ الطوفان بعواصفه وظلمته. وفي اليوم السابع خف وتوقف الطوفان وسكنت العواصف واستقرت السفينة على جبل نصير. ففتح أوتنابشتيم كوة السفينة. وبقي فيها لحين اليوم السابع حيث أخرج حمامة لاستكشاف انحسار المياه لكنها عادت للسفينة لعدم وجود مكاناً يابساً أو ارض تقف عليها. ثم أخرج بعد فترة السنونو لكنها أيضاً

http://al-maktabeh.com

عادت لنفس السبب. ثم انتظر وأطلق الغراب فأكل من الأرض وحام ولم يعد. وهو دلالة على انحسار المياه. وعندها خرج كل من في السفينة. (ويلاحظ القارئ الشبه مع القصة التوراتية). وبالطبع فان الملك الصالح هنا قد أنقذ الجنس البشري والمخلوقات وكانت مكافأته أن خلدته الألهة. لكن كاتب القصة هنا وفي كل القصص المشابهة لم يجعل لهذا الرجل الصالح والمنقذ (؟؟؟) وبأسماء معينة. ويجد القارئ في المرفق رقم (20) بعض النصوص الشعرية المترجمة من القصة.

2 – قصة الخلق أو التكوين / قبل التوراة:

لم تكن قصة الخلق لا سيما في سفر التكوين ابداعاً من قبل كتبة التوراة بل كانت نقلاً ممسوخاً من أصولها السومرية. حيث احتلت هذه المسألة حيزاً كبيراً في أساطير وثقافات كل الشعوب الشرقية في وادي الرافدين ومنها ما ورد بقصة (أنو) و(أريدو) في جلجامش وقصة أوليكار وقصة نبور لكن أهم هذه القصص وأبرزها وأقدمها وأكثرها استكمالا هي القصة السومرية / البابلية الواردة في ملحمة أينوما اليش Elish Enumma (عندما في العلى). التي وجدت على سبعة ألواح في مكتبة الملك أشور بانيبال المعثور فيها على حوالي 25 ألف لوح طيني (رقيم) ومنها ملحمة جلجامش وقصة الطوفان. وتالياً توضيحاً لقصة الخلق في ملحمة اينوما اليش.

قصة الخلق/في ملحمة اينوما اليش Elish Enumma/ واقتباس التوراة

وجدت قصة الخلق في ملحمة اينوما اليش Elish Enumma بالاحرف المسمارية على سبعة ألواح تعود للعصر البابلي القديم 1900 إلى 1500 ق م. وتتكلم عن سبعة أجيال في اطار خلق الكون والبشر والتي تتماثل في نصوصها مع الأيام السبعة في سفر التكوين التوراتي ومن يطلع على تفاصيلها الواضحة والمتسلسلة بمقدمات ونتائج ثم يقرأ القصة في التوراة يخرج بنتيجة ان كتبة التوراة قد أخذوا الفكرة من الملحمة السومرية وكتبوها بسذاجة تامة أو انهم اكتفوا بكتابة النتائج والخلاصات التي وصلت لها القصة السومرية ويجد القارئ تفصيلات عن قصة الخلق في ملحمة اينوما اليش في الملحق (رقم 21) من هذا الكتاب. ويتحدث اللوح

http://al-maktabeh.com

الأول عن البدء في الجيل الأول حينما كانت الأرض معدومة ولم يكن سوى العماء Ohaos والكون يتألف من العنصر الذكر؛ إله المياه العذبة «آبسو» والعنصر الأنثوي إلة المياه المالحة «تيامات»، و«ممّو» إله السحاب الذي يرفر بينهما (لاحظ التطابق مع سفر التكوين في اليوم الأول وذلك في الفقرتين الاولتين من اصحاب الأول. ثم في الجيل السادس، الإله مردوخ) الذي يخلق «لالو» (الإنسان) ليخدم الآلهة فتستريح في الجيل السابع (وذلك يتطابق تماماً مع التوراة اذ خلق الله الإنسان في اليوم السادس، واستراح في اليوم السابع ـ سفر التكوين 2 :2 ـ 3).

وباختصار شديد تتلخص قصة خلق الكون هنا في أن الإلهة تيامات (وهي الماء)، كانت تنوي التخلص من أحفادها المزعجين (الأحفاد هنا هم آلهة وليسوا بشر) لتنعم بالراحة مع زوجها آبسو، فدخلت في معركة مع مردوخ الذي ينتصر ليشطر المياه (تيامات) إلى قسمين، فيصنع من القسم الاول السماء حيث يخلق النجوم والكواكب، ومن القسم الثاني الأرض حيث يخلق النباتات فالحيوانات ثم الإنسان من التراب ودم الاله وليكون خادماً للاله بمعنى أن المياه هي أصل الكون ومنها خلق كل شيء (كما سيحصل في التوراة، تكوين: 1 :6 حيث يفصل الله بين مياه ومياه ويصنع السماء والأرض) وبعد ان ينتهي مردوخ من خلق كل ذلك ويهيء الأرض لخلق الإنسان والحيوان والنبات، سيخلق زوجاً من الإنسان بواسطة الدم والطين (يبني بيتا له في بابل ليستريح فيه كلما نزل إلى الأرض في نيسن (تماماً كما سيبني يهوة رب الجنود فيما بعد، بيتا له في اسرائيل، صموئيل الثاني: 1:7 ـ 17 ـ وعبارة «خيمة الآلهة» نجدها في ملحمة جلجامش البابلية التي اقتبست منها نفس قصة طوفان. وتالياً بعض الأبيات الشعرية المترجمة من رقيمات قصة الخلق في ملحمة اينوما اليش:

عندما يكون في الأعالي لم يكن هناك سماء
وفي الاسفل لم يكن هناك أرض
لم يكن من الآلهة سوى أبسو أبوهم
وممو وتهامات (الماء) التي حملت بهم جميعاً

http://al-maktabeh.com

يمزجون أمواههم معا
نعم لقد هزوا جوف تهامة
وجاؤوا إلى امهم تهامة قائلين
يروحون جيئة وذهابا في مسكنهم المقدس
... مردوخ أحدث الأمواج فاضطربت لها تهامات
وجاؤوا إلى امهم تهامات قائلين
عندما قتلوا زوجك لبثت هادئة
وعندما خلق أنو الرياح الأربعة اضربت اعماقك وغابت عنا الراحة.
فغرت تهامة فاهها لتفترسَه
وملأت الرياحُ الهائجةُ بطنَها فانتفخَ جسمُها وفتحت فاهَها _ أطلقت
وأطلق سهما مزّق بطنها وهتك أحشاءها وشق فؤادها
فصنع من شطر جسمها قبعة السماء ومن الآخر الأرض
ووضع النجوم ثم بدأ بخلق النباتات والحيوانات
وأخذ التراب ومزجه بدم الإله كينغو..
وصنع الإنسان على أن يكون خادماً للآلهة

3 – الحكم والأمثال في التوراة / من حكمة أحيقار وبابل:

ان مختلف مقولات الحكمة والأمثال والوصايا والتأديب التي اشتملت عليها العديد من اسفار التوراة والعهد القديم لا سيما تلك التي يقوم عليها سفر الأمثال وتزهر بها أسفار يشوع والحكمة والجامعة إلى جانب قصة طوبيا في سفر طوبيا لم يعد سراً بأنها بكاملها نسخة أو جزءاً منسوخاً من حكم وأمثال بلاد الرافدين وكنعان ومصر وما يهمنا منها هنا هو المستنسخة معظمها من حكمة أحيقار Ahiqar أو Achiacharus كما يسمى باللغة التوراتية. وهي التي تمثل في الاساس الحكمة الأشورية والبابلية والسومرية والتي وثقت لنا خلاصة أقدم ما توصل اليه الإنسان قدماً من حكمة فكرياً واجتماعياً وأخلاقياً وعائلياً وسياسياً.

http://al-maktabeh.com

ويذكر هنا كذلك بأن أعلام وشخصيات الحكمة الحقيقين والمفترضين في الحضارات المختلفة تأثروا بحكمة أحيقار حتى في الهند كما يبدو في كليلة ودمنة وفي محيطنا على لسان لقمان العربي وكذلك ايسوب اليوناني. وقد اكتشفت أجزاء من حكمة أحيقار لأول مرة في جزيرة الفيلة في مصر عام 1906 منسوخة في القرن الخامس قبل الميلاد ومكتوبة باللغة الأرامية الآشورية.

إن ما يوضح أشورية هذه الحكم وأصلها الأكادي هو ما تضمنته من اسماء آلهات وأعلام أشورية بأصول آكادية. وقيل عن هوية أحيقار الكثير ولعل خلاصتها أنه كان مستشاراً أو وزيراً أشورياً وأنه اشتهر كوزير إلى سرجون وابنه سنحاريب. حيث تبنى ابن اخيه نادان وأدبه بآداب الحكمة وهو بالتأكيد شخصية حقيقية لأنه مذكور في لوحة مسمارية من العهد الهلنستي وتضم هذه اللوحة بعض الاختصاصين المشهورين ومنهم أحيقار وكان عائشاً في القرن السابع قبل الميلاد (قبل كتابة التوراة بمئتي عام). وقد جاء في بداية القصة ما يلي:

«أنا أحيقار كاتب الملك سنحاريب وحامل اختامه تبنيت نادان ابن أختي وعلمته الحكمة وتدبير الملك ليخلفني في خدمة أسرحدون من بعد موت أبيه سنحاريب».. وقد تناول العديد من الكتاب والمؤرخين حكمة أحيقار بمؤلفات عدة ومن أهمها // حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس / من تأليف الأب سهيل قاشا. وكتاب أحيقار الحكيم للمطران غريغوريوس بولس بهنام. وكتاب حكيم من الشرق للدكتور أنيس فريحه. وهناك دراسة في كتاب أحيقار أعدها الخوري بولس الفغالي. وقد أثرت أن أضع أمام القارئ بعضاً من حكمه في المرفق رقم (22) من هذا الكتاب على سبيل الاطلاع والمقارنة بين ما ورد فيها وفي أسفار التوراة. ومع ذلك اني ابين هنا قولاً واحد مشتركاً منها كمثال بين سفر الأمثال وحكم أحيقار. فالاصحاح 23 الفقرة 12 من سفر الأمثال تنص «لا تمنع التأديب عن الولد لأنك ان ضربته بعصا لا يموت، تضربه أنت بعصا فتنقذ نفسه من الهاوية» في حين تقول حكمة أحيقار ما نصه «لا تمنع العصا عن ابنك. ان كنت لا تستطيع ان تمنع ابنك

http://al-maktabeh.com

عن الشر فلا يمنع عنه العصا. يا بني إذا أدبتك بالعصا فلن تموت ولكن إذا تركت لك العنان فانك لن تعيش».

وتجدر الاشارة هنا إلى أن التناقض الواضح في مضامين ونصوص اسفار العهد القديم من حيث اشتمالها في آن واحد على ممارسات القتل وعدم الرحمة والأقوال العنصرية والوحشية واللانسانية واللاحكيمة إلى جانب اشتمال بعض أسفاره وبنفس الوقت على جزء من خلاصة الحكمة الإنسانية السومرية والبابلية والاشورية من خلال حكمة أحيقار. أقول ان هذا التناقض هو أمر طبيعي في التوراة وذلك نتيجة اختلاف مصادر كتابة أسفار العهد القديم وتوزعها على ثقافات شعوب مختلفة في حقب مختلفة جمعت وكتبت في فترات متباينة خلال مئات السنين دون امكانية المراجعة والتنسيق فيما بين هؤلاء الكتبه. فهناك أكثر من ثقافة واحدة يمثلها العهد القديم جعلته كتاباً متناقضاً وغير منسجم مع نفسه وبأن مادته لا تخص أمة بعينها وذات ثقافة واحدة.

4 – قصة ولادة موسى / أصولها في قصة ولادة سرجون:

ان قصة ولادة موسى بوقائعها ودلالاتها كما وردت في سفر الخروج لها ما يشبهها في مختلف الحضارات القديمة لكنها تتطابق مع قصة ولادة سرجون الاول الآكدي Sargon of Akad التي تعود إلى 2350 ق. م. أي قبل ولادة موسى بأكثر من ألف سنة، والتي وجدت على رقيم باللغة الآكادية المسمارية وان الكاتب هو سرجون نفسه. وسرجون الآكدي هذا هو الذي اسس المملكة الآكادية بعد أن هزم المدن السومرية وأقام امبراطورية بين عامي 2350 إلى 2150 ق. م. وقد ورد ذكره في الوثائق المسمارية بإسم شاروكين... وتالياً أوضح قصة الولادة هذه مبتدئاً بالاسطر الاولى للأسطورة واسمها طفولة سرجون ملك آكاد وسومر حيث وجدت في أربعة نصوص متشابهة وقد ترجمت عام 1872 بعد العثور عليها بعشرين عاماً وتالياً احدى النصوص من ترجمة المؤرخ البريطاني وعالم الأشوريات هنرس سايس Henry Sayce للألواح المسمارية / الآكدية السومرية

I am Sargon, the mighty king, king of Agade.

http://al-maktabeh.com

My mother was a high priestess; I did not know my father.

My father's brother used to love the mountains.

My city is Azupiranu, which is on the banks of the Euphrates.

My mother the high priestess, conceived me,

She bore me in secret.

Sge put me in a basket of reshes; she sealed my door with pitch.

She cast me into the river, which did not rise over me.

The river lifted me and bore me to Aqqi, the gardener.

Aqqi, the gardener, drew me out in his buket.

Aqqi, the gardener, adopted me and raised me.

Aqqi, the gardener, appointed me to do date cultivation for him

While I was cultivating the date groves, (the goddess) Ishtar loved me.

For -four years Iruled as king. (1-13).

And for four and [...] years I exercised Kingship.

The black-headed [peoples] I ruled, I gov [erned]...

وقد ترجمت الأسطر الأولى من هذه القصة أيضاً للعربية وتالياً ترجمتها كما جاءت على لسان سرجون في نفس الرقيم (بكتاب نصوص الشرق الأدنى القديمه) Ancient Near Eastern Textss 119 ما نصه.

«أنا سرجون الملك العظيم ملك آكاد

لا أعرف لي أب، وعمي يعيش في الجبال

مدينتي أزبورانو على نهر الفرات

حبلت بي أمي العفيفة وولدتني سراً في الخفاء

وضعتني في سلة من أغصان الصفصاف وطلتها بالقار

ألقتني في النهر ولم تغطيني مياهه

http://al-maktabeh.com

حملني النهر ووصلت إلى //أكي// ساقي المياه (من يرفع المياه من النهر بالجرة أو الأناء).

هذا الرجل انتشلني بينما كان يلقي بانائه

واتخذني ابناً له وقام بتربيتي وعملت عنده كبستاني

..... وتستمر القصة إلى أن تعشق الألهه عشتار سرجون ويصبح ملك سومر وآكاد.

وكما يتضح من النص الأكدي لولادة سرجون فانه يتطابق مع القصة أو النص التوراتي في الاصحاح الثاني من سفر الخروج لولادة سيدنا موسى مع اختلاف في بعض الكلمات للضرورة وهو: «فحبلت المرأة وولدت ابناً... ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سفطاً من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر... فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل... فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت امتها وأخذته ولما فتحته رأت الولد واذا هو صبي يبكي... فرقت له... ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا ودعت اسمه موسى وقالت اني انتشلته من الماء».

ولعل القارئ يلحظ بعد هذا أن كتبة التوراة قد انتحلوا قصة سرجون التي تعود إلى منتصف الألف الثالثة ق. م. وأسقطوها على موسى لغايات استكمال اختلاق تاريخ لهم.

5 – قصة خلق وتسمية آدم / اصولها لدى السومريين:

ان هذه القصة كفكرة وكنص اصيل موجودة في اساطير السومريين الشعوب التي سبقت كتابة التوراة والعهد القديم. وفيما نحن فيه من أداب حضارات وادي الرافدين نذكر ما يلي مثال يبين أصول خلق وتسمية آدم من خلال قصة آدابا السومرية.

لقد جاء اصل هذه القصة على رقيمات سومرية. وهي تذكر كيف يتم تهيئة بويضة انثى القرد الشبيه بالإنسان والتي يلقحها احد الآلهة المخلوقات الكونية واسمه

http://al-maktabeh.com

انكي Enki ثم توضع البويضة في رحم الهة مخلوق كوني اسمها نيمورساغ غير ان العملية تفشل فالمواليد كانوا عقيمين وذوي عيوب وراثية كثيرة. اما التجربة التالية فكانت ناجحة واول مولود لها كان اسمه آداباه وامه كانت الإلهة نينكي وكلها آلهات مرت معنا في الاساطير السومرية. وبعدها صار الانتاج البشري نمطياً واول مجموعة ناجحة سميت اداموا. ويلاحظ هنا أن آدم لا يعني في التوراة إسم اول رجل فقط بل اول زوج من البشر. مما يشير إلى شبه كبير في هذه القصة بين الميثولوجيا السومرية القديمة وبين ما رد في (سفر التكوين) //وخلق الذكر والانثى وباركهما واسماهما آدم... وبالطبع فان كتبة التوراة كانوا يخلطون المواد القصصية التي يعثرون عليها أو يقرأونها أو يسمعوها ليخلصوا لنتائج جاهزة يكتبوها في التوراة وهنا فانهم وبدل الدخول في عملية الاستنساخ اعتمدوا النتيجة المكتوبة في كل قصص الخلق السومرية والبابلية. ويفترض ان بدايات الإنسان العاقل كانت في تلك التجارب الجينية الواردة في الرقم أو الرقيمات المسمارية مما يعني مواصلة للفرضيات التي طرحها عدد من العلماء وهي ان ظهور الإنسان جاء نتيجة لتدخل كوني في مصائر كوكبنا.

كما ان هناك قصصاً اكثر بساطة وتماثلاً مع قصة التوراة عثر عليها بقصيدة على لوح طيني في محتويات مكتبة نينوى وملخصها أن (ايكيكو) الاله السومري قام مع الاله آيا البابلي/ من خلال المجمع الآلهات بخلق العالم فأوجدوا السماء أولاً ثم الأرض ثم الكائنات الحية ثم خلقوا قطيع الحقل ووحوش البرية. ثم خلقوا اثنين من البشر من الطين وبثا فيهما الروح وجعلوهما الأكرم من بين كل المخلوقات... وملخص أبياتها هي من السطر:

189 _ وطالما، بيلت ايلي (آلهة النسل) حاضرة.

190 _ فلتخلق آلهة والنسل ذرية

191 _ وليحمل الإنسان عناء الآلهة

198 _ ففتحت ننتو فاها

http://al-maktabeh.com

199 _ 200 _ وقالت مخاطبة الآلهات العظيمة // ليس بمقدوري أن أخلق الاشياء

201 _ ان القدرة بيد الاله انكي

203 _ فليعطني الطين لأخلقه

208 _ 212 ثم ليذبح أحد الألهه/ ومع لحمه ودمه فلتمزج الآلهه ننتو طينا وليكن امتزاج الاله مع الإنسان في الطين

216 _ 217 _ ولينادى الإنسان الحي رمزا لها / ومن أجل ان لا ننسى هذا فلتكن هناك روح

256 _ 258 _ اقتطعت الألهة أربعة عشر قطعة من الطين ووضعت سبعاً على اليمين وسبعاً على الشمال (سبع منهن خلقن ذكور وسبع خلقن اناثاً).

6 – قصة خروج آدم وحواء من الجنة / اصولها في بلاد الرافدين:

ان هذه القصة كما وردت في التوراة لها أيضاً اصولها في الادب السومري والبابلي بأشكال مختلفة. منها ما يبدو واضحاً جداً من خلال ما عثر عليه من أختام اسطوانية كثيرة جداً في أثاريات ومدن سومر وبابل التاريخية. ومنقوشاً على هذه الاختام رسماً يمثل رجلاً وامرأة جالسين في شكل متقابل ويمثلان آدم وحواء وبينهما شجرة النخيل التي تمثل شجرة المعرفة (أي معرفة الخير والشر) يتدلى منها عناقيد ثمرة البلح. وخلف المرأة تنتصب الحية وهي تحاول اغراء حواء على الأكل من الثمر وارتكاب الخطيئة وتبدو هي وأدم وهما يتناولان الثمر المفترض انه محرم عليهما، ويذكر بأن هذا الرسم على الاختام مقلد أيضاً على الجدران في القصور والاماكن العامة* في أثاريات سومر وبابل والتي لا تدع مجالاً للشك بأنها تمثل أقدم أثر لقصة خروج آدم وحواء والصورة هي كما يبدو من الشكل رقم (3).

7 – قصة قابيل وهابل التوراتية / أصلها في بلاد الرافدين Cain and Abel

اما قصة هابيل راعي الغنم وقابيل العامل الزراعي واقتتالهما، التوراتية الواردة

http://al-maktabeh.com

في الاصحاح الرابع من سفر التكوين، فأصلها أيضاً موجود لدى السومريين ومختلف ملاحم شعوب بلاد الرافدين وسورية وكنعان... ولعل من اهمها ما عرف بملحمة أو قصة (إيميش وأينتين) السومرية التي تتألف من 300 سطر وتمثل النزاع بين الفلاح والراعي، ومفادها أن إله الهواء إينيل أراد أن تنمو الأشجار والحبوب وأن تحل الوفرة في البلاد فخلق مخلوقين: إيميش وأنتين/ ليعنيا بشؤون الزراعة وتربية الحيوان. ونشب بينهما نزاع، حيث تدخل إنليل ليقضي بينهما، فاختار أينتين وجعله فلاح وفهم من سياق القصة أن إيميش قتل أنتين.

إلا أن الأبرز من هذه القصص القديمة التي تعتبر أساساً لقصة قابيل وهابيل التوراتية هي القصة الواردة في اسطورة //دوموزي/ انكمدو/ أنانا التي تمثل الصراع بين الأخوين كصراع بين آلهة الرعية وآلهة الفلاحين وقد أصبحت هذه القصة فيما بعد متناقلة بين كل الحضارات القديمة مع تغيير ابطالها. وتتلخص القصة في أن الاله دموزي اله الرعي يأخذ دور الأخ للمزارع انكمدو أو اله الزراعة. وان كليهما تقدم إلى خطبة أنانا. لكنها فضلت دموزي على انكمدو كانتصار للرعوية على حساب الزراعة. إلا ان هذا الاختيار للرعوية أو آلهتها والمعبر عنه باختيار أنانا لآلهة الرعي كزوج كان في الواقع وسيلة لامتلاكه (أي امتلاك دموزي) والتضحية به أي بالرعوية كشرط لانتصار الزراعة بمعنى ان انتصار الرعوية في البداية كان كمرحلة تحضيرية لضمان استمرار الحضارة الزراعية. وبهذا فان قابيل التوراتي يأخذ دور انكمدو. وهابيل يأخذ دور دموزي أو تموزي. وأختهما تأخذ دور انانا التي خطبا ودها. ويتقدما بقربانهما للرب. وهنا يلقى هابيل نفس مصير دموزي حيث تفتح الأرض فمها لتبتلعه ويهبط للعالم السفلي.

فالفكرة والسياق واحد بين التوراة والقصة السومرية وذلك عندما يقبل الإله تقدمات هابيل الراعي مفضلاً إياه عن قابيل المزارع ولكن قابيل يقوم في ما بعد ويقتل أخيه انتقاماً منه. ويجد القارئ في المرفق (23) مقتطفات من الملحمة أو الاسطورة تتكرر الاسطورة لدى البابليين وتصبح الاسماء تموز وعشتار وفي الاسطورة تهبط

http://al-maktabeh.com

عشتار إلى العالم السفلي / الموت (مثل انانا) لتحرير حبيبها بعد أن قتلته وتخرج به وتبدأ عملية الخصب.

وتتكرر لدى السومريين أو الكنعانيين ويصبح بعل ولكنه لم يكن ضحية وكان الهه المطر والسحاب ويصبح مع عناة بدلاً من أنانا وعشتار وهنا لا يصبح الخصب مقصوراً على عناة فقط بل يأتي من اتحاد آلهة المطر بعل أو أدون بعل والهة الحب والخصب عناة.

وعند الفينيقيين استعير الادون بعل بـ (أودوني) اختصاراً

لكن أدوني لم يمت بل أكله خنزير أثناء تجواله في غابات لبنان ويصبغ لون دمه الاحمر ورود شقائق النعمان ويصبح إسمه النعمان.

حمل الفينيقيون القصة لليونان ويصبح اسمه ادونيس وعناة تصبح افرودين. وقسم ادونيس حياته لثلاث فصول فصلاً مع برسيفوني الهة العالم السفلي وفصلاً مع أفروديت وفصلاً مع ذاته وقد صرعه اخيراً خنزير والخنزير احد تحولات أفروديت وكأنها هي التي قتلته.

8 – حراس التوراة هم حراس سومر/ وحلم يوسف من جلجامش:

تقول احدى الرقيمات السومرية المعثور عليها في مكتبة آشور بانيبال في نينوى في معرض سردها لنزول مخلوقات إلى الأرض واستنساخ اول مجموعة بشرية من بويضة القرد لغايات استخراج الذهب والمعادن الثقيلة، وهو ما وضحناه في حديثنا عن السومريين في المرفق رقم (5). يقول الرقيم ان أول مجموعة نزلت كانت مؤلفة من ستماية مخلوق وأنها قسمت نفسها إلى مجموعات وكل مجموعة بواقع خمسين كحراس على العمال العبيد من البشر، (وتلك الخمسينات هي مخلوقات كونية أو آلهات من الدرجة الثانية كأبناء آلهات) ومقابل ذلك فهناك اشارة في سفر لتكوين إلى بلد اسمه شنعار ويقصد به سومر. ويقول زكريا ستجن Zacharia Stichin مؤلف كتاب الكوكب الثاني عشر ان الكلمة تعني (بلد الحراس) وهي في الاساطير السومرية تعني الذين كان واجبهم مراقبة العبيد الاوائل من جنس الإنسان

http://al-maktabeh.com

العاقل في عملهم في المناجم.. ويضيف السفر التوراتي (التكوين) متكلماً عن مئتين من الحراس الربانيين الذين وزعوا على فصائل تتكون كل فصيلة من عشرة حراس، اما الرقيمات السومرية فتتكلم عن فصائل مكونة من خمسين. ويلاحظ مؤلف الكتاب الشبه الكبير بين نصوص سفر التكوين في هذا وفي الاساطير السومرية.

اما حلم يوسف الوارد في التوراة وكما ذكرنا فان قصة جلجامش كانت معيناً لا ينضب لكتبة التوراة تتعدى قصة الطوفان إلى عشرات القصص وعلى سبيل المثال هناك استيحاء واضح لحلم يوسف كما جاء في الاصحاح 37 من سفر التكوين ونصه «.. فقال اني حلمت حلماً أيضاً واذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي) اقول جرى استيحاءه مما ورد في ملحمة جلجامش ونص (كلكامش يعرفك رأك في احلامه، وعلى امه ننشون قص احلامه، قال رأيت يا أمي في منامي، رأيت نجوم السماء جميع نجوم السماء، وعند قدمي سجد أحدها» وبالطبع فان الكواكب كانت معروفة ومسماة لدى السومريين.

9 – شرائع التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي وسابقاتها:

إن الناظر إلى مواد شريعة حمورابي البابلية الموجود مختارات منها في كتب ومواقع الكترونية كثيرة والمطلع بنفس الوقت على اسفار التوراة مثل سفر التثنية أو تثنية الاشتراع Deuteronomy المتضمن لما يسمى بالشريعة الثانية يلحظ أو يجد بأن كل ما جاء بهذه الاسفار واسفار اخرى مثل اللاويين وعدد لا يخرج عما جاء في شريعة حمورابي أو الشراع الاقدم والمستندة اليها مثل شريعة شنونا[1] فهناك تطابق في المضمون وتماثل كثير بالشكل اللفظي والهيكلي حتى جاء بعضها نسخة كربونية عن شريعة حمورابي التي تشتمل أيضاً على الوصايا العشرة. ومنها على سبيل المثال المواد 117، 129، 130، 150، 165، 177 وما يقابلها في سفر التثنية الاصحاحات 15، 21، 22، 25، (يجدها القارئ في الملحق 24 مقتبسة بالانجليزية) وكذلك من

(1) شريعة اشنونا Eshnunna سبقت شريعة حمورابي وتعود إلى (2000 – 1900 ق.م.) والاسم هو نسبة إلى مملكة اشنونا. وتتكون هذه الشريعة من 61 مادة قانونية دونت بالبابليه.

http://al-maktabeh.com

ينظر إلى العديد من فقرات اصحاحات سفر الخروج واللاويين وسفر عدد وغيرها يرى التطابق ومنها على سبيل المثال ما جاء في الاصحاح 21 بين الفقرت من 28 _ 32 في شأن احكام نطح الثور المشابهة للمواد من 250 _ 252 من شريعة حمورابي. وتشابه الفقرة السابقة من الاصحاح 22 حول حكم سرقة الامانة من فضة وامتعة مع المادة 124 من شريعة حمورابي والفقرة 22 وما بعده من الاصحاح 21 من سفر الخروج مع المادة 209 من شريعة حمورابي. والفقرت من 10 _ 14 من الاصحاح مع المواد 244، 246، 266 من شريعة حمورابي. هذه مجرد أمثلة للتحفيز على المقارنة بالاطلاع على مواد شريعة حمورابي التي تضم 283 مادة تنظم شؤون المحاكم والقضاة وتتناول قضايا الجرائم الخاصة بالاموال وأحكام الاراضي والعقار والمعاملات التجارية والاحوال الشخصية (الطلاق والارث والزواج والتبني والعقوبات والأخلاقيات). والاعتداءات، واحكاماً خاصة باصحاب المهن الاخرى، واخرى تفرقة في شؤون الزراعة والثروة والحيوانية وقضايا الاجور والاسعار وغيرها.

وقد تم التوصل إلى معرفة هذه السرقة التوراتية الواضحة تماماً بعد العثور على مسلة حمورابي[1] وهي مقسمة إلى أبواب تتكلم في شتى مناحي الحياة المشار اليها. ويذكر ان هناك شرائع سابقة وربما بدائية كشريعة اورنامو ولبيت عشتار وسنأتي عليها لدى الحديث عن الشيقل لكن حمورابي جمعها وأضاف اليها ونظمها وقسمها لابواب فاصبحت شريعة متكاملة تدرس في كليات القانون المعاصرة.

---

(1) عثر على المسلة من قبل بعثة تنقيب فرنسية عام 1901 م في مدينة سوسه عاصمة العيلاميين القديمة ومنقوشاً عليها قوانين بابل القديمة 1792 _ 1750 ق. م وكانت باللغة المسمارية ومنقوش عليها اسم حمورابي ومقدمة باسمه مع 282 مادة في مختلف شؤون الحياة. وهي بمثابة أول دستور للعراق. وهي محفوظة في متحف اللوفر الفرنسي).

http://al-maktabeh.com

10 – الشيقل التوراتي / هو بابلي الاصل:

ومما يجدر ذكره ونحن في سياق اقتباس كتبة التوراة من حضارات الرافدين ان الشيقل الذي يتخذه اليهود والمتهودون اليوم كعملة وطنية وتاريخية لهم وكأنه من تراثهم، والذي يرد في العديد من اصحاحات التوراة ومثال ذلك الاصحاح 2 من سفر التكوين (ارض بأربع مئة شاقل فضة) هو وحدة نقد لا علاقة لكتبة التوراة ولليهود بها وبمنشئها على الاطلاق وأنه مجرد سرقة واضحة من التراث البابلي، عرفه اليهود وسرقوه بعد سبيهم إلى بابل. حيث تشير الكثير من مواد شريعة حمورابي والشرائع التي سبقت حمورابي إلى ان الشيكل وحدة نقد سومرية / بابلية. والشيقل كان يساوي 8.5 غرام فضه. وقبل ذكر الأمثلة على ورود الشيقل في شريعة حمورابي. فانه يقتضي القول بأن هناك شرائع قد سبقت شريعة حمورابي وأشارت للشيقل وأقدمها شريعة أورنامو مؤسس الاسرة السومرية الثالثة بوادي الرافدين[1] والتي سبقت حمورابي بثلاثة قرون (2010) قد اشارت للشيقل كأول عملة في التاريخ ومن مواد شرية اورنامو التي تذكر الشيقل:

المادة / 5 ونصها (اذا أزال رجل بكارة امة رجل آخر بالاكراه عليه ان يدفع كغرامة خمسة شيقلات من الفضة).

المادة 25 (اذا حضر رجل كشاهد ونوى (قبل حضوره المحكمه) ان يكذب في شهادته يدفع خمسة عشر شيقلاً من الفضة).

اما الشريعة الإنسانية الثانية التي سبقت شريعة حمورابي فأشارت أيضاً إلى الشيقل فهي شريعة اشنونا (2000 إلى 1900 ق م.) وهذه الشريعة وضعت أو حددت بعض الاسعار ومنها ما ذكرت الشيقل ومثال ذلك:

المادة 1 ((قا زيت نقي سعرها شيقل واحد من الفضه، و2 كيلو من ملح الطعام سعرها شيقل واحد من الفضه))

---

(1) شريعة أورنامو هي شريعة معروفة بالتاريخ البشري وهي موجودة حالياً في متحف الشرق القديم في استانبول على الواح طينيه وعددها 32.

http://al-maktabeh.com

والشريعة الثالثة هي شريعة لبيت عشتار (اشتار) libit Ishtar وكتبت بالسمورية[1]، ومن الامثلة على مواد هذه الشريعة التي ذكرت الشيقل كعملة مستخدمة بذاك الزمن وقبل اليهود بمئات السنين أيضاً.

المادة 9 ((اذا دخل رجل بستان رجل آخر وقبض عليه متلبساً بالسرقة فعليه ان يدفع غرامة 10 شيقلات من الفضة))

اما الامثلة على ورود الشيقل في مواد شريعة حمورابي البالغة 282 مادة فهي بالعشرات ومنها على سبيل المثال:

المادة 282 من شريعة حمورابي // إذا بنى بناءً بيتاً لرجل وأكمله فسوف يأخذ شيكلين من الفضة عن كل سار من الدار اجرة له[2]

المادة 295 // إذا سرق رجل محراثاً من حقل فغرامته خمسة شيقلات من الفضة لصاحب المحراث//

11 – نجمة داوود / هي من رموز سومر والبكاء في المعابد تقليد بابلي:

من المفيد ونحن نورد أمثلة على سرقة كاتبو التوراة أن يكون معروفاً بأن العديد من الرموز التي يتبناه يهود اليوم كعنوان ليهوديتهم وتراث مزعوم لهم مثل النجمة السداسية المعروفة بنجمة داوود وكشعار لدولة اسرائيل و«الطاقية اليهودية» Skulcap لم تكن على الاطلاق موجودة لدى قدامى اليهود ولا يوجد أي أثر تاريخي مادي أو غير مادي يشير إلى نجمة داوود وليس هناك من أدنى اثبات على ذلك. والحقيقة انها نجمة كان يزين السومريون بها معابدهم وقصورهم (أي زخرفة سومرية) قبل وجود داوود المفترض بآلاف السنين وهي من اختلاق يهود الخزر ومن الادلة على ذلك ان الرقم 13 الموضح في كل مكونات شعار حكماء بروتوكولات صهيون الموضحة في المحق رقم 31 هذا الكتاب. هو رمز لهؤلاء

---

(1) لبت عشتار هو مؤسس دولة ايسين (1970 _ 1850 ق. م) وهو من أسرة امورية. اما الألواح المكتوبة عليها هذه الشريعة فموجودة في متحف اللوفر في باريس ومتحف بنسلفانيا.

(2) السار 35 متراً مربع.

http://al-maktabeh.com

اليهود باعتبارهم قد اعتبروا أنفسهم القبيلة الثالثة عشر بعد القبائل الاثني عشر من اولاد يعقوب، وانهم اي يهود الخزر قد ضمنوا الرقم 13 في النجمة السداسية من خلال وضع 13 نجمة فيها. وكذلك بالنسبة للطاقية فكلها من مبتدعات يهود الخزر أو يهود اليوم الذين سنأتي اليهم في هذا الكتاب.

علما بأن احفاد اليهود الخزر اليوم في فلسطين يسرقون أيضاً التراث الفلسطيني بكل تفصيلاته ويدعونه لأنفسهم في المناسبات الدولية كاللباس والزي الفلسطيني الشعبي والمأكولات الفلسطينية والعربية المعروفة (فول، فلافل، تبوله، فتوش، كبه ...) وحتى الرقصات الشعبية.

كما أن عادة البكاء لدى اليهود على جدران المعابد هي من العادات والتقاليد الدينية البابلية. بمعنى ان «اليهود سلب هذه العادة وألحقوها إلى ما سموه بإرثهم».

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

الفهرس

المقدمة 7

الفردوس الأول وسقوط الإنسان في العراق القديم..... 9

جنة عدن وطوفان نوح بين التوراة وتراث بابل..... 13

كلكامش ونبتة الخلود 19

شجرة الحياة في التراث البابلي والتوراتي 25

«أور» مدينة إبراهيم..... 31

إبراهيم في «أور»..... 33

التوراة الأوغاريتية 35

سرجون الأكادي وموسى العبراني 47

أناشيد الحب في سومر والعهد القديم..... 53

مسلّة حمورابي وتشريع موسى 59

بابل هيكل الإله..... 65

كلدو وآشور في ذاكرة التوراة 69

http://al-maktabeh.com

حكمة وادي الرافدين وأثرها في العهد القديم..... 75
نينوى بين العظمة والرماد..... 89
عقدة بابل..... 97
سرقة آثار العراق..... 109
العراق في مرآة اليوم..... 123
المسيحيون العراقيون ودورهم في بناء العراق الحديث..... 127
أخوة ومحبة وتسامح..... 147
الحوار والعيش الواحد..... 149
اسرائيل ليست صاحبة حق في الأراضي المقدسة..... 156
التوراة وآداب الرافدين..... 177
الفهرس..... 205

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

بابل والتوراة

وجد الأب سهيل قاشا في كتابه «بابل والتوراة» ان العلاقة كبيرة بين بابل والتوراة، فبنت التوراة مجدها على المدونات العراقية القديمة، فانكشف السر وظهر المكتوم وتوضح لدى الباحثين والدارسين مدى ما أخذته التوراة وعمق ما تأثرت به. وقد وضعت الكثير من الدراسات والبحوث بهذا الخصوص والتي تشهد وتعلن عن تأثير آداب وادي الرافدين على آداب العبرانيين.

في هذا المحيط يصب كتاب الأب قاشا الجديد، علماً ان المؤلف له عشرات الكتب والبحوث والدراسات في هذا الميدان تفضح ما أدخله الكهّان اليهود في كتابهم المقدس دون وجه حق وبتضليل متعمد ومقصود...

الأب سهيل قاشا من بلاد الرافدين التي شهدت ولادة الحضارة وازدهرت بالاساطير والعطاءات الفكرية فكانت مهداً غنياً لتراث عريق لبلاد نفتخر ونعتز بها.

كتب في الحوار المسيحي - الاسلامي، وفي التراث المسيحي القديم لا سيما تاريخ الكنيسة السريانية العريق، وله جولات كتابية في التراث الاسلامي وتلاقيه مع التراث المسيحي.

كما يركز الأب قاشا على أن الفكر الصهيوني نابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود والفكر اليهودي العنصري.

في كتابه هذا «بابل والتوراة» يفضح الأب قاشا تقليد التوراة ونقلها الاساطير البابلية وتبنيها.

http://al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل الملف من

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du’a for us.